

عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

عنوان الرسالة

"دور القرية في الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939"

سلامة عبد الله سلامة لدادوه

رسالة ماجستير

القدس

فلسطين

2005/2004

Deanship of Graduate studies

Al- Quds University

Thesis Title:

**“Role of the village in the Palestinian Great
Revolution 1936-1939”**

Salameh Abdullah salameh ladadweh

M.A Thesis

**Jerusalem
Palestine**

Year of submission

2004/2005

دور القرية في الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939

مقدمة من الطالب: سلامة عبد الله سلامة لدادوه

بكالوريوس دراسات شرق أوسط من جامعة بيرزيت - فلسطين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في الدراسات الإقليمية

دائرة الدراسات العربية

جامعة القدس

فلسطين

كانون ثاني / 2005

البيان

أقر أنا مقدم الرسالة ، أنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير وإنما . نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وان هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:

الاسم: سلامة عبد الله سلامة لدادوه

التاريخ: 2005/1/17م

شكر وعرفان (Acknowledgment)

يسرني في بداية هذه الرسالة ان أتقدم بالشكر الجزيل وامتناني العظيم للأستاذ الدكتور سري نسيبه رئيس جامعة القدس ،الذي له الفضل الكبير في إكمال دراستي لدرجة الماجستير من خلال تشجيعه ومساعدته، كما أتقدم بالشكر إلى الأخوين عماد أبو كشك و سمير صبيحات على دعمهما وتشجيعهما طوال فترة الدراسة، كما أتقدم بالشكر إلى أستاذي الدكتور عبد المجيد سويلم الذي اشرف على الرسالة، حيث شملني بعطفه ورعايته وتوجيهه ، واشكره على عظيم ما قدمه لي من نصح وتحمله لعناء قراءة فصول الرسالة وتصحيحها وسماعه أسئلتني ومناقشاتي، بأدب جم ، وسعة صدر، راجيا أن تتال الرسالة إعجابه، وان أكون موضع ثقته.

وانتقدم بالشكر الى جامعة القدس واقسامها المختلفة وخاصة عمادة الدراسات العليا وإدارة معهد الدراسات الإقليمية و"لجنة المناقشة" على ما قدموه من مساعدة لإنجاز هذا العمل على أكمل وجه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى والدي وأسرتي الكبيرة والصغيرة على ما بذلوه لمساعدتي بتوفير الوقت والمكان من اجل توفير الراحة والهدوء للدراسة والعمل ودعمهم المعنوي والمادي في مختلف مراحل الدراسة.

كما اشكر السيد نهاد جرار وطاقم مركز اللوتس للطباعة والخدمات- بيرزيت على جهودهم في سبيل طباعة وإنجاز هذه الرسالة على الوجه الأكمل.

وفي الختام اشكر كل من ساهم ودعم وشجع وأسدى النصيحة والمحبة في سبيل إتمام دراستي وإنجاز الرسالة.

ملخص الرسالة

تحمل الدراسة التي بين أيدينا عنوان "دور القرية في الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939"، تحاول الرسالة إلقاء الضوء على دور القرية، مدى مشاركتها، والأعباء والتضحيات وطبيعة العلاقة التي سادت بين المدينة والقرية ، ودور الانتداب والصهيونية في بذر الخلاف والتفرقة بين الطرفين، وباقي فئات وطبقات المجتمع الفلسطيني، وذلك من خلال دعم تشكيل أحزاب مثل حزب الزراع، الحزب الوطني جمعية تعاون القرى ودعم حزب الدفاع، وتشكيل فصائل السلام المعارضة التي عملت كثورة مضادة ادت الى افشال واجهاض الثورة الفلسطينية، ومطاردة عناصرها ومدى التأثير الذي تركه الانتداب على الحياة بجوانبها المختلفة في الواقع الفلسطيني عامة، والقرية خاصة.

هذا التناول والبحث للإجابة عن تلك الأسئلة من خلال أربعة فصول تشملها الدراسة، حيث يتحدث الفصل الأول عن مدخل تاريخي للواقع الفلسطيني مع بداية الاهتمام الغربي وخاصة البريطانيين والحركة الصهيونية بفلسطين ، والذي اخذ شكلين أساسيين في التغلغل لفلسطين الشكل الأول: الهجرة اليهودية ، يبرز البحث الأساليب التي اتبعت من طرف اليهود والأصول الجغرافية والسياسية والاقتصادية التي قدم منها اليهود، والزيادة السكانية، التي أخذت تزداد مع السيطرة البريطانية على فلسطين، بفعل صك الانتداب ووعده بلفور ودور الإدارة البريطانية في تسريع ذلك.

الشكل الثاني: الاستيطان والسيطرة على الأرض الفلسطينية بأشكال وأساليب مراوغة، ويتحدث هذا الفصل عن الدور الفلسطيني في مقاومة هذه السياسة دفاعاً عن وطنهم وأرضهم. تظهر دور الأرض كمحور أساسي في حياته ومحاولاته المحمومة للمحافظة عليها لكونها مصدر رزقه. وان خسارته لأرضه بمعنى اقتلعه من جذوره، وبهذا استعداده للثورة والموت في سبيل استمراره على أرضه والتضحية بحياته في سبيل ذلك، هذا الطرح، بدحض الافتراء الذي ساد في ان الفلاحين الفلسطينيين باعوا أرضهم للحركة الصهيونية ب ينم الحقيقة ، ان الملاكين العرب والفلسطينيين هم الذين باعوا ، حيث كانت الملكيات الكبيرة عامل مهم في توسيع ملكية اليهود ومساهمة ذلك في تسريع بناء الكيان اليهودي، وهذا أبرزته الدراسة بشكل واضح. حاول هذا الفصل إبراز الظروف والممارسات التي أوصلت الشعب الفلسطيني لحمل السلاح والثورة.

أما الفصل الثاني فيتحدث عن مفهوم الثورة والإرث التاريخي للثورة والنضال في حياة الشعب الفلسطيني. من خلال تناول مجموعة حركات الانتفاض في فترة الانتداب البريطاني، وخاصة

انتفاضة 1920، البراق 1929، أحداث 1933، حركة القسام 1935، حيث توصل الشعب الفلسطيني أي قرار حمل السلاح بعد فشل الأساليب النضالية السلمية التي مارستها القيادة الفلسطينية التقليدية من الطبقة العليا في المجتمع الفلسطيني ، والظروف الصعبة الاقتصادية والسياسية أوصلتهم ضرورة الثورة المسلحة ، والتي وجدت صيغتها النهائية والفعالة في ثورة 1936-1939، ومن طرف الفئات المسحوقة والمتضررة من الانتداب والصهاينة، مع مشاركة فعالة من البدو في ارض فلسطين.

يبرز الفصل ان الثورة متأصلة ومتجددة وليست طارئة في وجدان وثقافة الشعب الفلسطيني، يتم الحديث في هذا الفصل عن المراحل التي مرت بها الثورة وهي ثلاث مراحل رئيسية تقطعها فترة تميزت بالعمل السياسي - وهي فترة إعداد تقرير لجنة بيل - الذي طرح فكرة التقسيم بين العرب واليهود. مما أدى إلى رفض العرب واستمرار الثورة من جديد ، من خلال الحديث عن الجوانب العسكرية والخسائر البشرية والممارسات الانتدابية والصهيونية ضد الشعب الفلسطيني بشكل عام. وينتهي هذا الفصل بنتائج الثورة وتأثيرها على الواقع الفلسطيني من خلال إبراز الإيجابيات والسلبيات التي تركتها الثورة .

الفصل الثالث، فيتحدث عن العلاقة بين القرية والمدينة في الجوانب السياسية ، الاقتصادية، الاجتماعية ، دور الانتداب والصهيونية في هذه العلاقة . يتم التركيز على عقد مقارنة بين الطرفين ودورها في الثورة، يتوصل الباحث إلى أنها كانت علاقة تضامنية ومشاركة فعالة مع سيطرة للقرية . ترك ذلك تغيير في قاعدة السيطرة في المجتمع الفلسطيني، كانت في السابق للمدينة، بينما أصبحت حالياً للقرية بسيطرة الفلاحين على القيادة الميدانية ومجريات الأمور وخاصة العسكرية والسياسية مما أدى إلى سيطرة مفاهيم وتراث ثقافي ذو أصول فلاحية.

الفصل الرابع، يبرز دور القرية بشكل فعال من خلال الأرقام والإحصائيات ومدى المشاركة والتضحيات والخسائر التي تحملتها القرية خلال الثورة، حيث كانت القرية هي المسيطر والفاعل في أحداثها، وخاصة في المراحل المتأخرة مع إبراز تأثير الانتداب والصهيونية على القرية في الجوانب المختلفة، والأساليب التي اتبعت لإنهاء سيطرة القرية على الثورة. في الختام ، يتوصل الباحث إلى أن دور القرية فاعل وأساسي في الثورة حتى أنها كانت فلاحية بمنطقاتها وقيادتها وعناصرها . وكانت القرية عامل وحدة، غرست مفاهيم التعاون والتضحية والانتماء بين أطراف الشعب الفلسطيني برغم محاولات الانتداب الصهيوني في بث الفرقة وإثارة الفتنة بين أفراد الشعب من خلال الأحزاب والنشاطات التي قامت بها ، وبالتالي أدت

الثورة إلى أن تحمل في ثناياها بذور الفرقة والخسارة للشعب الفلسطيني بينما استطاعت الصهيونية تحقيق انجازات مهمة من الثورة لصالح الدولة اليهودية، بالإضافة إلى وضع الجهل والفقر والإهمال والعشائرية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي يعانيه القطاع الريفي في المجتمع الفلسطيني خلال حياته الطويلة.

Abstract

The title of the dissertation

The Role of the Village in the Palestinian Revolution from 1936 -1939

By

Salameh Abdulla Salameh Ladadweh

This dissertation is part of the requirements for

M.A in Contemporary Arab Studies

Al-Quds University, 2004/2005

This Dissertation tries to shed light on the role of the Palestinian village, the degree of its participation in the revolution, the burdens and sacrifices made by the villagers, the nature of the relationship between the village and the city, the role of the British Mandate and the Zionist movement. Driving a wedge between the people of the village and those of the city, as well as the other sections and classes of the Palestinian society. In addition, this dissertation has focused on the impact of the British Mandate, on the different aspect of the Palestinian life in general and the Palestinian village in particular. The previously mentioned questions and topics will be discussed in four chapters.

Chapter One starts with a historical introduction to the Palestinian situation marked by western, mainly British and Zionist political interest in Palestine, which took two basic forms. The first form is file Jewish immigration and their used by the Jews and the relevance between the countries where the Jews immigrated from, the political and economics roots of those immigrants and their immigration to Palestine as well as the other reasons behind the increase in the Dumber of immigrants such as the role of the British Mandate measures, the Mandate document and Belford Declaration. The second form deals with settlement activities and of land through different and unlawful methods and tricks. It also addresses the role of Palestinians m combating this policy and defending Palestinian land and nation. In this chapter, it appears that the Palestinian land has become the center of the Palestinian life as it is the essential source of livelihood and its loss signifies an attempt to uproot the

Palestinians. Therefore, the Palestinians proved their readiness to die in defense of their country. This disproves the allegation that the Palestinian peasants had sold their land to the Zionist movement. In fact, big Arab and Palestinian land owners are those who really sold their lands. The sale of these large areas of land, unfortunately, helped in extending the area of land controlled by the Jews and accelerating the establishment of the Jewish entity. This chapter also reviews the circumstances, including the British and Jewish malpractices, which forced the Palestinians to carry arms and rebel against the Mandate Authorities.

Chapter two: this chapter addresses the concept of the revolution and the historical legacy in the Palestinian life from the 17th century up to 1936 through presenting and discussing a group of revolutions such as 'Nuqaba Revolution' the 'Revolution against Ibrahim Basha' in 1925 and 1920 against the British Mandate, 'Al- Buraq Revolution' '1929 and 1933 Revolution' and 'Al Qassam Revolution' in 1935. The previous mild and mini revolutions have led the Palestinians to believe in the futility of the peaceful technique, something which led to the development of armed struggle mentality among the Palestinians as an effective means to realize their goals and objectives. In this chapter, it appears that the revolution was deeply rooted and therefore renewable, tenable, viable and not a passing event. This chapter also presents the various stages that the revolution had passed through. It concludes with both the positive and negative results created by the revolution.

Chapter three deals with the relationship between the village and the city from different perspectives: political, economic, social and the role of the British Mandate and the Zionist movement in driving a wedge between them.. In addition, this chapter shows the failure of the British and the Zionist Movement in their divisive policy which aimed at splitting people in line with the slogan: divide and rule. It also appears, in this chapter, that the village had the upper hand in running and controlling the revolution.

Chapter four. this chapter details the effective role of the villagers in the revolution by proving that statistically, in terms of their involvement, sacrifices and losses .. This chapter also reviews the consequences of the British Mandate policy on the village.

The conclusion: the researcher concludes that the village played an essential and effective role in the revolution. In fact, the revolution had been mainly peasants- based, peasants- run and peasants - recruited. it instill the spirit of sacrifice and co-operation among the various sections of the Palestinian society.

End of Abstract

المحتويات

I: - المقدمة.

الفصل الأول

II: - مدخل تاريخي.

- أ. فلسطين في الفترة العثمانية المتأخرة.
- ب. الوضع الإداري والسياسي.
- ج. الموقف الفلسطيني من التغلغل الصهيوني.
- د. دور الانتداب البريطاني في التمهيد لانفجار الثورة.

الفصل الثاني

III: ثورة عام 1936-1939: -

"مفهوم، أسباب، مراحل، نتائج"

- أ: المفهوم.
- ب: أسباب الثورة.
- ج: مراحل الثورة.
- د: نتائج الثورة ودروسها.

الفصل الثالث

IV: العلاقة بين القرية والمدينة في الثورة: -

- أ: العلاقة الاقتصادية.
- ب: العلاقة الاجتماعية.
- ج: التفاعل السياسي.
- د: الجوانب الثقافية والتعليمية.
- هـ: دور الانتداب والصهيونية في هذه العلاقة.

الفصل الرابع

VI: دور القرية في الثورة: -

- أ: حجم القرية: التأثير والثقل العام.
- ب: الدور السياسي للقرية.
- ج: التوازن والدور العسكري للقرية.

- د: الدور الإعلاني والثقافي للقرية.
- ه: الاستيطان والصهيونية وأثرهما على القرية.
- و: السياسة البريطانية ضد القرية.
- VII: الخاتمة.
- VIII: قائمة المراجع.
- VIII: الملاحق.

فهرس الجداول والملاحق

الصفحة	نوع الجدول	الرقم
	الهجرة اليهودية الى فلسطين (1919-1936).	2/1
	تركيبة المهاجرين اليهود المسجلين (1933-1938).	2/2
	التوزيع الجغرافي لليهود القادمين الى فلسطين .	2/3
	معدلات الهجرة اليهودية في سنوات الثورة .	2/4
	الفئات العمرية للمهاجرين اليهود	2/5
	توزيع ملكية أراضى في فلسطين عام 1918	2/6
	الأرض المشتراة من طرف اليهود (1878-1936).	2/7
	أراضى المباعه من اطراف غير فلسطينية لليهود.	2/8
	عمليات شراء أراضى في فترة الثلاثينات.	2/9
	النشاطات العسكرية التي قام بها الثوار عام 1938.	2/10
	احصائية بعمليات الثورة (1936-1939).	2/11
	تطور القطاعين الحضري والريفى في فلسطين.	3/12
	نسبة الأمية في فلسطين عهد الانتداب	3/13
	طلبات الانتساب والقبول للمدارس في القرى (1933-1944).	3/14
	أعداد السكان في فلسطين.	4/15
	قائمة بأسماء بعض المخاتير الذين تم إعدامهم من الثوار.	4/16
	أسماء أبرز القادة في الثورة (مهامهم وأصولهم).	4/17
	قوات الشرطة في فلسطين حسب الأصل القومي والديني.	4/18

الملاحق

الرقم

- (١) تأليف أُللجان القومية في قرى نابلس .
- (٢) بيان أهالي يافاحول اعلان الاضراب .
- (٣) احتجاج أُللجنة القومية للمندوب السامي .
- (٤) قرارات الهيئة الوطنية بحيفا .
- (٥) دعوة رؤساء ألاحزاب .
- (٦) بيان حول تأليف أُللجنة العربية العليا .
- (٧) قرارات اللجنة العربية العليا واطلان مطالب الامة .
- (٨) النداءات في الدعوة الى الاضراب العام 1936 .
- (٩) بيان اهالي القدس بالامتناع عن دفع الضرائب .
- (١٠) الحكم بالاعدام على فخري النشاشيبي .
- (١١) منشور انجليزي وزع في القرى العربية .
- (١٢) ديوان الثورة العربية يبلغ مخاتير القرى حول اسماء المواطنين .
- (١٣) أعضاء أُللجنة العربية العليا - 1936 .
- (١٤) أعضاء مؤتمر أُللجان القومية في القدس .
- (١٥) اعضاء اللجنة القومية في القدس .
- (١٦) الموقعون على مذكرة كبار الموظفين العرب في فلسطين .
- (١٧) قائمة باسماء المعتقلين اثناء الاضراب الكبير .
- (١٨) اعلان عن قوة بوليس فلسطين .
- (١٩) قوائم بأسماء عدد من شهداء الثورة 1936-1939 .
- (٢٠) عدد المستعمرات اليهودية التي أنشئت في عهد الأانتداب في فلسطين
- (٢١) اسماء بعض قادة الفصائل في الثورة الكبرى.

المقدمة

دور القرية في الثورة الفلسطينية الكبرى

1936-1939

تهدف الأطروحة المقدمة للإجابة عن الأسئلة الثابتة:-

١. ما هو حجم المشاركة ا لذي لعبته القرية في الثورة مقابل المدينة الفلسطينية في الجوانب السياسية، العسكرية ؟
٢. ما هي طبيعة العلاقة التي كانت سا حة بين القرية والمدينة خلال الثورة مقارنة بما كانت عليه سابقا من مختلف النواحي السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، العسكرية... من خلال تناول القيادة السياسية الفلسطينية وعلاقتها مع القرية ؟
٣. ما هي طبيعة السياسة والإجراءات البريطانية المتخذة بحق القرية مقارنة مع المدينة من طرف الانتداب ؟
٤. إيضاح تأثير الحركة الصهيونية والاستيطان من جانبي بيع الأراضي والاستيطان على تطور القرية وموقفها من ذلك.
٥. إبراز دور الثورة والممارسة الثورية في الحياة الفلسطينية بشكل عام والقرية بشكل خاص على مدار التاريخ الفلسطيني المعاصر والذي تبلور بوضوح في ثورة العام 1936-1939 مع تناول مراحل الثورة فيها.

هذه مجموعة الأسئلة الرئيسية التي ستحاول الأطروحة تناولها بالتحليل والتمحيص للوضع الذي كانت ع لية القرية الفلسطينية قبل وأثناء الثورة الفلسطينية الكبرى من جهة ثانية يلاحظ أن هناك الكثير من التجارب النضالية للدول والشعوب على مستوى العالم خاصة الثورات التي حصلت على أسس فلاحية أو وقعت في المناطق الريفية، حيث تتشابه وتختلف في الكثير من الصفات والمميزات مع الثورة الفلسطينية 1936-1939 مثل الريف المغربي ضد الأسبان والثورات في أمريكا اللاتينية خاصة الثورة الكوبية بوقوعها في المناطق الريفية والاعتماد على الفلاحين كعنصر أساسي في النضال ضد الاستعمار والقيادة المحلية. وبذلك تتفق مع الثورة

الفلسطينية في كونها ثورة تحرر وطني، واعتماد على الريف كنقطة انطلاق وطبقة الفلاحين كجزء من العناصر المتشكلة في ثورة خاصة في مراحل الانطلاق والاستمرار، كما تقترب التجربة الفلسطينية مع تجربة إقليم يونان وهولي في الصين والثورات الفلاحية في سوريا ولبنان من حيث نقطة الانطلاق من الريف وعناصرها وكاس تختلف بأن هذه ثورات كانت ضد الاقطاع وتسلطه وبهذا يمكن النظر إلى أن الثورة الفلسطينية تتشابه في بعض الجوانب مع الثورات الفلاحية أو التي حدثت في مناطق ريفية، كما تختلف في جوانب أخرى. ويُذكر أنه متعارف عليه تاريخياً عدم وجود تطابق تكامل بين ثورتين أو أكثر على مستوى العالم بل أن كامل ثورة لها ظروفها ومنطلقاتها وتجربتها الخاصة وهذا يُجمع عليه كافة المؤرخين والمنظرين الثوريين قديماً وحديثاً. وبالتالي يصعب المقارنة بشكل تام بين الثورات إلا في الإطار العام ضد الظلم والاستبداد مع اختلافاتها في الأساليب والوسائل رغم اتفاقها على الأهداف بالتخلص من الظلم وتحسين وضع وظروف القائمين بها لمستقبل أفضل وبهذا يمكن القول أن تجربة الثورة الفلسطينية في عام 36-39 تجربة رائدة على مستوى الوطن العربي كثورة تحرير وطني واعتمادها على الريف وسكانه وارضه كقاعدة انطلاق واحداث نتائج. إن مهمة تحقيق مثل هذه الغاية سوف تكون من خلال البحث، المقارنة، التحليل العلمي والنقدي للمعلومات من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية الصحيحة، التي عاشتها الثورة طوال فترة النضال السياسي والمقاومة العسكرية المتبعة للوصول إلى حقوقه المشروعة. سيتم إيضاح هذه الحقائق من عدة أساليب وأشكال خاصة السرد التاريخي المبني على الإثبات والبرهنة للمعلومات ومصداقيتها من خلال التدقيق في مصادر المعلومات المتنوعة لهذه الفترة من عمر النضال الفلسطيني.

وبهذا يتضح أن الإشكالية التي يحاول البحث إيضاحها وحلها تتمثل في الدور والمشاركة التي مارستها القرية مقارنة مع المدينة. الانجازات التي حصلت عليها مقارنة بالقضحيات التي بذلتها أثناء الثورة؟

ومساهمة الثورة في تغيير موازين القوى بين طبقات وفئات المجتمع الفلسطيني؟

وبهذا، سيركز الباحث على حل هذه الإشكالية . ومدى طبيعة العلاقة والدور الذي كان مساندا داخل المجتمع الفلسطيني قبل الثورة وأثناءها ،على الصعيد السياسي والعسكري للقوية.

سنتوزع الدراسة على مجموعة من الفصول:-

أ -المقدمة: سنتحدث عن أهداف البحث والإشكالية الموجودة وطرق حلها، بالإضافة إلى أسلوب الدراسة والمصادر الرئيسية والثانوية، التي تتناول نتحدث عن الموضوع، بالإضافة إلى الأطراف المستفيدة من هذا البحث على مختلف المستويات المحلية والعربية والدولية ،ومدى الفائدة التي سيقدمها البحث من خلال زاوية التناول الهجيدة عن السرد التاريخي إلا في بعض الفصول . سيتم التركيز على البحث النقدي،التناول العلمي الموضوعي للأحداث لإعطاء صورة نوعية جديدة عن دور وأثر القرية الفلسطينية في الثورة الكبرى 36-39.

ب -مدخل تاريخي: يتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع الفلسطيني في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، وتأثير ذلك على المجتمع الفلسطيني من زاوية التغلغل الصهيوني ، والاستعمار في فلسطين كونها مقدمة للانتداب البريطاني والسيطرة الصهيونية على الأرض ،الحياة السياسية في فترة الانتداب، ومدى المساعدة التي قدمها الانتداب البريطاني لليهود والحركة الصهيونية في السيطرة على فلسطين. كما يوضح الفصل الرفض الفلسطيني ومقاومته لذلك سواء في الفترة العثمانية أو فترة الانتداب وصولا إلى الثورة المسلحة الكبرى 1936-1939.

ج - الفصل الثاني فسيتم الحديث فيه عن الثورة من حيث أربعة محاور:-

1- مفهوم الثورة في التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر منذ القرن السابع عشر وحتى الآن . بتناول مجموعة من الثورات والانتفاضات التي حصلت في فلسطين. مما يدل على تجذر الثورة والنضال في الفكر والممارسة لدى المجتمع الفلسطيني تاريخيا. وامتداد هذا المفهوم تاريخيا ، مما يشكل ارث تاريخي ورافعة للشعب الفلسطيني ونضالاته وثوراته في القرن العشرين وخاصة ثورة 1936-1939، حيث

كانت النموذج الارقي في التاريخ العربي المعاصر ، حيث لم تضاهيها ثورة سوى الثورة الجزائرية، وبالتالي نستنتج أن الثورة متجذرة في الحياة الفلسطينية وتؤكد من استمرارها حتى الآن في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

2: الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى الثورة.

3. مراحل الثورة ، حيث هناك عدة وجهات نظر حول المراحل فالبعض يقسمها إلى ثلاث مراحل- قسم آخر إلى مرحلتين والبعض إلى أربع مراحل وبالتالي سيتم محاولة الحديث عن الثورة حسب وجهة نظرنا إلى ثلاث مراحل: الأولى تشمل فترة الإضراب ، بينما الثانية من خروج تقرير لجنة بيل حتى مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن ، بينما المرحلة الثالثة تمتد طوال فترة العام 1939.

4. نتائج الثورة في الجوانب السياسية، العسكرية، الاقتصادية والخسائر البشرية وغيرها مع التركيز على القرية في ذلك.

د. الفصل الثالث: سيتم الحديث فيه عن العلاقة بين القرية والمدينة في الثورة مقارنة عما كانت عليه هذه العلاقة قبل الثورة ، من خلال تناول موازين القوى ، السيطرة ولمصلحة من كانت في كل فترة، التأثيرات التي تركتها هذه العلاقة والسيطرة على الحياة الفلسطينية.

هـ. الفصل الرابع: فسيتحدث عن دور وحجم المشاركة الحقيقية للقرية والريف الفلسطيني في الثورة من الجوانب السياسية والعسكرية والثقافية ، بالإضافة إلى السياسة البريطانية ضد القرية ، تأثير الاستيطان والصهيونية على القرية في أثناء الثورة ، عملية قضم أراضيها تحويل سكانها إلى وضع جديد.

و. الخاتمة والاستنتاجات حيث سيتم إبراز العبر والتجارب والاستنتاجات الحاصلة في الثورة، وأثرها على النضال والمجتمع الفلسطيني.

سيتم دراسة الثورة ودور القرية فيها من خلال المعلومات والمصادر الأولية والأساسية والوثائق والكتب والمقابلات ، التي تحدثت عن الثورة والمشاركين فيها على مختلف

الأصعدة والمستويات ، بالإضافة إلى الأشخاص الذين كتبوا عنها وبالتالي سيتم تقسيم المصادر المنوي استعمالها حسب قائمة المراجع المرفقة في نهاية البحث.

في الختام أود أن أشير إلى أن ظروف الأراضي الفلسطينية وتعرضها للاجتياحات والإغلاقات تزامنت مع جمع المعلومات لهذه الدراسة وبالتالي عدم القدرة على الوصول إلى بعض المصادر والمعلومات.

- الفصل الأول

مدخل تاريخي

أ- فلسطين في العهد العثماني المتأخر.

كانت فلسطين جزءا من الدولة الإسلامية منذ الفتح الإسلامي، حيث استمرت كجزء من بلاد الشام وعاشت كافة الأحداث في المنطقة. وتعددت قلب العالم العربي كونها صلة الوصل بين جزأيه الآسيوي والإفريقي. كانت فلسطين حلقة مهمة واستراتيجية ومركزا لأحداث مهمة. وشكلت بؤرة صراع وخاصة في العصر الحديث وقد أدرك هذه الأهمية الدولة العثمانية ، الاستعمار بدءا من نابليون ووصولاً إلى البريطانيين ومحمد علي باشا والحركة الصهيونية.

لذلك أثر موقعها الجغرافي وصلتها الكبيرة بالأراضي المجاورة على مر الزمن على تطورها ومصيرها، وارتبط مصيرها بأوضاع الجزيرة العربية ، مصر ، سوريا والعراق منذ القدم، تعرضت للهجرات السامية من الجزيرة العربية، وما حملته من سيطرة سياسية واقتصادية لهذه المجموعات السامية القادمة إليها . وصراع الدول والإمبراطوريات للسيطرة عليها لموقعها وخصوبتها . واستمر الوضع في زمن الآشوريين ، الكلدانيين، الفرس، الروم، اليونان، والمصريين القدماء اعتبروا فلسطين الحد الشرقي لمصر ، فاحتلوها فترات طويلة تأميناً لاستقلال مصر وخوفاً من الغزو الآسيوي وسار اليونان والرومان على نفس القاعده بعد احتلالهم لمصر. "ولم تغفل الدول الإسلامية التي قامت في مصر أثناء العصور الوسطى ذلك المبدأ فقد خضعت فلسطين للفاطميين والأيوبيين والمماليك حتى الصليبيين حاولوا غزو مصر للحفاظ على دولتهم المسيحية في الشام.

شكلت فلسطين بؤرة صراع في المنطقة ، وذلك لموقعها المتوسط في " قلب الوطن العربي وواسطة عقدة وقبله أنظاره ومهد الديانات التوحيدية الكبرى في التاريخ وملتقى الحضارات، وهي بلاد خيرة جميلة ومن أهم بقاع الأرض قاطبة من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية ممثلة بوجود بيت المقدس كمهد للديانات السماوية الثلاث . وزادت أهمية فلسطين كبؤرة صراع في أواخر القرن الثامن عشر أبان غزو نابليون لمصر والشام ثم في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر عندما هجمت جيوش محمد علي الدولة العثمانية. وافتتح قناة السويس عام 1869 واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882، ظهرت أهمية موقع فلسطين الاستراتيجي مما جعلها هدفا لأطماع بريطانيا الإمبريالية بحجة حماية قناة السويس وحماية طرق مواصلاتها إلى الهند.

وكان إصدار "تصريح بلفور في الثاني من نوفمبر عام 1917، آخر حلقة من حلقات التطويق التي وضعها الاستعمار البريطاني لاحتلال فلسطين في النهاية"¹. وقد سبق نابليون البريطانيون في الاهتمام بفلسطين وموقعها من خلال تشجيعه لفكرة إعادة تأسيس القدس القديمة من خلال دعوة اليهود للسير تحت رايته واصفا "إياهم بأمة فريدة وصاحبة حق مشروع في وراثة فلسطين"².

كان تلاقي المصالح بين بريطانيا والحركة الصهيونية واضحا في السيطرة على فلسطين كل لأهدافه الخاصة، فبريطانيا ترغب في المحافظة على حركة التجارة نحو الهند والسيطرة على قناة السويس، حيث أن الهدف الاستعماري هو إقامة حاجز بشري استعماري غريب يحول دون قيام دولة عربية مستقلة موحدة تضم المشرق العربي وإفريقيا العربية وذلك حفاظا على السيطرة الأجنبية على مقدرات الوطن العربي.

والحركة الصهيونية في إقامة وطن قومي في فلسطين وتبلور ذلك بوضوح في إصدار تصريح بلفور، وتجذر أكثر من خلال السعي لتطبيقه على الأرض وبشكل قانوني من خلال صك الانتداب الذي صيغ بشكل كبير لتطبيق الوعد ويظهر في البنود الكثيرة التي اشتملها صك الانتداب"³.

ولم تخرج ألمانيا عن إطار الصراع حول فلسطين من خلال علاقاتها مع الدولة العثمانية وتشجيع اليهود لهم ويظهر" في رسالة هرتسل إلى قيصر ألمانيا في 1899/3/10 الذي حثه فيها على تبني تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ان هذه الفكرة كانت قد نالت عطف أحد عظماء ملوك هذا القرن هو نابليون بونابرت"⁴ ودخلت الحركة الصهيونية وألمانيا طرف كباقي الدول الاستعمارية، داعية الصراع والاهتمام بفلسطين الخاضعة للدولة العثمانية التي أدركت هذا الاهتمام الاستعماري والصراع الغربي على فلسطين، واتخذت سياسات مضادة من خلال تأسيس سنجق القدس المرتبط بالأسنانة مباشرة لإحكام السيطرة ومتابعة شؤون فلسطين، في ظل تزايد الهجرة اليهودية وزيارات الأجانب وتأسيس القنصليات والمدارس التبشيرية والامتيازات للأجانب، فقامت بوضع قوانين وأنظمة لضبط الأمور هناك. وهكذا جاءت الفكرة الصهيونية في توجيه أنظار اليهود نحو فلسطين استجابة لرغبة الدول الاستعمارية الكبرى في استخدام الجاليات اليهودية لأغراض استعمار منطقة الشرق الأوسط وفلسطين بشكل خاص، وساهمت الحركة الصهيونية كحركة استعمارية متوافقة مع الاستعمار الغربي ومصالحة في تشجيع الهجرة إلى فلسطين والتلاعب على تناقضات الدول الاستعمارية في سبيل تحقيق أهدافها في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين من ذلك نستنتج تاريخيا أن فلسطين شكلت بؤرة صراع سياسي واقتصادي وعسكري على مستوى العالم والمنطقة في مختلف العصور.

¹ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص 16.

² نفس المصدر السابق، ص 24.

³ يمكن الرجوع إلى صك الانتداب وخاصة المواد 2، 4، 6، 7، التي تتحدث عن اليهود وتطبيق تصريح بلفور وتسهل إقامة الوطن القومي اليهودي.

⁴ مركز دراسات الوحدة العربية وجمعية الخريجين العرب، القضية الفلسطينية في أربعين عاما بين ضرورة الواقع وطموحات المستقبل، ص 20.

ب- الوضع الإداري والسياسي.

عانت ولاية الشام في الفترة العثمانية المتأخرة قبل تقسيمها إلى عدة ولايات وسناجق من أعباء كثيرة كان على رأسها المساحة الواسعة والكبيرة التي كانت تتكون منها الولاية، حيث كانت بحدود بلاد الشام كاملة تقريبا. أدى إلى ضخامة الواجبات والمسئوليات المطلوبة من إدارة الولاية ومتابعة أمورها الإدارية والمالية والعسكرية. والحاجة إلى طاقات وأعداد كبيرة للقيام بهذه الواجبات الملقاة على عاتق إدارة الولاية، ساهم البعد عن مركز الولاية وخاصة من سكان الأطراف في الجنوب والشرق المتواصلين مع الصحراء إلى نوع من التمرد والفوضى والنهب، والسلب من البدو الذين قاموا بأعمال سلب ونهب على القرى والمدن وفرض إتاوات عليهم، وتخريب الحياة الاقتصادية والزراعية والتجارية وأدى إلى هجرة سكان الريف وتخريب القرى وخاصة في مناطق شرق الأردن مثل الكرك ومعان وعمان ووصل تأثير البدو في فلسطين إلى مناطق القدس والخليل وحتى الجليل. فرض على الولاية القيام بحملات عسكرية لتأديب البدو وفرض النظام والقانون. وما تحتاجه هذه الحملات من تجهيزات مادية وبشرية على عاتق الولاية وشكلت عبئا كبيرا على الولاية وإدارتها.

برز الاهتمام العثماني بها بشكل كبير وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر من خلال تنظيمها إداريا وخاصة بتشكيل "سنجق القدس" المرتبط رأسا بوزارة الداخلية في استنبول، وتتبع السنجق: أ قضية بئر السبع، غزة، الخليل، بيت لحم، أريحا، يافا، واللد، الرملة، مدينة القدس نفسها، رام الله والمجدل⁵ أما باقي أجزاء فلسطين الشمال فوقع خضعت ضمن إطار ولاية بيروت التي استحدثت في " 1888 وتضم طرابلس واللاذقية وعكا ونابلس الأولى عن البلقاء كان كل قضاء (سنجق) يضم عددا من النواحي...وتشمل كل ناحية عددا من القرى والمزارع... وانتسبت إلى قضائي عكا ونابلس 11 ناحية وفيها 494 قرية ومزرعة. كما انتسبت إلى متصرفية القدس 11 ناحية أيضا فيها 384 قرية ومزرعة وهكذا فالمساحة الفلسطينية تحددت في أجزاء من ولاية بيروت ومتصرفية القدس⁶.

تشكلت فلسطين التاريخية في العهد العثماني من عدة سناجق منفصلة إداريا إلا أنها متصلة سياسيا واقتصاديا ومتداخلة اجتماعيا ويعمل إحداث هذه التغيرات الإدارية وخاصة سنجق القدس لكثرة المشاكل بسبب ازدياد تدخل الدول الأوروبية والمؤسسات الدينية وبخاصة اليهود، بفلسطين والهجرة إليها وشراء الأراضي فيها بحيث أوجد وضعًا خاصًا لها اقتضى ربطها مباشرة باستنبول. أما بالنسبة إلى تشكيل ولاية بيروت وضم سنجق عكا، الذي تألف من أفضية حيفا، طبرية وصفد والناصرية إلى جانب مركز اللواء وهو عكا وسنجق البلقاء- نابلس الذي ضم مركز اللواء نابلس وقضاءي جنين وبنين صعب

⁵ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص 18.

⁶ - توما، د. أميل، فلسطين في العهد العثماني، ص 116.

(طولكرم) فتعد ذلك للأهمية التجارية والسياسية التي تمتعت بها بيروت والمناطق التابعة لها وكذلك بسبب الأعباء الملقاة على عاتق سوريا.

ساهمت التوجهات الاستعمارية الغربية ومحاولاتها الدخول في جسم الدولة العثمانية وخاصة بلاد الشام، من خلال نظام الامتيازات والقناصل الأجانب وإتباعهم أسلوب الحماية للاقلييات في الدولة العثمانية. والتدخل في شؤون الدولة العثمانية زاد من المسؤوليات والأعباء الملقاة على عاتق الوالي وإدارته، كما أن عمليات التبشير ونشر الدين المسيحي وفتح المدارس والمؤسسات التعليمية وما يرافقه من غزو ثقافي وتغيير اجتماعي في مجتمع بلاد الشام، و دخول الأفكار والآراء الغربية مثل الديمقراطية، حرية الرأي، القومية، الاشتراكية، العلمانية وغيرها من الأفكار والمبادئ الغربية. تطلبت جهود أكبر من طرف القيادة السياسية والدينية في مجتمع بلاد الشام المحافظ والسني لمواجهة هذه الأفكار والمبادئ والتي كان لها تأثير ودور كبير في بداية القرن العشرين، كما ان مسؤولية والي الشام في تأمين قافلة الحج إلى الديار الحجازية سنويا وتحمل تكاليفها وحمايتها عسكريا وذهاب الوالي شخصيا كأمر للحج . ساهم في زيادة المسؤوليات وابتعاد الوالي عن مركزه عدة شهور في السنة مما يترك تأثيرات على إدارة شؤون الولاية، وبالتالي الحاجة إلى جهد وقوة أكبر للحفاظ على أمن وسلامة الولاية المترامية الأطراف، لهذه الأسباب مجتمعة ونتيجة لحالة الاضطراب والفوضى التي أخذت تحصل في المناطق المختلفة مثل جبل لبنان الكبير وثورات البدو في مناطق الكرك والشوبك ، وعمليات الانفصال من طرف ظاهر العمر وأحمد باشا الجزائر ، وتدخلات القناصل الأجانب وما أدت إليه من إثارة الفتن الدينية والعرقية والصراعات الاجتماعية، أدت بالدولة العثمانية إلى تقسيم بلاد الشام إلى عدة ولايات، حيث أصبح هناك ولاية بيروت وجبل لبنان، كما ضمت ولاية صيدا خمس مناطق شمال فلسطين وطرابلس في لبنان وتم عمل سنجق القدس الشريف مربوطا بوزارة الداخلية مباشرة لأهميته الدينية ، والاهتمام الأوروبي بمنطقة القدس وفلسطين نتيجة سياسة الهجرة اليهودية التي أخذت تزداد في نهاية القرن 19 . أصبحت ولاية الشام بحجم أصغر وتشمل مناطق حوران والبلقاء والمناطق المحيطة بها لتخفيف العبء عن الولاية وزيادة النشاط والاهتمام في الولايات الأخرى للزيادة في نجاعة العمل وإحكام السيطرة على المناطق.

هذا هو الإطار الإداري لفلسطين في الفترة المتأخرة للدولة العثمانية مع حدوث بعض التعديلات من قضاء إلى آخر أو من سنجق إلى آخر، إلا أن الإطار العام تحدد ضمن السناجق الثلاث وهي القدس في الجنوب وعكا في الشمال والبلقاء في الشرق، حيث أخذت تتبلور الشخصية الفلسطينية والعربية ضمن هذا الإطار ، والذي برز بشكل واضح مع بداية القرن العشرين وخاصة في ظل سياسة التتريك، أطلق على هذه الفترة العهد الحميدي نسبة إلى السلطان عبد الحميد الذي تولى أمور السلطنة منذ عام 1876 وحتى عام 1909 بشكل مباشر، حيث كانت له سياسات ومواقف اتجه فلسطين عبرت عن مصالح وسياسة الدولة العثمانية نحو فلسطين، حيث أظهر هذا السلطان اهتماما خاصا بفلسطين لأسباب عدة

أهمها المركز الديني والتجاري بالإضافة إلى توجه أنظار اليهود والاستعمار لها من خلال زيادة أعداد المهاجرين إليها وتسبق المؤسسات الدينية الأجنبية على العمل على أرضها وخوفه من خسارة أجزاء جديدة من الإمبراطورية بعد خسارة البوسنة والهرسك في أجزاء الدولة الأوروبية. ترك العهد الحميدي على فلسطين تأثيرا كبيرا كباقي أجزاء الإمبراطورية من خلال السياسات والأعمال التي قام بها في المجال الداخلي والخارجي وخاصة تفعيل البرلمان في بداية حكمة تم تعطيل الدستور فيما بعد والحكم بشكل مطلق، ورث أوضاع اقتصادية وسياسية ومالية صعبة وجيش ضعيف، الحركات القومية في أجزاء الإمبراطورية بالإضافة إلى الاستعمار والصهيونية.

وفي فلسطين برزت هذه الأخطار خلال فترة حكم عبد الحميد أكثر من أي منطقة عربية مجاورة " فبالإضافة إلى زحف النفوذ الأوروبي السلمي منذ بداية عهد التنظيمات برزت الحركة الصهيونية التي بدأت استيطان فلسطين تنفيذا لبرنامج إقامة دولة يهودية فيها " ⁷. و تأثر المجتمع الفلسطيني بسياسة السلطان عبد الحميد بشكل كبير ترك تأثيراته حتى اليوم على الوضع الفلسطيني.

عانت فلسطين من الأزمات الخارجية التي تعرضت لها الإمبراطورية بخاصة ثورات شعوب البلقان المطالبة بالانفصال والاستقلال عن الحكم العثماني... كما شكلت الحرب الروسية العثمانية سنة 1877 وهزيمة الجيش العثماني وخسارة أراضي جديدة من الدولة وما ترك ذلك من تأثير في استنزاف اقتصادي وبشري حيث " أن العثمانيون خسروا في تلك الحرب نحو مائة ألف عسكري... وأن حصّة فلسطين وجارتها منطقة البلقاء كانت أكثر من عشرة آلاف قتيل في ساحات المعارك " ⁸. انعكست الأزمات التي مرت بها الدولة العثمانية على أحوال الأهالي في فلسطين من خلال زيادة الضرائب وتجنيد الشباب كما شكلت فلسطين ملجأ لبعض سكان الإمبراطورية الفارين من مناطق الخطر مثل البشناق والشركس ورجال الثورة العربية بعد احتلال مصر وقد أولى العثمانيون فلسطين اهتماما متزايدا بعد سنة 1882. لسببين مهمين: لأنها أصبحت منطقة حدودية بعد احتلال بريطانيا لمصر، ولأنها صارت محط أنظار الحركة الصهيونية التي بدأت استيطان البلد في سبيل إقامة دولة يهودية وقد التقى هذان العاملان (المطامع الاستعمارية البريطانية والخطط الصهيونية) في خطين متوازيين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى فأديا إلى التعاون في إصدار تصريح بلفور سنة 1917.

أصبحت علاقة الدولة العثمانية مع بريطانيا وفرنسا سيئة مع بداية تقارب ألماني عثماني تجسد في مساعدات وزيارات، انعكست في تحسن الأحوال الاقتصادية وتحسن الخدمات الصحية والتعليمية والأوضاع الديمغرافية فبعد أن بلغ عدد سكان فلسطين 470,000 نسمة في أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر، شهدت العقود الثلاثة التالية التي حكم فيها عبد الحميد استمرارا في الزيادة حتى وصل العدد

⁷ - مناع، عادل، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700-1918، ص 213.

⁸ نفس المصدر السابق، ص 215.

نحو 650,000 نسمة 1908 " ⁹. وذلك بفعل الهجرة إليها فيما تتحدث إحصائيات أخرى مثل سالنامة العام 1871-1872 " أن عدد سكان فلسطين هو 317,195 يؤلف المسلمون منهم 269,960 وغير المسلمين 47,235 أي أن نسبة المسلمين من مجموع السكان 85,11% وغير المسلمين 14,89% ولا تدخل نسب اليهود من هذا المجموع " ¹⁰. ويلاحظ أن الزيادة السكانية برزت بشكل في إحصاء 1893 " حيث بلغ مجموعهم 425,966 نسمة وان نسبة الإناث هي 47,1% ونسبة الذكور 52,9% وتبلغ نسبة المسلمين منهم 87,3% وغير المسلمين 12,7% " ¹¹.

يلاحظ من خلال هذه الأرقام الزيادة السكانية والأسباب الداعية إلى زيادة حركة السكان في فلسطين لأسباب المذكورة سابقا والتحسين الاقتصادي الذي أخذ بالظهور والتنافس الاستعماري والصهيوني رغم أن هذه الأرقام لا تشمل الهجرة اليهودية.

انطلاقاً من الفكر الصهيوني وتوجهاته وحسابات اليهود والحركة الصهيونية بالهجرة إليها لدوافع دينية وسياسية وخاصة مع تبلور طروحات الفكرة الصهيونية حول دولة يهودية في فلسطين ، الذي أخذ يروج لها ثودور هرتسل أخذوا بالتوجه نحو فلسطين بطرق مختلفة شرعية وغير شرعية وعن طريق موانئ فلسطين أو الموانئ الأخرى من الدولة العثمانية وخاصة بيروت " ولكن الهجرة استمرت من روسيا وبلغ تعداد المهاجرين اليهود سبعة آلاف سنة 1882، ولا تتضمن هذه الأرقام عدد المهاجرين الفعلي الذي زاد عنها بكثير لان أناسا من المهاجرين كانوا ينزلون مرفأ بيروت أو غيره ثم يسافرون برا إلى القدس ولا تبلغ الحكومة بأعداد هؤلاء " ¹². ازدياد الضغط السياسي على اليهود وخاصة في روسيا ورفض الدول الغربية وخاصة بريطانيا أو أمريكا من استقبال أعداد كبيرة لديهم للظروف الاقتصادية الصعبة في تلك الدولة ولحالة البطالة العمالية والمنافسة من طرف هؤلاء المهاجرين في تلك الدول. المنفذ الوحيد لديهم هو التوجه نحو الدولة العثمانية بشكل عام وفلسطين بشكل خاص ، للتساهل والتسامح الديني والارتباط الديني المزعوم من طرف اليهود نحو فلسطين.

ساهمت مواقف حركة الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية والتساهل مع اليهود والحركة الصهيونية في زيادة حركة الهجرة نحو فلسطين، كانت العلاقات بين قيادة الاتحاد والترقي والحركة الصهيونية حسنة" وحين أطاحت جمعية تركيا الفتاه بالسلطان عبد الحميد في العام 1909 استفاد النفوذ الصهيوني بقدر كبير لان هذه الجمعية كان من بين أعضائها عدد من يهود الدون مة (وهم يهود اعتنقوا الإسلام) ، وكان

⁹ نفس المصدر السابق، ص 221.

¹⁰ رافق، د. عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين (2)، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ص 912.

¹¹ نفس المصدر السابق، ص 915.

¹² نفس المصدر السابق، ص 870.

أحد القواسم المشتركة الذي جمع هذه العناصر انتسابها للجمعية الماسونية السرية " ¹³. وساهم التنافس الاستعماري والسياسة الاستعمارية، وخاصة من طرف بريطانيا وحمائتها لليهود في فلسطين. وانسجاما مع مصالحها في إيجاد موطن قدم لها في المنطقة ، ساهمت في زيادة الهجرة اليهودية نحو فلسطين من خلال قنصلياتها في القدس وبيروت وتجسد أكثر في إصدار تصريح بلفور وتطبيقه وسياسة الهجرة التي اتبعتها أثناء فترة الانتداب على فلسطين فيما بعد.

ساهمت حركة التجارة والازدهار مع وجود موانئ مثل بيروت ويافا وغيرها من الموانئ على ساحل البحر المتوسط وزيادة الحركة التجارية بين ولايات بلاد الشام وأوروبا في زيادة حركة السكان من والى فلسطين وعلى أسس تجارية واقتصادية . يلاحظ أن تواجد اليهود في فلسطين أخذ بالازدياد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بف ضل الأحداث السياسية والظروف الاقتصادية المتواجدة في المنطقة " لقد كان في فلسطين قبل 1882 اثنا عشر ألف يهودي " ¹⁴. وأصبحوا في عام 1914 حوالي 85 ألف. يلاحظ تضاعف العدد حوالي سبع مرات خلال حوالي 30 عاما يظهر مدى شدة حركة السكان اليهود في توجههم نحو فلسطين وما ترك ذلك من تأثير على سكان فلسطين من النواحي الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فيما بعد أدت إلى نوع من المقاومة والتشكك والحذر لهذه الحركة غير الطبيعية.

من جهة ثانية ، تميزت فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر ب بروز اتجاهين على المسرح السياسي وهما أولا الحركة القومية العربية، ثانيا الحركة الصهيونية والاستيطان الصهيوني في فلسطين ، وذلك في فترة حكم السلطان عبد الحميد الذي كان له مواقف وسياسات من هذين الاتجاهين.

الاتجاه الأول: الحركة القومية العربية

كان الوضع السياسي الداخلي في الفترة العثمانية الأولى ذات طابع إسلامي والتعامل على أساس الشريعة الإسلامية في ولايات الدولة المختلفة. ولم تظهر نزعات قومية في الإمبراطورية العثمانية إلا بعد الثورة الفرنسية، وظهور البرجوازية في المجتمعات الأوروبية ، التي أخذت تطرح الفكرة القومية ، وأخذت هذه الفكرة تنتقل إلى المجتمع العثماني في القرن التاسع عشر . وازدادت الهوة اتساعا بين العثمانيين والعرب " أثر احتلال محمد علي باشا لبلاد الشام، ونتيجة لانتشار الفكرة القومية... ولعبوا دورا هاما في إجلائه عن بلادهم وأكسبهم كثيرا من الثقة بالنفس، ونشر بينهم بذور التحرر" ¹⁵.

وساعدت الظروف الاقتصادية والسياسية السارية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر قبل غزو محمد علي لها في تسريع سقوطها بيده، كان الأهالي يعانون من ظروف اقتصادية سيئة . كانت لديهم

¹³ نفس المصدر السابق، ص 872.

¹⁴ الحوث، بيان نوبهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، ص5.

¹⁵ د. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516-1916، ص 510.

رغبة للتخلص من الحكم العثماني ، الذي أرهقهم اقتصاديا وعدم توفر الأمن والنظام وسيطرة نظام الالتزام والإقطاع ، فوجدوا في حكم محمد علي مخلصا لهم من هذه الظروف . كما حسن الأوضاع " فقد حقق الأمن وصد غزوات البدو مما شجع الاستقرار في الريف والزراعة واستخدم بعض البدو كفرسان في جيشه..... وعدم تجاوز الضرائب المقررة وازداد لذلك المردود الاقتصادي " ¹⁶ . في فترة متأخرة من حكمه أخذ بتطبيق قوانين وأنظمة جديدة وخاصة " التجنيد الإجباري في 1834 . وأمر بنزع السلاح من الأهليين... وقد أثارت الخدمة العسكرية الأهليين وتضرر اقتصاد الريف تبعا ¹⁷ . ساهمت هذه الإجراءات وغيرها في الثورة على حكم إبراهيم باشا في مختلف المناطق وخاصة جبل الدروز مما أخل بالتوازن الطائفي وفتح المجال للتدخلات الأجنبية وبالتالي أثار السكان على محمد علي باشا كما ساهمت فرمانات الدولة العثمانية لعدم شرعية حكم محمد علي في تجذر الثورة وانتشارها إلى مختلف مناطق بلاد الشام ومنها فلسطين، حيث " نشر أفكار التحرر والقومية وتبين لهم ضعف الإمبراطورية العثمانية لا بالنسبة لأوروبا فقط بل بالنسبة لمحمد علي نفسه وأظهرت لهم تسع سنين من الانفصال عن العثمانيين إمكانات لم يحلموا بها من قبل واستتب الأمن ، ابتعد خطر البدو ، ازدادت المساحات المزروعة ، نشط الاقتصاد، افتتحت المدارس المصرية والتبشيرية واعتز الناس بحمل السلاح سواء في الخدمة في جيش محمد علي أو في الثورة عليه "، وساهمت هذه التجربة في لعبهم دور في إجلائه عن بلادهم وأكسبهم ثقة بأنفسهم وقدرتهم على الاعتماد على الذات.

كما ساهمت الحرب الطائفية في لبنان التي أثارها الإقطاعيون ، الدولة العثمانية ،التدخل الأوروبي، وامتدت إلى بلاد الشام والتي برزت بشكل واضح في أحداث 1860 أدرك عدد من المفكرين العرب وخاصة في لبنان، خطورة هذه الظاهرة ودعوا إلى رابطة عربية تجمع بين المواطنين على اختلاف مزاجهم. واستوحوا التاريخ المشترك والمنجزات الحضارية العربية المشتركة التي أسهم بها الناطقون بالعربية، من كافة المذاهب والطبقات والتحدث والعمل على جمع أرباء الأمة حول هدف واحد يظهر الهوية القومية للعرب، كبادرة وخطوة أولى في سبيل الوحدة والتحرر والرقى للامة العربية كباقي الأمم في مختلف مناطق العالم وخاصة في الدولة العثمانية، وبدأت تظهر مثل هذه الأفكار لدى القوميات الأخرى مثل البوسنة والهرسك، واليونان، العرب داخل الدولة.

وبدأت الدعوة إلى القومية العربية من خلال الأدب العربي ، وذلك بإبراز المنجزات الأدبية التي قدمها العرب في الفترات السابقة مثل الفترة العباسية والأموية وطوال الفترات الإسلامية التي أنجزت عظماء في الشعر والنثر وغيرها من فنون الأدب والعلم. مما أعطى صورة من الاعتزاز والثقة بالنفس وإبراز للشخصية العربية من جديد في الفترة العثمانية، برز مجموعة من الأدباء العرب الذين عملوا على إحياء

¹⁶ نفس المرجع السابق، ص 407.

¹⁷ نفس المصدر السابق، 408.

الأدب العربي وعرفوا إخوانهم بعظمة الحضارة العربية ونبهوهم إلى قضاياهم الأساسية منهم ناصيف اليازجي، وابنه إبراهيم، وبطرس البستاني. وبرز نشاطهم من خلال الكتابة في المجالات والصحف وتأليف الكتب وغيرها. كما ساهمت الصحافة السياسية والمجلات العلمية دورا في نشر الأفكار القومية العربية، وظهرت العديد من الصحف مثل "الجوائب للشدياق، المشرق، التقدم، البشير، المصباح، الهدية وبيروت وغيرها من الصحف والمجلات"¹⁸ وصل تأثيرها إلى فلسطين.

لم يقتصر الوعي القومي في المجال الأدبي، بل انتقل إلى الجانب السياسي من خلال تأسيس الجمعيات السياسية المعتدلة والمتطرفة والعلنية والسرية. كانت تدعو إلى رفع شأن العرب داخل الدولة ومساواتهم مع الأتراك بالإضافة للمطالبة بتحسين أوضاع العرب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية واشراكهم بشكل كبير في مؤسسات السلطة العثمانية بما يتناسب وحجمهم داخل الإمبراطورية العثمانية، "كان عددهم عشرة ملايين ونصف مقابل سبعة ملايين ونصف للأتراك وأربعة ملايين لقوميات أخرى فقد حصلوا على ستين مقعدا مقابل مائة وخمسين للأتراك من أصل 245. وكان لهم في مجلس الشيوخ الذي يعينه السلطان ثلاثة مقاعد من مجموع أربعين مقعدا"¹⁹. هذا التمييز زاد من مطالبة العرب بحقوقهم والتأكيد على هويتهم القومية من خلال النشاط داخل الجمعيات السرية والعلنية السياسية وازدادت حده في فترة جماعة الاتحاد والترقي وتوجيهاتهم نحو التنريك.

يلاحظ أن سناجق فلسطين الثلاث لم تكن غائبة عن تلك الأحداث والأفكار، بل كانت هناك مشاركة فاعلة من طرف أبناءها من خلال اشتراكهم في هذه الجمعيات السرية والعلنية والكتابة الصحفية وغيرها من مختلف النشاطات، لبعث الفكرة القومية ونشرها بين أبناء فلسطين، وكانت مساهمة فلسطين كبيرة من خلال المؤسسات التعليمية التي نمت وترعرعت بها هذه الأفكار من خلال طلابها ومعلميها "ودلت المؤشرات على أن اتساع التعليم عبر المدارس التبشيرية الأجنبية وبخاصة الروسية أسهمت في نمو اليقظة العربية إذ شملت تدريس اللغة العربية وآدابها وصفحات من التاريخ العربي الإسلامي... ولم تختلف فلسطين عن الرئب في هذا الميدان... وفي لواء القدس وحده أصبح عدد المدارس قبل نهاية القرن التاسع عشر 70 مدرسة وبلغ عدد المعلمين فيها 100 وعدد التلاميذ 30000 ومن هذه المدارس الرشيدية... ولعل دار المعلمين (السيمينار) الروس في الناصرة كان أهم المعاهد العلمية وقام بدور بارز في اليقظة القومية والأدبية"²⁰. وتظهر مشاركة الفلسطينيين في قيادات هذه الجمعيات القومية والحركة العربية "فبلغ مجموعه 62 شخصا من أصل 126 شخصا"²¹.

¹⁸ للإطلاع على المزيد عن هذه المجالات يمكن الرجوع إلى، د. أميل توما، فلسطين العهد العثماني، ص 121-123، أو كتاب د. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516-1916، ص 514.

¹⁹ د. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، 1516-1916، ص 535.

²⁰ د. توما، أميل، فلسطين في العهد العثماني، ص 134.

²¹ د. مناع، عادل، نفس المرجع السابق، ص 248.

وخلاصة القول، ان الدراسة الدقيقة والشاملة لمدى دور وفعالية وحتى النسبة العددية للفلسطينيين من مجموع أعضاء الجمعيات العربية السياسية والأدبية والثقافية ، التي شكلها العرب في مختلف مناطق الدولة العثمانية وخارجها في الفترة الممتدة بين بداية الحرب العالمية الأولى وحتى إقامة حكومة الأمير فيصل في دمشق ، تظهر أن نسبتهم اقتربت من النصف للأعضاء العرب المنخرطين في هذه الجمعيات، وحصتهم الديمغرافية تشكل نسبة أكبر من حصة سكان العراق وبلاد الشام مجتمعة وبهذا يظهر مدى الوعي السياسي والقومي والثقافي لأهل فلسطين قياسا للدول العربية الأخرى والذي ما زال ماثلا حتى اليوم. ويعود هذا الاهتمام والتوجه لدى أبناء فلسطين نحو الانخراط في العمل القومي العربي لاعتقادهم بأن البعد القومي والتفاعل معه بالإضافة إلى التربية السياسية التي تربي عليها الفلسطينيون بمنطلقات للوحدة العربية الإسلامية. وهذا التوجه ما زال موجود لدى سكان فلسطين في الوقت الحاضر وتوجهاتهم وآمالهم من العالم العرب في تحريرهم من الاحتلال الإسرائيلي لقناعتهم بعدم القدرة على التحرر إلا من خلال دعم الأمة العربية سيساهم في دعمهم في حل مشاكلهم والتي أخذت تتفاقم بالسيطرة الصهيونية على الأراضي الفلسطينية والانتداب البريطاني فيما بعد وبهذا كان توجههم القومي هو الأمل الوحيد في التخلص من الاستعمار والصهيونية.

وبرز في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس في عام 1913. كان عوني عبد الهادي من نابلس إحدى الشخصيات الخمس المبادرة إلى عقد المؤتمر. كما أن برقيات التأييد وقعت من 387 شخصا كان بينهم 139 فلسطينيا برز العديد من الفلسطينيين في صفوف الحركة القومية العربية والدعوة لها. والعمل على تحقيقها مثل روجي الخالدي، سعيد الحسيني، حافظ السعيد، عوني عبد الهادي، سعيد الكرمي، عثمان النشاشيبي، أحمد عارف الحسيني، أسعد الشقيري، حافظ طوقان، أحمد الخماش، مصطفى عارف الحسيني وغيرهم²². كانت هذه المشاركة فاعلة. كما أن الرد العثماني التركي كان شديدا على هذه الدعوة القومية ، من خلال إجراءات وممارسات تعسفية خاصة في مطلع القرن العشرين ، مع استلام الاتحاد والترقي لأمر السلطة في استنبول وخلال الحرب العالمية الأولى. دفع العرب إلى الوصول إلى مرحلة القطيعة وإعلان الثورة من أجل الاستقلال عنهم.

عانت فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ظروف صعبة ، كانت خط مواجهة بين العثمانيين والإنجليز الذين كانوا يسيطرون على مصر . فرض هذا الوضع على فلسطين أعباء أكبر في الحرب كأرض للمعركة، بلغ عدد الجيش العثماني بها حوالي 60,000 جندي وازداد عبء الأهالي بلوازم العسكر حتى جاوزت الحد فأخذ الناس يضجون من ثقل هذه التكاليف²³.

²² نفس المصدر السابق، ص250.

²³ نفس المصدر السابق، ص260.

وتعرضت فلسطين وأبناءها لقمع جمال باشا السفاح سواء بالإعدام مثل سليم الأحمد عبد الهادي واستبدال السجن بدل الإعدام لكل من حافظ بك السعيد، وسعيد الكرمي بالإضافة إلى إعدام آخرين مثل علي عمر النشاشيبي، محمد الشنطي ونفي آخرين. رغم ذلك بقي السكان على ولاءهم للدولة العثمانية وبرز من خلال بعثة علمية إلى الاستانة لإعلان الولاء وضمت مجموعة من العلماء مثل إبراهيم العكي، والشيخ علي الريماوي وأسعد الشقيري وغيرهم.

استمر هذا المد القومي فيما بعد في فترة الاحتلال والانتداب البريطاني على فلسطين . وتجسد في العديد من الانتفاضات والثورات المسلحة ضد البريطانيين وأعدائهم من الحركة الصهيونية التي تلاقت مصالحهم على أرض فلسطين . وتجسدت في وعد بلفور وصك الانتداب وتطبيقه على فلسطين على حساب الفلسطينيين بانتزاع أراضيهم وإعطاءها لليهود بأشكال مختلفة ، حيث كان المتضرر الرئيس من هذه العملية الفلاح الفلسطيني وسكان القرى مما دفعهم للانتفاض والثورة على الانتداب البريطاني والصهيونية.

الاتجاه الثاني: التغلغل اليهودي والصهيوني

المظهر الثاني، الذي تميزت به المرحلة العثمانية المتأخرة في فلسطين . هي بداية الاستعمار اليهودي والصهيوني، والتدرج في زيادة أعداد المهاجرين اليهود والصهاينة أ لها بالطرق الشرعية وغير الشرعية . وبداية القلق العثماني وسكان فلسطين لهذه الظاهرة واستعمالهم مختلف الوسائل والأساليب لمواجهة هذا التطور الحاصل على الأرض الفلسطينية والتدخل والمساعدة الأجنبية للحركة الصهيونية في سبيل تحقيق أهدافهم المشتركة في السيطرة على المنطقة العربية وفلسطين بشكل خاص.

يلاحظ أن التواجد اليهودي في فلسطين في العصر الحديث كان عاديا ومحدودا ومن اليهود الذين سكنوا في البلاد من عدة قرون . ويذكر أنه عام 1170م لم يكن فيها سوى شخص يهودي واحد في اللد وآخر في حيفا واثنين في بيت لحم وأربعة في القدس يعملون صباغين بموافقة الصليبيين²⁴ . وقد بلغ عدد اليهود عندما غزا نابليون البلاد في عام 1799 خمسة آلاف فحسب، والظاهر أن عددهم ارتفع إلى ستة آلاف في عام 1839 مقابل ما يقارب 300,000 عربي، أي أن اليهود لم تتعد نسبتهم 2% من مجموع سكان فلسطين²⁵ . ومع زيادة التغلغل والنفوذ الأوروبي في عصر التنظيمات العثمانية والامتيازات الأجنبية، حيث قفز عدد اليهود نتيجة لذلك إلى نحو 5% من سكان البلد سنة 1882 أي نحو 22 ألف شخص²⁶ . هذا التواجد كان يتركز في المدن مثل القدس، طبريا، صفد، حيفا. وكانت الأقليات اليهودية في فلسطين تتمتع بالحماية وتدير شؤونها الداخلية حسب نظام "ال ملّة" العثماني الذي سمح للأقليات

²⁴الحلاق، حسان علي، نفس المرجع السابق، ص76.

²⁵الحلاق، نفس المصدر السابق، ص77.

²⁶ مناع، عادل، نفس المرجع السابق، ص228.

الدينية بهامش من الإدارة الذاتية. ويعتبر عام 1882 نقطة تحول في العلاقات العربية اليهودية على أرض فلسطين وبداية مرحلة جديدة من التواجد أخذ شكلا ومنحا خطيرا تبلور فيما بعد، أصبحت الهجرة اليهودية أكثر تنظيما وهدف أصحابها من خلال استيطانهم إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين على حساب سكانها الأصليين. وبرز في طبيعة التواجد في المستوطنات المقامة على الأراضي الزراعية على حساب الفلاح الفلسطيني والقرى الفلسطينية . وشراء الأراضي الزراعية من طرف العائلات اليهودية والصهيونية من كبار الملاكين والإقطاعيين . بدأ الاستيطان المنظم من خلال إنشاء حركة "إح بله صهيون وهم مهاجرون من يهود روسيا ورومانيا وبولندا في الفترة 1881-1904²⁷، حيث تأسست أولى المستعمرات الزراعية مثل عيون قارة، ملبس إلا أنهم فشلوا فشلا ذريعا في الزراعة لولا مساعدة روتشيلد²⁸. ثم أخذت حركة الاستعمار بالتطور مع تبني الحركة الصهيونية " في مؤتمر بال الآخذ ببرنامج استيطان منظم له أهدافه السياسية الواضحة التي تحظى بتأييد جماهير اليهود وهو بناء الأمة اليهودية في فلسطين"²⁹.

يلاحظ أن وضع الاستيطان الصهيوني حتى عام 1897 بلغ 17 مستعمرة تسع منها في الجليل الشرقي وثمان في المنطقة الساحلية ومجموع سكانها 3867 نسمة - يملكونه 139,230 دونم³⁰. كان توجه السكان اليهود نحو المدن وخاصة مدينة القدس، صفد، طبريا والخليل بالإضافة إلى التوجه نحو السكن في المناطق الساحلية خاصة يافا وحيفا كون النزول في هذه المدن عند القوم. لم يشكل الاستيطان اليهودي حتى هذه المرحلة خطورة كبيرة على الأرض، وتغيير طبيعتها وديمغرافيتها، حيث أن عدد اليهود حتى هذا التاريخ وصل إلى حد إلى 60 ألف من أصل نصف مليون فلسطيني³¹. يلاحظ زيادة سكانية مع سيطرة على بعض الأجزاء من الأرض من خلال المستوطنات الزراعية إلا أن ذلك لم يصل إلى مرحلة التهديد القوي للفلسطينيين والسلطة العثمانية، إلا أن موقف السلطة العثمانية ممثلة بالسلطات نحو الطموحات اليهودية وخاصة من خلال مطالب هرتسل الذي شكل بداية مرحلة جديدة في نشاط الحركة الصهيونية وأهدافها على أرض فلسطين، المتمثلة في إقامة الوطن القومي والدولة اليهودية حسب طروحاته في كتابته بنفس الاسم. ويظهر الموقف العثماني في قول السلطان " لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي... لا أستطيع أبدا أن أعطي أحدا أي جزء منها ليحتفظ اليهود بجلايينهم فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا

²⁷ مناع، عادل. نفس المصدر السابق، ص228.

²⁸ العيلة، رياض علي، تطور القضية الفلسطينية التاريخية والاجتماعي والسياسي ج2، ص 68.

²⁹ عوض، عبد العزيز عوض، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831-1914، ص 75.

³⁰ مناع، عادل. نفس المرجع السابق، ص 231.

³¹ الحلاق، حسان علي، نفس المرجع السابق، ص 77.

على جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان " ³². هذا الموقف حسم القضية بالنسبة للحركة الصهيونية والاستعمار وللدولة العثمانية بخصوص فلسطين والتنازل عنها . وأحببت طروحات هرتسل في الحصول على دولة يهودية في فلسطين بهذه الأساليب السلمية والتفاوضية . وأدى إلى اتجاهات جديدة للحركة الصهيونية في سبيل الحصول على أهدافها في عهد السلطان عبد الحميد.

وقد تعززت الاتجاهات الجديدة للحركة الصهيونية مع تولي الاتحاد والترقي للسلطة ، التي أخذت بالتساهل مع الحركة الصهيونية والاستيطان اليهودي في فلسطين، زادت وتيرة الهجرة والسيطرة على الأراضي الزراعية وخاصة "من الملاك الكبار والذين كان معظمهم من خارج فلسطين" مثل آل سرسق، والتونيني (بيروت) وأحد أبناء عبد القادر الجزائري حتى كانت المساحة المباعة في منطقة طبريا حوالي 70,000 دونم " ³³. استمرت عمليات البيع من طرف هذه العائلات مثل آل سرسق في منطقة العفولة " حيث باعت 9515 دونم وقد كانت مواقف والي بيروت داعمة للاستيطان كجزء من سياسة الاتحاد والترقي" ³⁴. أن عدد السكان اليهود زاد وبلغ مع بداية الحرب العالمية الأولى حوالي 85 ألف نسمة، إلا أنه أخذ بالتناقص في فترة الحرب ووصل إلى 56,000 شخص مع نهاية الحرب" ³⁵.

ج الموقف الفلسطيني من التغلغل الصهيوني

وكما هو معروف ، فقد انتهت الحرب العالمية الأولى بخسارة الدولة العثمانية لممتلكاتها في المشرق العربي وخضوعه إلى دول الحلفاء. وكانت بلاد الشام الجنوبية من نصيب بريطانيا وخاصة مناطق فلسطين. وبدأت تعيش فلسطين مرحلة جديدة من حياتها تمثلت بالاحتلال العسكري البريطاني لها وهكذا دخل الجنرال اللنبي وبعثته العسكرية المصرية القدس في الحادي عشر من كانون الأول 1917 بعد أقل من ستة أسابيع من إعلان تصريح بلفور " ³⁶. كان التصريح قد صدر بتاريخ 2 تشرين ثاني 1917 قبل السيطرة البريطانية على فلسطين، عكس الحلف الصهيوني البريطاني الاستعماري. وكان التصريح شهادة زواج غير مقدس بين بريطانيا والصهيونية على صيغة رسالة بعث بها ارثر بلفور وزير الخارجية إلى اللورد روتشيلد الصهيوني ، "إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا انه لن يسمح بأي إجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية القائمة في فلسطين ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى" ³⁷.

³² الحلاق، نفس المصدر السابق، ص 116.

³³ د. مناع، عادل، نفس المرجع السابق، ص 255.

³⁴ مناع، عادل. نفس المصدر السابق، ص 256.

³⁵ مناع، عادل. نفس المصدر السابق، ص 260.

³⁶ د. الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص 88.

³⁷ نفس المصدر السابق، ص 84.

يعتبر التصريح من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ، إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضاً لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها على حساب من يملكها ويستحقها وهو الشعب الفلسطيني . ومما هو معروف فإن الجيوش البريطانية لم تكن قد احتلت فلسطين عند إصدار التصريح، حيث أثار التصريح الغضب والاستياء والاستغراب في الوطن العربي وفلسطين خاصة وأظهر مدى التناقض في الاتفاقات المعقودة مع الدول الأخرى مثل الشريف حسين، وفرنسا وروسيا.

أدخل التصريح والاحتلال البريطاني فلسطين في مرحلة جديدة من حياتها . تميزت بالعنف والصراع والثورة على أصعدة جديدة. كما أن شعب فلسطين وجد نفسه في ظروف جديدة يعمل بمفرده ويعاني همومه ومشاكله الخاصة بعد عملية سقوط الدولة العثمانية الإسلامية وتقسيم بلاد الشام إلى أجزاء واستعمارها من طرف آخر مما جعل لكل منطقة ظروف وهموم ومشاكل خاصة وعدم القدرة على مساعدة الآخرين وعدم وجود عمق عربي له يساعده في محنته الجديدة. وبهذا أصبح على شعب فلسطين قيادة معركته بقواه الذاتية وقدراته البسيطة المتواضعة مع ضعف في الوعي والقيادة السياسية التي أخذت تتلمس طريقها، حيث اعتمد الفلسطينيون على قيادتهم التقليدية من كبار الملاك والإقطاعيين وبعض المثقفين ذوي التجربة والخبرة السياسية المتواضعة في وجه قيادة صهيونية متمرسه منظمة واعية لأهدافها بالإضافة إلى احتلال بريطاني.

كان موقف الفلسطينيين من الاستيطان الصهيوني منذ بدايته معارضا ورافضا له ، بكافة فئاتهم وطبقاتهم، وصل إلى حد الاشتباك والاصطدام . " هاجم الفلاحون المطرودون من الخضيرة وتباح نيكفا (ملبس) قراهم المغتصبة التي اجلوا عنها رغم أردادتهم وذلك سنة 1886³⁸ . وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية أخرى عام 1892. برزت المقاومة في شكل عرائض احتجاج للولاة العثمانيين والى الصدر الأعظم سنة 1891 طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس وتحريم تملكهم الأراضي في فلسطين³⁹ .

اشتدت المقاومة الفلسطينية للهجرة اليهودية مع موجات الهجرة الثانية من 1908 - 1914 وهذا الشعور والعداء لم يقتصر على اليهود بل إلى الملاكين العرب أصحاب الأراضي الشاسعة مثل مصطفى باشا، فؤاد سعد، الـ سرسق . وتجسدت حركة المعارضة في الصحافة والبرلمان العثماني من طرف النواب العرب والفلسطينيين مثل روجي الخالدي، سعيد الحسيني وشكري العسلي، الشيخ سليمان التاجي الفاروقي وغيرهم . ومن الكتاب والمثقفين الفلسطينيين الذين أخذوا بإثارة الرأي العام العربي والعثماني حول مخاطر الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين وسيطرتهم على الأراضي، كما تم تشكيل جمعيات وطنية لنشر التوعية والدفاع عن حقوق العرب في فلسطين لقصد الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدد أرض الوطن وإنقاذ البلاد من الدمار ، "وهذه الجمعيات م تلى الجمعية الخيرية الإسلامية، الشبيهة بالنابلسية،

³⁸ نفس المصدر السابق، ص 41.

³⁹ نفس المصدر السابق، ص 42.

المنتدى الأدبي، يقظة الفتاه العربية⁴⁰ وغيرها من الجمعيات . أخذت على عاتقها توعية الشعب الفلسطيني والعربي بأخطار الصهيونية والاستيطان ووصل بالشعب الفلسطيني وقيادته بالثورة المسلحة ضد الصهيونية مع بدايات الحرب العالمية الأولى نتيجة مواقف حكومة الاتحاد والترقي، التي كانت تساند الاستيطان والصهيونية حسب قول جميل الحسيني.

د- دور الاحتلال البريطاني في التمهيد لانفجار الثورة

1. السياسة البريطانية في فلسطين

تميزت السياسة الاستعمارية للدول الأوروبية بالعنف والحد واستغلال الشعوب المقهورة بأساليب قمعية وشديدة من الجوانب الاقتصادية ، السياسية ، الاجتماعية والثقافية . وقد تميزت السياسة البريطانية بحالة أشد في مستعمراتها بسبب الباع الطويل لها في الاستعمار، تعتبر أول دولة استعمارية والإمبراطورية التي لم تغب عن ممتلكاتها الشمس . وصلت إلى هذه المرحلة من خلال أسلوب فرق تسد وصنع الصراعات الطائفية داخل الشعب الواحد ، أما في فلسطين فقد كانت أساليبها أشد لتزوجها مع الصهيونية . لذلك استعملت أساليب المراوغة والتحايل مع الفلسطينيين والخداع ،والذي تجسد من مراسلات الحسين مكماهون، اتفاقيات سايكس بيكو، سان ريمو، في تصريح بلفور وصك الانتداب، هذه التوصيات الصادرة في صك الانتداب قامت بريطانيا بتنفيذها من خلال السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وبأعداد كبيرة وبطرق شرعية وغير شرعية ويظهر من الجدول المرفق (2/1) حول أعداد الهجرة في سنوات الانتداب البريطاني على فلسطين وخاصة في سنوات الثلاثينات والأربعينات . طبقت السياسات الاستعمارية والقوانين والأحكام العرفية وقمع الشعب الفلسطيني بالقوة العسكرية في مسيرته النضالية واتبعت سياسة الحصار والتجويع وهدم المنازل ووصلت قمته في هدم البلدة القديمة في مدينة يافا كجزء من سياسة ضرب الثورة. "وهددت بقصف الأماكن المقدسة بالمدافع في حالة عدم انسحاب الثوار من مدينة القدس ، وكي تحول دون اطلاق النار من داخل البيوت والأزقة، أرسلت أمامها سكاناً عرب اخرجوا من بيوتهم"⁴¹ في مقدمة قواتها أثناء الاقتحام. كما أصدرت الأحكام والاعدامات لمجرد اقتناء هراوة أو سكين أو قطعة سلاح، الحصار، منع التجول الذي كان يمتد طوال الوقت على القرى والمدن في إطار سياستها لقمع الثورة، وتقع هذه الأساليب في إطار سياستها كدولة استعمارية من أجل المحافظة على مصالحها في المناطق الاستعمارية التي سيطرت عليها . لم تأخذ اعتبار وحسيان للقواعد والقيم الإنسانية واحترام حقوق

⁴⁰ الكيالي، د. عبدالوهاب، نفس المصدر السابق، ص 48-65.

⁴¹ مؤسسة الدراسات الفلسطينية (جامعة الكويت)، ترجمة أحمد خليفة، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939 (الرواية الرسمية الإسرائيلية)، ص168. ورجب، يوسف. ثورة 1936-1939 في فلسطين -دراسة عسكرية-ص77.

الإنسان وحرية ومارست السياسة العنصرية وسيادة الرجل الأبيض وتفوقه على باقي الشعوب وبرز بشكل كبير في تجارة العبيد الى أمريكا والسياسة الم تبعة ضد الهنود وفي جنوب أفريقيا. وبهذا تبرز كافة هذه الممارسات ضلعة الاستعمار البريطاني ووحشيته في قمع الثورات التحررية في العالم بشكل عام وفي منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص من أجل المحافظة على مصالحه في المنطقة.

بدأت هذه السياسة مع دخول الجنرال اللنبي لمدينة القدس في 11 كانون الأول 1917 للمناطق الجنوبية من بلاد الشام ، والتي أطلق عليها فلسطين. وأصبحت تعيش هذه المنطقة مرحلة سياسية جديدة وانتقلت لجزء من دولة إسلامية إلى مناطق تحت الاحتلال. شكل اللنبي في أيلول 1918 "إدارة المنطقة الجنوبية من بلاد العدو المحتلة " أي فلسطين وتوليه الجنرال كلايتون منصب مدير الإدارة العسكرية في فلسطين مع تقسم البلاد بعد أن كانت ثلاثة سناجق في الفترة العثمانية " حيث أصبحت 13 لواءاً مع تعيين حاكم عسكري لكل لواء لإدارة شؤونه الحياتية والأمنية، ثم خفضت إلى عشرة ألوية في العام 1919⁴². حيث تولت الإدارة العسكرية القيام بالخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية وغيرها من الخدمات. ثم تأسست الإدارة المدنية برئاسة المندوب السامي في تموز 1920، الذي يشرف على الإدارة الحكومية ويرجع إلى وزير المستعمرات المسؤول أمام البرلمان البريطاني والمندوب السامي هو نفسه القائد العام في فلسطين، ولكن ليست له صلاحيات قيادة القوات المسلحة ويساعد المندوب السامي عدة أشخاص أهمهم السكرتير العام للحكومة، مدير المالية، والنائب للشؤون القانونية. وكان يشكل منهم المجلس التنفيذي الذي يساعد المندوب السامي في إدارة البلاد وسن القوانين بعد مناقشتها من المجلس الاستشاري المعين من عشرة موظفين وعشرة أعضاء معينين تعيينهم الحكومة من المسلمون والمسيحيون واليهود. كان المندوب السامي الأول هو هيربرت صموئيل اليهودي الديانة الصهيوني والذي كان للحركة الصهيونية دور في تعيينه حيث أخذ يدير شؤون البلاد ويتصرف في مقدرات الشعب الفلسطيني وقد سعى صموئيل منذ البداية الى اتباع مختلف الوسائل لإرغام العرب على بيع املاكهم، فكان يفرض الضرائب الجماعية الباهظة ويمنع تصدير الحبوب والزيت الى معظم الأسواق فهبطت الأسعار ويعجز الفلاح عن تسديد الديون والضرائب. كما أمر بتصفية أعمال البنك الزراعي العثماني وتحصل قسم كبير من ديونه قسراً من صغار الفلاحين. كما منح اليهودي روتنبرغ امتياز توليد الكهرباء لعموم فلسطين (1921) ولمدة سبعين عاماً كما وزع الأسلحة والذخائر على المستوطنات اليهودية والمساعدة في هجرة اليهود وتأسيس مؤسساتهم. وبالتالي شرع منذ وصوله في وضع البلاد في حالة سياسية واقتصادية وإدارية تؤدي إلى قيام الوطن القومي اليهودي. كان يتولى إدارة البلاد على أساس الواقع وليس إلى أساس المبدأ والقانون "حيث استمرت فترة الإدارة المدنية من آب 1920 وحتى تطبيق صك الانتداب بتاريخ 29 أيلول 1923⁴³ ، لم

⁴² طرابين، أحمد. فلسطين في عهد الانتداب البريطاني، الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، القسم الثاني، ص117.

⁴³ نفس المصدر السابق، ص 1007.

يكن للإدارة الانتدابية التي تولاهها صموئيل أية صفة انتدابية أو أهلية قانونية وهذا يعني أن بريطانيا انتهكت قوانين الحرب حين أقامت حكومة في فلسطين ومارست التشريع وسمحت بتدفق الهجرة من دول أجنبية ثم سنت قانوناً أساسياً دستورياً في شباط سنة 1922 وذلك بالاستناد إلى مراسيم خولتها لنفسها وكلها تهدف إلى سلب شعب فلسطين بلاده. استمر هذا الوضع حتى بداية العام 1923 مع صدور صك الانتداب من عصبة الأمم المتحدة، أصبحت في وضع قانوني في إدارة فلسطين. رغم أنها كانت تمارسه منذ عدة سنوات سابقة بتعاون مع الصهيونية. ويلاحظ أن بنود صك الانتداب تصب جميعها لصالح إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، حيث أن العديد من المواد تتحدث عن آليات تطبيق تصريح بلفور. كما أن الدستور الذي وضعته بريطانيا اشتملت مقدمته على تصريح بلفور وإجراءات تطبيقه. وخاصة بيع الأراضي وتسجيلها والسماح بالهجرة والاعتراف بالمنظمة الصهيونية كشريك في إدارة البلاد. لم يأخذ صك الانتداب العهود التي قطعتها بريطانيا للعرب بالإضافة إلى الضمانات التي اشتمل عليها كتاب تشرشل الأبيض لعام 1922.

ساهمت هذه السياسة الانتدابية "بدخول 76,400 مهاجر يهودي إلى فلسطين خلال العشر سنوات الأولى من الانتداب"⁴⁴. بالإضافة إلى التذمر من التمثيل السياسي الذي كان لصالح اليهود في المجلس الاستشاري، التذمر من السياسة الاقتصادية وخاصة تقديم المشاريع الكبرى مثل توليد الكهرباء وروتنبرغ، وشركة البوتاس في البحر الميت وغيرها. من المشاريع والنشاطات الاقتصادية والسياسية أدت إلى تدمير ومعارضة عربية فلسطينية انفجرت في أشكال نضالية عدة بدءاً بالعرائض، الاحتجاجات، المظاهرات، وعقد المؤتمرات الوطنية العديدة، وصولاً إلى الثورة والكفاح المسلح.

2- تسهيل بيع الأراضي

ساهمت السياسة البريطانية في زيادة حصة اليهود من أراضي فلسطين من خلال سن القوانين والأنظمة والتعليمات التي تسمح لليهود بشراء الأراضي بالإضافة إلى منح أراضي الدولة العامة والمشاع إلى اليهود، وقانون الغابات، وقانون نزع ملكية الأراضي عام 1926 وغيره من القوانين التي أدت إلى سهولة سيطرة اليهود على الأراضي العربية، وإقامة المستوطنات عليها "بالإضافة إلى منح الامتيازات الكبيرة للشركات الصهيونية مثل امتياز أراضي الحولة وشركة استغلال الأملاح والمعادن من البحر الميت وشركة استغلال العوجا"⁴⁵. ومما ساعد على انتزاع الأراضي هو أن 45% من مساحة فلسطين أراضي أميرية تملكها الدولة

وكانت عملية تسهيل بيع الأراضي لليهود. وطردهم الفلاحين العرب عن أراضيهم وسياسة "العمل العبري" التي طبقت في المستعمرات اليهودية "والعمل العبري يقصد به السياسة التي اتبعتها المؤسسات

⁴⁴ نفس المصدر السابق، ص 1017.

⁴⁵ النحال، محمد سلامة، سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، ص 100.

والشركات والمستعمرات الصهيونية في فلسطين ، والتي تؤكد على اعتماد العمال اليهود فقط في تلك المؤسسات، وعدم تشغيل المواطنين العرب من أجل ضرب الاقتصاد الفلسطيني ، وزيادة حالة البطالة داخل صفوفهم من أجل تهجيرهم عن أرضهم". وإلى صدامات دامية " ففي 4 مستعمرات يهودية فقط هي ملبس ووادي جنين والخضيرة كان يعمل 6214 عاملا عربيا في شباط 1935 وبعد 6 شهور فقط نقص العدد إلى 2276 وبعد عام نزل إلى 677 عاملا عربيا فقط"⁴⁶. وبهذا أخذت تطبق سياسة العمل العبري داخل المجتمع والاقتصاد اليهودي في فلسطين بشكل أوسع في عقد الثلاثينيات وبعدها، أصبحت المؤسسات الاقتصادية اليهودية خالية من الأيدي العاملة العربية. وساهمت في تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسكان القرى العربية وتحويلهم إلى عمال غير مهنيين في المدن الفلسطينية وزيادة حدة العنف والثورة ضد الاحتلال والصهيونية.

3- ضرب الجبهة الداخلية الفلسطينية

قام الانتداب بضرب الجبهة الداخلية الفلسطينية من خلال إذكاء الصراع العائلي والعشائري في المدن الفلسطينية والتنافس على المناصب مثل رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى في القدس بين الحسينيين والنشاشيبيين، وتجسد ذلك في تشكيل بعض الأحزاب التي تأتمر بإمرة الانتداب مثل الحزب الوطني، حزب الزراع (الحزب القروي)، حيث كانت فكرته التفريق بين المدينة والقرية والمدني والفلاح، كما تشكلت جمعية تعاون القرى حيث كانت هذه الأحزاب "قابلة بالانتداب راضية به وكلامها من تصريح بلفور ليس شديداً وليس هناك ما يمنعها من قبوله بشرط المحافظة على مصالح المنتسبين لتلك الجمعية"⁴⁷ وأصبحت المعارضة بين الأطراف الفلسطينية بدل أن تكون معارضة ضد الوفاق الصهيوني البريطاني وبالتالي يعكس هذا عدم الوعي لدى بعض الأطراف الفلسطينية لطبيعة الصراع وتجسد في بيع الأراضي ، حيث كانت العائلات الإقطاعية التي تشتري الأرض من الفلاحين، وتقوم ببيعها للرأسمال اليهودي وخلال "الفترة الممتدة 1933-1936 كان 62,7 بالمائة من مجموع الأرض التي اشتراها الصهاينة أراضي ملاكين متواجدين في فلسطين و 14,9 بالمائة أراضي ملاكين غائبين و 22,5 بالمائة أراضي فلاحين صغار فيما كانت هذه النسبة بين 1920 و 1922: 75,4 بالمائة أراضي ملاكين غائبين و 20,8 بالمائة أراضي ملاكين متواجدين 3,8 بالمائة أراضي فلاحين صغار "⁴⁸، يتضح من الأرقام السابقة تطور العلاقة والمصالح بين الفئات العليا للمجتمع الفلسطيني وتحالفها مع الاستعمار والصهيونية ووصل ذروته في قيام الطبقة العليا في المجتمع الفلسطيني بدور كبير في إجهاض ثورة عام 1936 وإيقافها مع اقتراب موسم قطف الحمضيات وتصديرها . وسعت إلى وقف الأضراب من أجل مصالحها

⁴⁶ كنفاني، غسان. ثورة 1936-1939 في فلسطين. خلفيات وتفاصيل وتحليل، ص13.

⁴⁷ خلة، كامل محمود، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، ص387.

⁴⁸ كنفاني، غسان، نفس المرجع السابق، ص28.

الاقتصادية⁴⁹، واعترف عزة دروزة بأن عرب فلسطين باعوا بين عامي 1917- 1947 نحو نصف مليون دونم لليهود وان البائعين ملاكا ليسوا فلاحين ولم يتجاوز عددهم ألف شخص من مليون وربع نسمة⁵⁰. وكانت نسبة ما باعه كبار الملاك الفلسطينيين من 20,8% إلى 62,7% مع أن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية كانت أحسن بمئات المرات من أحوال الفلاحين⁵¹. كما ان بعض الأشخاص مثل راغب الناشبي، فخري عبد الهادي-من خلال تشكيل فصائل السلام لضرب الثورة - عوني عبد الهادي "كان يعتبر قيادي في المؤتمرات الفلسطينية وكان محامي الوكالة اليهودية في القضايا المرفوعة عليها من طرف الفلاحين العرب وهذا يعكس عمق التناقض وعدم الوعي"⁵². لدى بعض القيادات

⁴⁹ الكيالي، د. عبد الوهاب، نفس المرجع السابق، ص 287.

⁵⁰ خلة، د. محمود كامل، نفس المرجع السابق، ص 770.

⁵¹ يمكن الرجوع إلى كتاب د. بشير، سليمان، جذور الوصاية الأردنية، دراسة في إرثيف الحركة الصهيونية. ص 40.

⁵² الكيالي، د. عبد الوهاب، نفس المرجع السابق، ص 195.

الفصل الثاني

ثورة عام 1936 - 1939

"مفهوم، أسباب، مراحل و نتائج"

أ- المفهوم وطبيعة الثورة في التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر.

ب- الأسباب المؤدية للثورة.

1. السبب المباشر.

2. الأسباب غير المباشرة.

ج- مراحل الثورة.

-
- 1 -المرحلة الأولى : الإضراب، 15 نيسان - 12 أيلول 1936.
 - 2 -المرحلة الثانية : الثورة في الريف، 26 أيلول 1937 - كانون ثاني 1939.
 - 3 -المرحلة الثالثة : تراجع الثورة إلى المدن، كانون ثاني 1939 - تشرين أول 1939.

د- نتائج الثورة ودروسها:

- ا- في الجانب السياسي.
- ب- في الجوانب العسكرية والاستراتيجية والتنظيمية.
- ج- الآثار الاقتصادية.
- د- الآثار الاجتماعية.
- هـ - الخسائر البشرية.

أ -المفهوم وطبيعة الثورة في التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر

يلاحظ أن الموقع العسكري والاستراتيجي لفلسطين، ومحاولات سكانها للتخلص من نير الاحتلال والظلم تاريخياً، أفرزت نوعاً من الإرث التاريخي والتجربة الطويلة في النضال والانتفاض والثورات. وأفرزت زخماً وتجربة غنية في العمل الثوري والنضال على مر العصور، وترتبط حالات الثورة والتمرد عادة بالظلم، الإحباط، عدم الأمن والاستقرار حسب حالة ضعف الدولة الحاكمة أو قوتها. ففي الفترة العثمانية الأولى، كانت الدولة قوية، استتبت الأمور للدولة، ولكن عندما أخذت الدولة بالضعف، التراجع، زيادة الظلم، الاضطهاد للسكان، أفسح المجال للثورة وبرز ذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أظهرت الدراسات التاريخية حدوث عدة ثورات في هذه الفترة، خاصة بعد الاستيطان الصهيوني لفلسطين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واشتد بعد سيطرة الاحتلال البريطاني على فلسطين ومواقفه المعادية للشعب العربي الفلسطيني وانحيازاً إلى جانب اليهود والحركة الصهيونية، هذه الصورة أوصلت الفلسطينيين إلى قناعة بضرورة الرد على هذه المواقف. وتفجر رد الفعل الفلسطيني في عدة أشكال نضالية سلمية وعسكرية، وصلت إلى مرحلة الثورة الشاملة، حدثت عدة انتفاضات خلال النصف الأول من القرن العشرين منها هبة عام 1920، انتفاضة البراق 1929، انتفاضة 1933، ووصلت ذروتها في حركة القسام، والثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939 واستمر النضال الفلسطيني لاحقاً في حرب النكبة 1948، ثم الثورة الفلسطينية المعاصرة والانتفاضات الأخيرة مثل انتفاضة عام 1987، وهبة النفق،

والأقصى "انتفاضة عام 00"، من هنا، راكم الشعب الفلسطيني تراثا غنيا للثورة والنضال والتميز عن باقي شعوب العالم . وأصبح مصطلح الثورة والانتفاضة من المصطلحات المميزة والمرتبطة بالشعب الفلسطيني في التاريخ الحديث

ومن الجدير ملاحظة هنا ،أن هناك خلطا في استعمال مفهوم الثورة، التمرد وخاصة في الوطن العربي، لذلك لا بد من ايضاح هذه المفاهيم من أجل دقة استعمالها في هذه الدراسة.

مفهوم الثورة: (Revolution) هو التحول الجذري وبعيد المدى في النظام السياسي والإقتصادي والإجتماعي لبلد أو مجتمع ما في فترة زمنية قصيرة⁵². يمكن اطلاق هذا المصطلح على ثورات مثل الثورة الفرنسية ، البلشفية، والثورة الصناعية.

أما مصطلح "التمرد" (Rebellion) فهو الخروج الجماعي على السلطة واستعمال العنف من أجل اجبارها على تغيير سياستها".⁵² وهذا المفهوم يمكن تطبيقه على الكثير من حركات التمرد العسكرية والهبات الشعبية التي تحدث في دول العالم المختلفة.

ولتطبيق هذين المفهومين على الحالة قيد الدراسة (ثورة 36- 39) ،اختلفت التحليلات حول طبيعتها وهل هي ثورة أم تمرد ؟ فالمؤيدون لهذا الحدث أطلقوا عليه مصطلح ثورة، أما المعارضون، خاصة الإنتداب والحركة الصهيونية، فأطلقوا عليها مصطلح تمرد وعصيان.

يظهر ان أحداث ثورة 1936 - 1939 هي اقرب الى الثورة منها الى التمرد لأنها حملت في طياتها الكثير من المعاني والتغييرات، لكونها أفرزت قيادة سياسية وعسكرية جديدة من طبقات اجتماعية مسحوقة وفقيرة وقروية، كما ان الفئات التي شاركت في الثورة هي في معظمها من الطبقات الدنيا في المجتمع وهم الفلاحون والعمال والذين ثاروا على الأوضاع وضرورة تغييرها. كما أن البرنامج الإقتصادي والإجتماعي للثورة طرح تغييرات وأفكارا جديدة لصالح معظم فئات المجتمع، كما أنها حملت طرح فكري وثقافي جديد، حملت مشعله ثورات فلسطينية فيما بعد.

وبناء على ما تقدم، سيتم اعتبار هذا الحدث " ثورة " وهي حركة شعبية أسست للثورة الفلسطينية المعاصرة. ولإبراز مفهوم الثورة سيتم الحديث عن بعضها في التاريخ الفلسطيني الحديث ومنها:

* هبة 1920 *

ساهمت عدة نشاطات في حدوث الهبة مثل تنفيذ تصريح بلفور والسماح للهجرة اليهودية وسياسة الرفض للمطالب العربية الفلسطينية بالاستقلال والوحدة مع سوريا ، قامت المظاهرات والاحتجاجات ضد هذه الممارسات. والتي بدأت في موسم النبي موسى عند المسلمين، اثناء اجتياز الموكب الاسلامي باب يافا وقع انفجارا كبيرا، لم تتضح طبيعة الحادث الذي أدى إلى الانفجار "فهناك بعض الأدلة التي تشير

إلى موقف المشاهدين اليهود كان في بعض الحالات موقفا استفزازيا ولكن يبدو أكثر احتمالا ان يكون قد وضع لغم بصورة متعمدة بواسطة بعض العملاء المخربين الذين تذرعوا بالادعاء بان أحد اليهود أطلق صيحة إهانة للعلم " 52. أدى الانفجار إلى قذف محلات اليهود والاشتباك معهم " ان بضعة أفراد من اليهود كانوا مسلحين وانهم أطلقوا النار " 52. استمرت الانتفاضة في الفترة بين الرابع من نيسان وحتى العاشر منه " ووصل مجموع الإصابات 251 جريحا توفى منهم تسعة... وشملت إصابات اليهود خمس وفيات و 18 إصابة خطيرة و 113 بسيطة. وجرح سبعة جنود بريطانيين. أما إصابات العرب فقد بلغت 28 إصابة وبينها 4 قتلى بالرصاص ومن المحتمل ان يكون بعض الفلاحين المصابين إصابات طفيفة قد فروا إلى قراهم " 52. ساهمت هذه الهبة في زيادة الشغور الوطني الفلسطيني ضد اليهود والصهيونية والاحتلال البريطاني كداعم للمشروع الصهيوني . استمر الاستعمار البريطاني في تعنته ودعمه للصهاينة مع تشدد الانتداب في إجراءاته القمعية ضد العرب الفلسطينيين والذي برز بشكل واضح في تغيير الوضع القائم في منطقة البراق وممارسة اليهود لشعائرهم.

● * هبة البراق 1929 *

كانت بداية الأحداث في محاولة بعض المتدينين اليهود ، تغيير الوضع القائم في باحة حائط المبكى في 23 أيلول 1928. ساهمت الاحتجاجات الإسلامية بإعادة الوضع كما كان عليه. "وتجددت الشرارة ثانية بتاريخ 1929/8/14 يوم الغفران ، حيث نظمت القيادة الصهيونية مظاهرة في تل أبيب تحت شعار (الحائط حائطنا) ومظاهرة في القدس اليوم التالي تحت الشعار ذاته وجاء الرد العربي بمظاهرة ضخمة يوم الجمعة وصادف عيد المولد النبوي في 1929/8/16 " 52. انتشرت الشائعات وبدأت الصدمات فأدى إلى سقوط عشرات القتلى والجرحى، لقد شارك العرب وخاصة سكان القرى بفاعلية في هذه الانتفاضة ضد الأهداف الصهيونية وقوات الانتداب. قمعت الانتفاضة بشدة وقدم للمحاكمة 1000 نسمة 90% في المائة من العرب وصدر الحكم بإعدام 26 شخصا بينهم 25 عربيا ويهوديا واحد " 52. وبعد الاستئناف تم تخفيض الحكم إلى المؤبد باستثناء ثلاثة أشخاص وهم محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير ويُعتبر اعدام الشهداء الثلاثة محمد جمجوم، فؤاد حجازي، وعطا الزير عامل ارهاص وتثوير في الساحة الفلسطينية وتأكيد على التصميم الفلسطيني على استمرار النضال والتحرير لتحقيق الاهداف، حيث زادت حدة المظاهرات والنشاطات السياسية والعسكرية، وتوصل العديد من الفلسطينيين الى ضرورة التوجه العسكري والنضال المسلح وبرز في الحركات المسلحة التي أخذت تبرز فيما بعد مثل الكف الأسود والأخضر والعرميط وابو جلدة، كما برز في القصائد الشعرية والمقالات الصحفية في تخليد مواقف ودور هؤلاء الأبطال.

هذه الأحداث أوصلت الفلسطينيين إلى القناعة بأن الحلول السياسية وسياسة المهادنة التي انتهجتها القيادة الفلسطينية لن تجدي نفعا في تحقيق الأهداف الفلسطينية . أصبح هناك توجه للنضال المسلح، حيث أخذت تبرز فكرة إنشاء منظمات عسكرية مسلحة لمحاربة الصهيونية والانتداب . فعصابة " الكف الأخضر " تأسست في تشرين الأول 1929 بقيادة أحمد طافش وشنت خلال الشهر نفسه هجوما على الحي اليهودي في صفد... وبعد وقت قصير من وصول التعزيزات ظهر رجال الكف الأخضر في قضاء عكا حيث بدعوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس " ⁵² . يلاحظ ان نشاط هذه المنظمة كان في شمال فلسطين، إلا ان كثافة القوة البريطانية والافتقار إلى التنسيق والتعاون مع قيادة السياسة الفلسطينية جعل إمكانات اتساع المقاومة المسلحة أمر متعذرا ... " حيث تم اعتقال زعيمها في شرق الأردن وقتل العديد من عناصرها " ⁵² .

* انتفاضة 1933 *

ساهمت زيادة نسبة الهجرة السنوية اليهودية " خاصة عام 933، في تفجر هذه الانتفاضة، كان عدد المهاجرين خمسة آلاف في 1930، وصل عددهم في 1932 حوالي عشرة آلاف وتضاعف ثلاث مرات (أكثر من ثلاثين ألفا) في عام 1933، يضاف المهاجرون غير الشرعيين الذين وصل عددهم الى 22,000 " ⁵² . يمكن القول أن الزيادة تعود إلى الظروف السياسية الدولية ، خاصة صعود النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا، استغلت المنظمات الصهيونية هذا الوضع لتسريع وزيادة الهجرة الى فلسطين، بالإضافة إلى الأوضاع على الساحة الفلسطينية والأعمال التي قام بها الإنتداب والصهيونية مثل عملية شراء الأراضي وتحولها إلى ملكية يهودية الامر الذي ساهم في زيادة النعمة الغضب، حيث انتقلت إلى ملكية اليهود بين سنتي 1930 و 1933 مساحة 118,453 دونم. ساهمت في زيادة إجلاء الفلاحين عن أراضيهم وتحولهم إلى عمال و كان لتطبيق سياسة العمل العبري اثرا كبيرا في الإضرابات والمظاهرات في المدن الرئيسية خاصة ميناء يافا " وفي اليوم المحدد للمظاهرة احتشد أكثر من سبعة آلاف متظاهر غاضب مسلحين بالعصى والهراوات وفي غضون الاصطدامات قتل واحد من أفراد البوليس وجرح 25 فردا ، أما المتظاهرون فقد قتل منهم 12 شخصا وجرح 78 والقي القبض على عشرات من أفراد الشعب " ⁵² .

ساهمت هذه الممارسات في تأجيج الشارع العربي الفلسطيني . وأعلن الإضراب العام في البلاد وحدثت مظاهرات واشتباكات في مختلف المدن الفلسطينية التي هبت لاستنكار مجزرة يافا ويذكر ان اللجنة التنفيذية هي الإطار السياسي الذي قاد نضال الشعب الفلسطيني طوال فترة العشرينات وحتى عام 1934م، حيث كان هذا الإطار بزعامة موسى كاظم الحسيني ورغم مواقفه التقليدية إلا أنه قدم الكثير من الخدمات للقضية والشعب الفلسطيني، حيث كان على رأس المظاهرات التي انطلقت في انتفاضة عام

1933 وتعرض للضرب بالهراوة على رأسه من طرف جنود الانتداب أدت فيما بعد إلى وفاته وبذلك مع وفاة موسى كاظم الحسيني انتهت حياة اللجنة التنفيذية، حيث أخذت تتشكل أحزاب سياسية لقيادة العمل السياسي الوطني في فلسطين " وظل الإضراب مستمرا حتى الثالث والعشرين من تشرين الثاني عندما دعت اللجنة التنفيذية العربية إلى فكه⁵².

والحقيقة، ان أحداث عام 1933 كشفت النقاب عن وجود تصميم متصاعد لدى الفلسطينيين مما دل على عمق المشاعر العربية ضد سياسة الوطن القومي اليهودي، ثم برهنت على تصميم الفلسطينيين على اللجوء إلى العنف للحيلولة دون تنفيذ مضمون صك الانتداب وان هدفهم الحقيقي هو الاستقلال الوطني، تعززت المواقف الفلسطينية الداعية الى خوض الكفاح المسلح. شكلت أحداث عام 1933 منعطفا مهما في نضال الشعب الفلسطيني، من حيث فشل او عدم جدوى الحلول السلمية والمظاهرات، والتوجه نحو الكفاح المسلح، والذي برز في حركة القسام.

• * حركة القسام 1935 *

• برز هذا التوجه في حركة الشيخ عز الدين القسام ودعوته إلى الجهاد وحمل السلاح وقيامه بتجنيد الشباب في سبيل ذلك، وأجبر توالي الأحداث والممارسات البريطانية والصهيونية، القسام وأتباعه من المجاهدين على البدء بثورة مسلحة ضد البريطانيين والصهيونيين خلال شهر تشرين من ذلك العام، غادر القسام برفقة 25 رجلا من أنصاره المسلحين حيفا في الثاني عشر من تشرين الثاني إلى ضواحي جنين، لدعوة الفلاحين في تلك المنطقة لحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهاينة إلا ان السلطات البريطانية اكتشفت أمرهم وقامت بتطويق المنطقة، حيث اضطر القسام وجماعته إلى الدفاع والمقاومة " وفي التاسع عشر من تشرين الثاني خاض المجاهدون معركة مع القوات البريطانية في غابة يعبد بمنطقة جنين استشهد فيها القسام واثنان من أتباعه وأسر خمسة آخرون واخفى الباقون في الجبل⁵²، تركت هذه المعركة أثرا على الشعب الفلسطيني ضرورة التوجه نحو العمل العسكري لتحقيق الأهداف الوطنية.

ب- الأسباب المؤدية للثورة الكبرى

هناك نوعان من الأسباب التي ساهمت في إشعال الثورة الكبرى:-

1- الأسباب المباشرة: وهي العملية الفدائية ، التي حصلت من طرف مجموعة فلسطينية مسلحة بين عنبتا ونور شمس ضد مجموعة من الأشخاص ، وقتل اثنين من اليهود وجرح ثالث ، كانت الشرارة في انطلاق أفعال ورد أفعال في منطقة يافا.

2- الأسباب غير المباشرة : وهي جملة التراكمات ، الاحباطات، والسياسات المنحازة ، وعدم الوفاء بالالتزامات التي قطعها بريطانيا للعرب بدءا من مراسلات حسين مكماهون والقرارات في الكتب البيض ،

ولجان التحقيق الكثيرة في فلسطين، التي كانت تشكل عقب كل ثورة أو انتفاضة بدءاً بانتفاضة عام 1920.

يلاحظ أن طبيعة القيادة الفلسطينية السائدة في فترة العشرينات كانت تنتمي بالطبقات العليا في المجتمع والمرتبطة بعلاقات سياسية واقتصادية مع الإنتداب البريطاني ، إلا أن التغييرات السياسية العالمية، وخاصة بروز الأفكار القومية والشمولية المعادية لبريطانيا وفرنسا بالإضافة لزيادة الوعي السياسي الداخلي وظهور أحزاب سياسية في فلسطين مثل؛ العربي، الإستقلال، ذات الأفق القومي ، قد أدت لظهور عناصر شابة رأت أن سبب الداء يتمثل في بريطانيا وليس في اليهود كخطر على الفلسطينيين وتحقيق أهدافهم. برز هذا الوعي الجديد والذي انعكس في نشاطات أكثر ثورية ضد بريطانيا ووضع الصهيونية في المرتبة الثانية.

كانت الاحتجاجات حتى هذه الفترة ضد الوجود الصهيوني وتصرفات اليهود لعدم وضوح الرؤية لدى العرب حول طبيعة الصراع . أخذت هذه الرؤية تتغير في أحداث عام 1933 وما بعدها، حيث كانت انتفاضة عام 1933 موجهة ضد الإنجليز بسبب ما تضمنه السياسة البريطانية من شر ، ولأن الوطن القومي اليهودي هو وليد السياسة البريطانية وبرز ذلك في " 1933/3/26 ، حيث اجتمع الزعماء الفلسطينيون ويقدر عددهم بألف شخص في مدينة يافا وقرروا في اجتماعهم تطبيق مبدأ اللاتعاون مع الحكومة باعتبارها مسؤولة عن نكبة فلسطين، وقرروا إقامة مظاهرات دورية في كل مدينة فلسطينية وقد أضربت جميع المدن الفلسطينية في هذا اليوم"⁵².

حركة النضال الفلسطيني تأخذ منحاً جديداً من ناحيتين

الأولى: توجيه الصراع ضد الانتداب البريطاني كحامي للمشروع الصهيوني في إقامة الوطن القومي .
الثاني: القناعة بأن الأشكال النضالية المتمثلة في المذكرات والاحتجاجات والمظاهرات السلمية ، لم تعد تجدي في الوصول إلى الأهداف الفلسطينية في الاستقلال الوطني، برز بصورة جلية في حركة القسام في العام 1935 والثورة الفلسطينية الكبرى ، 1936-1939.

وبرأينا، يمكن إرجاع السبب الرئيسي للثورة الفلسطينية الكبرى إلى رغبة الشعب الفلسطيني في التحرر من نير الاحتلال البريطاني وتحقيق أمانه في الحرية والاستقلال وإقامة دولة وطنية مستقلة كباقي دول المنطقة، إضافة إلى دور التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تحصل في المجتمع العربي الفلسطيني وهو تحول مجموعات كبيرة من الفلاحين ،المزارعين أصحاب م لكئية صغيرة إلى عمال غير مهرة في المدن الفلسطينية الكبيرة، مما أعطى الثورة زخماً وقوة كبيرة في تجذرها واستمرارها وحملها

لمضامين ثورية وتحررية كان لها دورا كبيرا في تطور الثورة الى حركة تحرر وطني ومتجاوزة القيادة التقليدية الفلسطينية في الاهداف والطموحات والوسائل والاساليب .

وبهذا نستنتج، أن جميع الهبات الفلسطينية اشتركت بشكل عام في نفس الأسباب والتي تندرج في سببين رئيسيين حسب تقرير لجنة بيل بعد أحداث ثورة 1936 " أكد التقرير أن الأسباب الأساسية للاضطرابات هي:

(1) رغبة العرب في الاستقلال القومي.

(2) كرههم لإنشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم. وقدمت اللجنة ملاحظاتها على هذين السببين:

(1) هذان السببان هما بذاتهما اللذان أديا إلى الاحداث التي وقعت في سنة 1920، وسنة 1921، وسنة 1929، وسنة 1933 .

(2) انهما كانا في هذه المرة (1936) وغيرها من المرات ، مرتبطين ارتباطا لا تنفصم عراه في تصريح بلفور، وصك الانتداب الذي يقضي بتنفيذ ذلك التصريح ، انطويا منذ البدء على إنكار الاستقلال القومي. وما تلا ذلك من اتساع الوطن القومي . خلق عائقا عمليا في سبيل منح الاستقلال القومي في المستقبل، وهو العائق الخطير الوحيد الذي يحول دون ذلك. ساد الاعتقاد بأن زيادة نمو الوطن القومي، قد تعني إخضاع العرب لليهود سياسيا واقتصاديا، حتى إذا انقضى أجل الانتداب في النهاية وأصبحت فلسطين مستقلة، لم يكن هنالك استقلال قومي بالمعنى الذي يريده العرب، بل حكومة ذاتية لأكثرية يهودية . تطرقت اللجنة في تقريرها إلى عوامل ثانوية زادت من حدة أسباب ثورة عام 1936 أو ساعدت في تحديد الوقت الذي حدثت فيه الاضطرابات والتي كان من أبرزها:

1 تأثر الرأي العام العربي في فلسطين من حصول الدول العربية في العراق وسوريا على

الاستقلال، وشعورهم بأنهم لا يقلون عن إخوانهم العرب بالحصول على الاستقلال.

2 زيادة حدة ضغط اليهودية العالمية بسبب الأوضاع في ألمانيا وإجراءات هتلر ضدهم مما زاد

من الهجرة اليهودية إلى فلسطين و تخوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين.

3 عدم تساوي الفرص المتيسرة للعرب واليهود في بسط قضيتهم لدى حكومة بريطانيا والبرلمان

والرأي العام البريطاني، وسهولة وصول اليهود، وعدم إعطاءهم الفرصة للعرب.

4 ترتيب العرب بمقدرة حكومة بريطانيا على تنفيذ وعودها أو رغبتها في ذلك.

5 فزع العرب من استمرار شراء الأراضي العربية.

6 الهجرة اليهودية بكثرة في السنوات السابقة بأعداد كبيرة تجاوزت الحد المتفق عليه.

7 عدم وضوح المقاصد النهائية للدولة المنتدبة بسبب غموض فقرات صك الانتداب والالتزامات

المزدوجة المطلوبة من بريطانيا. " 52

يلاحظ أن الأسباب المذكورة في تقرير لجنة بيل هي الأسباب الرئيسية لثورة عام 1936 وقد تجسد هذا الوضع من خلال قضيتين أساسيتين ساهمتا في ذلك وهما:

1 -الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

2 -الاستيطان الصهيوني وبيع الأراضي ، كانا المظهران ال لذان استطاع اليهود تحقيق أهدافهم من خلالهما.

1 -الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

"تواجد في فلسطين مع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين في العام 1918 حوالي 55 ألف يهودي"⁵²، والاحتلال البريطاني سمح للهجرة اليهودية بالتدفق انطلاقا من التعهد في تصريح بلفور والذي تأكد أكثر من خلال صك الانتداب المشتمل على بنود تلزم السلطة الانتدابية بالمساعدة في إقامة الوطن القومي اليهودي، وتسهيل الهجرة، كما ورد في المادة الثانية من صك الانتداب . وتنص على وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . قامت السلطات البريطانية بناء على هذه البنود بتسهيل الهجرة . ولم يقتصر ذلك على الهجرة الشرعية ، بل تغاضت عن الهجرة غير الشرعية إلى البلاد والتي كانت بأساليب كثيرة ، مما أدى إلى زيادة أعداد اليهود ، ليصل في العام 1936 إلى حوالي 443 ألف يهودي في فلسطين يمثلون 29.6% من عدد السكان الإجمالي " ⁵² وهذه الأرقام تشمل الهجرة بشكلها الشرعي وغير الشرعي رغم أن قانون الهجرة الأساسي الذي وضع سنة 1920 . وسمح للجمعية الصهيونية "أن تدخل سنويا إلى فلسطين 16,500 مهاجر بشرط أن تكون مسؤولة عن إعالتهم مدة سنة كاملة"⁵² ، هذا الالتزام لم يستمر بل زادت الأعداد ويظهر ذلك بوضوح في سنوات الثلاثينات مع زيادة حدة الوضع السياسي في أوروبا وصعود هتلر في ألمانيا ويظهر من الجدول التالي:

جدول الهجرة اليهودية إلى فلسطين⁵²

جدول رقم 2/1

السنة	العدد	السنة	العدد
1919	1643	1928	2178
1920	15079	1929	5249
1921	4784	1930	4944

4075	1931	7834	1922
9553	1932	7421	1923
32327	1933	12856	1924
42359	1934	33801	1925
61854	1935	13081	1926
29727	1936	2713	1927

وهكذا اختلفت نسبة عدد اليهود في فلسطين "من 7% عام 1918 عند دخول الإنجليز لفلسطين إلى 35% عام 1933" ⁵²، مما شكل ناقوس خطر كبير لدى الفلسطينيين واحتجاجهم على ذلك بأشكال مختلفة. وهذه الأرقام رسمية حسب تقرير لجنة شو ودائرة الهجرة في فلسطين . بينما كانت هناك هجرة غير شرعية، وبأساليب ووسائل مختلفة . وقد اعترف المندوب السامي بتفاهم الهجرة غير الشرعية أمام رهط من وجهاء نابلس فقال "ان الذي يشغل باله هو الهجرة غير الشرعية إذ ثبت أن الذين دخلوا البلاد في عام 1934 بطريق التهريب كانوا أكثر ممن دخلها بجوازات" ⁵²، كما استغل اليهود الجوازات المزورة وطرق أخرى مثل الألعاب المك ابية، المعارض السنوية الصناعية، وأسلوب قدره البلاد على الاستيعاب حسب طرح تشرنتشل والعمال، والتطوع في الجيش الإنجليزي وجمع شمل العائلات والزواج السوري والتسلل عن طريق موانئ بلاد الشام . استطاع دخول البلاد أعداداً كبيرة خلال تلك الفترة . وبطرق غير شرعية وتغاض وعض الطرف من حكومة الانتداب البريطانية ووزارة المستعمرات البريطانية . كانت السياسة البريطانية محابية للحركة الصهيونية وطروحاتها حول استيطان فلسطين. وهذا يلتقي مع مصالح الدولة البريطانية الاستعمارية في السيطرة على المنطقة، وضرب الحركة القومية العربية في ها عبر ايجاد حسم غريب لتسهيل مهمة الاستعمار وتحقيق اهدافه.

التركيبة السياسية والاجتماعية والتوزيع الجغرافي للمهاجرين اليهود

يختلف المهاجرون اليهود الى فلسطين في التركيبة الاجتماعية ،السياسية ،التوزيع الجغرافي في المراحل المختلفة من حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين . تميزت الهجرة في الفترة العثمانية بعناصر تنشط في مجال الزراعة. وبرز في انشاء المستعمرات الزراعية والجوانب المهنية المتعلقة به ا، لثما كان قدومهم الجغرافي من روسيا واوروبا الشرقية هو السمة السائدة للاسباب السياسية المعروفة. بينما في فترة الانتداب البريطاني أخذ يلاحظ تحول من ناحية التركيبية الاقتصادية والاجتماعية نحو طبقة العمال الصناعيين، الرأسماليين، التجار ورجال الدين . واصبح توزيعهم الجغرافي يشمل بعض الدول الاوروبية الغربية مثل المانيا والمناطق المحيطة بها للظروف السياسية وخاصة ظهور هتلر وموسوليني في المانيا وايطاليا. وغلب عليهم عنصر الشباب المسيس، كنتيجة لظهور الصهيونية السياسية . والتحول الكبير في تفكير ومواقف اليهود الصهاينة من الفلسطينيين والذي تجسد في مفهوم العمل العبري واستقلالية اليشوف

اليهودي في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وصولا الى الجوانب السياسية. وطرح مفهوم إنشاء دولة يهودية مستقلة على ارض فلسطين.

يظهر في توكيبة المهاجرين اليهود المسجلين 1933-1938⁵²

جدول رقم 2/2

النسبة المئوية من المهاجرين	عددهم	نوع المهاجرين
11.1	20681	1- اصحاب اموال من الف جنيه فما فوق
	99	2- اصحاب اموال من 500 جنيه فما فوق
0.9	1040	3- اصحاب حرف مع 250 جنيه على الاقل
	475	4- ذوي دخل شهري من 4 جنيهات
25.8	48.123	5- عمال
11.7	21931	6- ابناء عائلات من أصحاب الأموال من (1)
21.1	39457	7- ابناء عائلات عمال (5)
29.4	54882	8- ابناء عائلات في فلسطين
%100	186.688	المجموع

في هذا الجدول يبرز دور اصحاب رؤوس الاموال ، والتوجهات الاقتصادية الصناعية والزراعية المرتبطة بها كما يظهر في بند رقم (1) ودور طبقة العمال والحاجة لهم في مجالات الصناعة والزراعة في بند رقم (5) وما تبقى من المهاجرين يرتبطون بهاتين الفئتين.

اما التوزيع الجغرافي لهما في الفترة 1919- 1936 فيوضح من خلال الجدول التالي⁵²

جدول رقم 2/3

النسبة المئوية	عدد المهاجرين	البلد
26.9	121.576	بولندا
11.6	30.134	روسيا
9.4	25.245	المانيا
5.2	13.624	رومانيا
3.4	8.720	لتوانيا
3.1	8.091	اليمن
2.4	6.188	الولايات المتحدة

اليونان	6.034	2.3
لاتفيا	4.518	1.6
تشيكوسلوفاكيا	3.410	1.3

من جهة ثانية استمرت الهجرة في سنوات الثورة رغم انخفاضها بالمعدلات التالية⁵²

جدول رقم 2/4

السنة	1936	1937	1938	1939	المجموع
عدد المهاجرين	29.727	10.536	12.868	16.405	69.536

اما بالنسبة الى الفئات العمرية فقد كان التركيز على العناصر الشابة وفق التالي.

1- الشباب من اعمار 12-17 على شكل حركة كشفية.

2- الشباب 17-19 منظمة الطليعة الشبابية.

3- 19 فما فوق حيث يدخل الشباب مراكز التدريب والتدريب في مجال الزراعة والصناعة والحرف.

كانت سياسة الهجرة اليهودية تعتمد ارسال اقصى نسبة مهاجرين في سن القوة والنشاط ممن يحتاجهم الاستيطان الاقتصادي والنضال السياسي والعسكري حيث تشكل فئة العاملين (من صفر-14 و 60 فما فوق) اقل من ربع المهاجرين 23.2% ونسبة الشباب 36%⁵². ويظهر هذا بوضوح من خلال استعراض الفئات العمرية للمهاجرين اليهود بعد عام 1928 كما في الجدول التالي.

فئات الاعمار بالنسبة للمهاجرين اليهود بعد عام 1928.⁵²

جدول رقم 2/5

فئة السن	النسبة المئوية	المجموع
صفر-4	5.4	
5-14	12.2	17.6
15-29	46.7	
30-44	20.1	76.8
45-59	10	
60 فما فوق	5.6	5.6

تتضح سياسة الوكالة اليهودية والحركة الصهيونية في استجلاب المهاجرين للعمل والانتاج و تأسيس اليشوف اليهودي في فلسطين . وكان لها دور كبير في مؤسسات الدولة اليهودية فيما بعد . شكلت هذه

الهجرة الكثيفة إلى فلسطين المدخل الرئيس لتغير التركيبة السكانية داخل البلاد، وأدت إلى بروز مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية وديمغرافية، تحدث عنها مجموعة من المسؤولين الفلسطينيين أمام لجنة بيل التي جاءت للتحقيق حول أسباب أحداث الإضراب الثورة في العام 1936 "وقد كان تأثير الهجرة شديدا على طبقتين في المجتمع الفلسطيني بشكل واضح هما طبقة العمال، بإيجاد حالة من البطالة، والفلاحين بانتزاع أراضيهم".⁵²

2 - بيع الأراضي والاستيطان اليهودي:

تعتبر مشكلة انتقال الأراضي من الأيدي العربية إلى الأيدي اليهودية عاملا مهما في قيام ثورة 1936، حيث أدت إلى فقدان كثير من الأراضي . وفقدان عدد كبير من الفلاحين والقرويين لمصدر رزقهم، واقتلاعهم من أرضهم ، وتحولهم إلى عمال غير فنيين في المجتمع الفلسطيني. وانتقالهم إلى المدن للعيش على هامش المجتمع ، وفي بيوت وظروف غير صحية وغير إنسانية . وما تركه ذلك من تأثير وتحول اجتماعي في المجتمع الفلسطيني . وكما هو معروف ، كان حجم السيطرة اليهودية على الأراضي في الفترة العثمانية قليلا . ولم يزداد إلا بعد الهجرة من روسيا في العام 1882، وازدياد عدد المستوطنات اليهودية، " تشير المصادر اليهودية أنه تم إنشاء 44 مستوطنة يهودية بين عامي 1882-1918 بلغت مساحة أراضيها 344,971 دونم. أما المصادر البريطانية، فتذكر أن مساحة الأراضي اليهودية حتى عام 1918، قد بلغت 650 ألف دونم " ⁵² وقد اعتمدت الحركة الصهيونية في عملية شراءها للأراضي على مؤسسات رسمية خاصة بشراء الأراضي وتمويلها مثل " الكيرن كايمت " الصندوق الدائم، و" الكيرن هايسود " الصندوق التأسيسي كشركات بريطانية . كان لها دور كبير في تنظيم عمليات شراء الأراضي.

ساعدت طبيعة الملكية في بعض المناطق على سهولة شراءهم للأراضي وخصوصا الملكيات الإقطاعية الكبيرة المملوكة لعائلات غير فلسطينية . ففي عام 1924 كان 144 من الملاكين الكبار يملكون 3,130,000 دونم بمعدل 22 ألف دونم للعائلة الواحدة " ⁵²، كما أن الأراضي الأميرية والأوقاف الإسلامية والكنائس ، شكلت نسبة كبيرة من الأراضي المشتراة. وسيطرة الدولة المنتدبة على الأراضي الأميرية وإصدار تشريعات وقوانين وعملية التسويات للأراضي من طرف الدولة الانتدابية، سهلت تحويل هذه الأراضي إلى المؤسسات الصهيونية.

أظهر المسح الشامل الذي قامت به حكومة فلسطين عام 1936 التقديرات التالية:

1 -المساحة القابلة للزراعة 8.760.000 دونم.

2 -المساحة التي تقوم عليها القرى والمستوطنات 29.000 دونم.

- 3 -المساحة غير القابلة للزراعة (تشمل 695 الف دونم غابات) 17.428.000.
- 4 -مجموع مساحة الاراضي الريفية 26.217.000 دونم.
- 5 -مساحة المدن 102.000 دونم.
- 6 -المجموع العام لمساحة الاراضي (مضاف اليها بحيرة الحولة 26.319.000 دونم)⁵².
- فاذا اضفنا الى هذا المجموع مساحة البحر الميت وبحيرة طبريا تصبح مساحة فلسطين 27.009.000 دونم.

وكانت اراضي فلسطين حتى عام 1918 مقسمة من حيث الملكية كالتالي⁵²:

جدول رقم 2/6

النسبة	المساحة بالدونم	المالك وطبيعة الارض
42.9%	12.000.000	1- اراضي مسجلة باسم الدولة (أميرية)
52%	13.673.032	2- اراضي مسجلة باسم الملاك العرب
2.5%	650.000	3- اراضي مسجلة باسم اليهود
2.6%	704.000	4- انهار وبحيرات
100%	27.127.032	المجموع

حدثت تغييرات على طبيعة الملكية في ارضي فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني. ويعود ذلك الى الإجراءات والقوانين المختلفة والضرائب التي تم فرضها على السكان. وذلك من اجل انتزاع ملكيتها وتسهيل انتقالها الى اطراف اخرى خاصة اليهود، في اطار سياسة تنفيذ صك الانتداب وتصريح بلفور، مما اثر كبيرا على ملكية الارض وتركيبه المجتمع الفلسطيني اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا. كان دور الانتداب كبيرا في مجال اراضي الدولة والمشاع في القرى الفلسطينية، حيث تغيرت اراضي الدولة في عام 1921 "كانت حوالي 944.805 دونم . اصبحت في عام 1926 حوالي 958 الف دونم، وارتفعت في عام 1937 حسب مذكرة لجنة بيل الى 1.263.497 دونم ، وفي عام 1943 بلغت مساحة اراضي الدولة 1.542.680 وفي احصائيات عام 1945 بلغت 1.491.690⁵²". كانت سياسة الدولة تقوم على انتزاع هذه الاراضي من سكانها العرب واستعمالها لمصالح حكومية او نقلها الى ايدي اليهود. اما بخصوص الاقطاعيين الفلسطينيين فكانوا "يملكون في اوائل عهد الانتداب 4.143.000 دونم. اما الملاك الغائبون فكانوا يملكون في عام 1932 مساحة تبلغ 117.869 دونم."⁵²

الارض المشتراه من طرف اليهود منذ 1878-1936

جدول رقم 2/7

المجموع	الفلاحين	مصادر أخرى (حكومة، كنائس، الشركات)	الملاك العرب الفلسطينيين	من الملاك العرب غير الفلسطينيين
681.978	64.201	91.001	167.802	358.974
%100	%9.4	%13.4	%24.6	%52.6

"بلغ عدد كبار الملاكين في فلسطين في عام 1909، 144 مالك ويمتلكون مساحة تبلغ 3.131.000 دونم مع العلم ان مساحة الارض الصالحة للزراعة حوالي 8.760.500 دونم - 33% من المساحة الاجمالية لفلسطين. وشملت هذه الفئة كبار الملاك في فلسطين وخارجها. بينما يمتلك متوسط وصغار الملكية في عام 1919 حوالي 20% من الاراضي الصالحة للزراعة"⁵². واستنادا الى تقدير موشيه سميلانسكي الذي كان على تماس مباشر مع العرب ويعرف ملاكي الارض شخصيا "فإن 240 عائلة كانت تملك 4.143.000 دونم وهي تقريبا نفس المساحة التي يسيطر عليها مجموع المزارعين العرب الاخرين المستقلين من صغار ومتوسطي الملاكين 4.143.000. الوقف الاسلامي يملك ما بين 750.000 - 1.000.000 دونم"⁵².

كما ساعدت عمليات منح الامتيازات مثل الحوله والبحر الميت وشركة الكهرباء وغيرها من المشاريع . وإصدار التشريعات الخاصة بإجراءات نزع الملكية مثل قانون امتلاك الأراضي للجيش 1920، وقانون تسوية حقوق ملكية الأراضي 1928 وقانون الغابات والضرائب على الأراضي التي كانت بنسبة عالية، حيث كانت تدرج هذه الخطوات في إطار سياسة الانتداب والصهيونية في انتزاع الأراضي من الفلاحين العرب حيث كان يتعذر عليهم سداد ديونهم والوفاء بالتزاماتهم للدولة، وقيامهم ببيع أراضيهم للمؤسسات الصهيونية. هذه السياسة لم تفلح كثير ا على مستوى المزارعين والفلاحين حيث لم تتجاوز نسبة البيع 10% من مجموع الأراضي المباعة، بينما كانت النسب العالية للبيع من قبل ا لعائلات الإقطاعية الأجنبية والمحلية والمؤسسات الدينية وإجراءات الانتداب البريطاني . فقد بلغ مجموع ما ملكه اليهود في فترة الانتداب البريطاني هو 2,075,000 دونم من أصل أرض فلسطين البالغة 27 مليون⁵² وان ما "ملكوه من عرب فلسطين مباشرة هو 68 ألف دونم فقط"⁵²، كانت معظم الأراضي المملوكة من طرف الحركة الصهيونية واليهود هي من مصادر غير فلسطينية كما هو مبين أدناه : الأرض المباعة من أ طراف غير فلسطينية⁵².

جدول رقم 2/8

650 ألف دونم	ما تملكه اليهود تملكا عاديا في الفترة العثمانية.
300 ألف دونم	ما منحه بريطانيا للوكالة اليهودية مجانا.
200 ألف دونم	ما باعته بريطانيا للوكالة اليهودية بثمن رمزي.

75 ألف دونم	ما منحته بريطانيا لشركة البوتاس اليهودية مجاناً.
64 ألف دونم	ما باعته بريطانيا لشركة البوتاس بثمن رمزي.
18 ألف دونم	ما منحته بريطانيا لشركة الكهرباء اليهودية مجاناً.
22 ألف دونم	ما باعته بريطانيا لليهود من الأوقاف المسيحية.
165 ألف دونم	ما باعته أسرة آل سلام لليهود.
400 ألف دونم	ما باعته أسرة آل سرسق لليهود.
39 ألف دونم	ما باعته أسرة التيان لليهود.
74 ألف دونم	ما باعته أسر التويني القباني، سمعه القوتلي، الجزائري، وآل يوسف.
2,007,000	المجموع

تظهر هذه الأرقام عدم صحة فرضية أن الفلسطينيين قاموا ببيع أراضيهم لليهود والصهيونية بل تمسك الفلسطينيون بأراضيهم ، رغم كافة المضايقات والممارسات الانتدابية والحركة الصهيونية وأن عمليات البيع التي تمت وخاصة بيع عائلة آل سرسق التي أدت إلى ترحيل سكان 22 قرية عربية في منطقة مرج بن عامر . استعملت السلطات البريطانية القوة العسكرية لإجلائهم وأدت إلى سقوط شهداء وجرحي بين الفلسطينيين، كانت أشد عمليات شراء الأراضي في الثلاثينات كما في الجدول التالي:

عمليات شراء الأراضي في فترة الثلاثينات⁵² جدول رقم 2/9 .

المساحة بالدونم	السنة
70000	1931
100000	1932
150000	1933
160000	1934
187000	1935
667000 دونم	المجموع

ساهمت هذه الزيادة الكبيرة من شراء الأراضي ، والتي ترافقت مع تكثيف الهجرة اليهودية والممارسات البريطانية باندلاع الثورة. بالإضافة إلى السبب المباشر الذي تمثل في العملية العسكرية التي قامت بها مجموعة فلسطينية بين عنبتا ونور شمس.

من وجهة نظري، أن الأسباب العميقة للثورة تعود إلى المتغيرات الاقتصادية، السياسية والاجتماعية على الساحة الفلسطينية وحتى العربية والدولية، فمن الناحية الاقتصادية تعتبر التغيرات الحاصلة على ملكية الأرض، بسبب بيعها الى اليهود والحركة الصهيونية وحرمان المزارعين والفلاحين العرب منها من خلال سياسة العمل العبري، لقد ساهم ذلك كله في احداث خلخلة اقتصادية واجتماعية للريف الفلسطيني.

وهجرة نسبة كبيرة الى المدينة أو العمل في قطاعات أخرى ، وزيادة روح الثورة والتمرد والغضب لدى الإنسان الفلسطيني المطرود والمسحوق. كما أن الظروف الإقتصادية ساهمت في خلخلة اجتماعية على صعيد الفرد والأسرة وتفتتها وعيشها في أوضاع اجتماعية غير مستقرة، تحولت الى غضب وقهر وحقد على الوضع العام وبالتالي كانت هذه الفئات تربة خصبة للثورة على الظلم الإقتصادي، السياسي والإجتماعي، وذلك بتحميل الإنتداب البريطاني مسؤولية ذلك بسبب دعمه وحمايته ورعايته لنشاطات الحركة الصهيونية في سعيها لإقامة الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين وحرمان سكانها من الحرية والإستقلال الوطني وإقامة دولته كباقي دول المنطقة، والذي برز في السياسة الإنتدابية والتكرر للطموحات للطموحات العربية، تلك السياسة التي طبقتها خلال فترة الإنتداب على فلسطين، هذه العوامل ساهمت مجتمعة في قرار الثورة.

ج- مراحل الثورة :

يلاحظ أن الثورة مرت في ثلاث مراحل رئيسية في الفترة من 15 نيسان 1936 وحتى تشرين ثاني 1939، تميزت كل فترة بشكل معين من النضال وبظروف سياسية ، عسكرية، وسيطرة فئة معينة وبشكل نضالي مختلف لكل فترة زمنية.

1- المرحلة الأولى: الإضراب العام والعصيان المدني 1936/4/15 - 1936/10/12.

بدأت الثورة بالعملية الفدائية على قافلة السيارات اليهودية البريطانية " حوالي الساعة الثامنة والدقيقة عشرين من الليلة الماضية أوقفت عصابة جديدة عددا من السيارات، وسلب ركابها ما يحملونه من الدراهم وقد قتل إسرائيل إبراهيم من يافا وقازان زلفي من تل أبيب وجرح شخص ثالث والتحقيقات جارية"⁵² كانت العملية هي الشرارة التي أطلقت الثورة من خلال أحداث متبادلة من القتل والمظاهرات بين العرب واليهود ، بدأت في يافا ومنطقتها ثم امتدت الى المناطق الأخرى"⁵² وتشكلت اللجان القومية في العشرين من نيسان شكلت في نابلس لجنة قومية عربية قررت إعلان الإضراب العام في البلاد كلها على أن يستمر الإضراب إلى أن تعلن الحكومة موافقتها على المطالب التي قدمت إليها في تشرين الأول السابق "، حيث تم وضع خطة عمل لهذه اللجنة في المدينة تتولى:

أولاً: الإشراف على سير الحركة الوطنية في المدينة

ثانياً: الاتصال الفوري بالبلدان الفلسطينية الأخرى لتأليف لجان قومية على غرار لجنة نابلس، تتولى إدارة الحركة الوطنية وتأمين استمرار الإضراب " ⁵²، أخذت تتشكل لجان قومية في كافة المدن والقرى الفلسطينية⁵² من أجل استمرار الإضراب وتصعيد النضال الوطني.

كانت الحركة الشعبية رائدة ومنقدمة في الدعوة إلى النضال، حيث أن هذه القيادة السياسية لم تشترك في إدارة دفة العمل الوطني إلا بعد عشرة أيام وذلك في 25 / 4 / 1936، عندما أخذت الأحزاب بتشكيل

اللجنة العربية العليا من أجل الإشراف على الحركة الوطنية والثورة " فكان هذا الإضراب مدفوعة إليه الأمة بإرادتها فلا تحريض ولا إرهاب ولا أحزاب ولا رئاسات بل الكل في الدفاع عن الوطن في الواجب سواء.

هكذا بدأ الإضراب الكبير في كل أنحاء فلسطين " وهو الإضراب الذي استمر 175 يوما. وقد أكد هذه الحقائق المندوب السامي في تقريره إلى وزارة المستعمرات بأن الإضراب بدأ في أنحاء البلاد وأعلنته لجان وجماعات مختلفة واشترك في هذا الإضراب المسلمون والمسيحيون على السواء " ⁵² حيث أخذت حركة الإضراب تعم كافة مناطق فلسطين وتمحورت المطالب الفلسطينية من خلال بيان اللجنة العربية العليا على ثلاثة أهداف رئيسية وهي:-

1- منع الهجرة اليهودية منعا باتا.

2- منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

3- إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي " ⁵²

تطورت الأحداث بالدعوة إلى العصيان المدني ، عدم دفع الضرائب ومقاطعة اليهود في مختلف المجالات. وبرز ذلك في اجتماع اللجان القومية المنعقد في القدس في 1936/5/6 "ويرى الآن موقعوا هذا النداء أن الوقت قد حان بالضرورة القسوى للرجوع إلى ما سبق إعلانه واقترحه في المؤتمرات فتتخذ الأمة من قاعدة لا ضرائب بلا تمثيل واللاتعاون سلاحا سلميا لمقاومة الاستعمار البريطاني مقاومة شرعية نبيلة تكرهه على التسليم للعرب بحقوقهم كاملة " ⁵²، خرجت اللجان القومية من هذا الاجتماع بقرار عدم دفع الضرائب من تاريخ 5/15 ومقاطعة اليهود وسياسة اللاتعاون مع الانتداب البريطاني حتى يتم الاستجابة للمطالب الوطنية الفلسطينية المذكورة في مذكرة اللجنة العربية العليا . حاول الانتداب الدعوة إلى الهدوء من خلال البلاغات الرسمية للحكومة ، ومطالبة اللجنة العربية بتهدئة الأحوال ، مع استمرارها في عمليات قمع الفلسطينيين في مختلف المدن والقرى، واحضار التعزيزات العسكرية الى فلسطين من مصر ومالطا " وكان للقبض على 61 مناضلا في 23 أيار وهم أعضاء اللجان القومية، أثرا كبيرا في خروج السكان في مظاهرات عارمة ، حيث أطلق البوليس النار فقتل أربعة أشخاص وجرح سبعة، وتوجه عدد من القرويين المسلحين إلى طولكرم بالقرب من قرية بلعا حيث جرح أربعة أشخاص بينهم امرأة كانت تحمل الماء للمقاتلين وعند هذا الحد تحول الإضراب السلمي في لواء السامرة إلى ثورة كاملة " ⁵² وبهذا دخلت الثورة مرحلة جديدة من خلال العمل العسكري المسلح وانتشار الثوار في الجبال وقيامهم بعمليات عسكرية ضد الأهداف الإنجليزية والصهيونية وبداية تشكيل المجموعات المسلحة وقيادة المناطق والفصائل وخاصة في مناطق الشمال والوسط والجنوب " ⁵² ، حيث كان العمل في البداية عشوائي ا ومناطقيا لكن أخذت الأمور بالترتيب مع دخول فوزي القاوقجي إلى فلسطين وقيامه بتنظيم العمل

العسكري، أخذت الثورة تشتد من خلال المعارك مع القوات الإنجليزية واليهودية وأصبحت مقاليد الأمور بشكل كبير في يد الثوار.

واستطاعت الثورة تحقيق إنجازات عديدة من خلال السيطرة على المناطق الجبلية وخاصة في الشمال والوسط. مما أدى إلى زيادة التعزيزات العسكرية البريطانية التي وصلت إلى أكثر من فرقتين عسكريتين " وبهذه الاستعدادات أصبح عدد رجال الجيش البريطاني في فلسطين لا يقل عن 15 ألف جندي... يضاف إليهم رجال البوليس الفلسطيني ويقدر عددهم بستة آلاف رجل وقوة الحدود الأردنية ويقدر عددها بأربعة آلاف رجل والمجموع 25 ألف رجل بين جندي وبوليس⁵². يظهر هذا العدد مدى اتساع الثورة وقوتها في صيف عام 1936. وهذا الوضع أزعج مختلف الأطراف بدءا بالاحتلال البريطاني، والحركة الصهيونية والحكام العرب وحتى قيادة اللجنة العربية العليا التي شعرت بفقدان مركزها مع اشتداد الثورة، أخذت هذه الأطراف بالعمل على محاولة إنهاء الإضراب وإجهاض الثورة، وتكثفت المساعي والجهود للتوسط السياسي وبرز دور كبير للحكام العرب "وخاصة الأمير عبد الله في شرق الأردن ونوري السعيد في العراق وآل سعود في السعودية والإمام يحيى في اليمن بتنسيق وإيعاز من الحكومة البريطانية والمندوب السامي في فلسطين، أخذت هذه المفاوضات والوساطات فترة زمنية استمرت أكثر من أشهر حيث ابتدأت في وسط آب من خلال وساطة نوري السعيد⁵² ، أسفرت هذه الوساطات عن إصدار نداء من طرف الملوك العرب بشكل منفرد إلى اللجنة العربية العليا "بالدعوة" إلى وقف الإضراب والعمل المسلح من أجل إعطاء فرصة للجنة الملكية التي اقترحتها ملك بريطانيا وكان النداء في صورة رسالة إلى اللجنة العربية العليا⁵²، وجدت اللجنة العربية العليا مخرجا لها بإنهاء الإضراب والعودة إلى قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في "البيان" التي أصدرته في 11 / 10 / 1936 بإنهاء الإضراب⁵²، تم إنهائه في صباح يوم الاثنين 12 / 10 / 1936 بعد مرور 175 يوما على قيامه واستطاع أن يضع القضية الفلسطينية في مصاف متقدم لتحقيق الأهداف الوطنية إلا أن ال مواقف المهادنة لقيادة الثورة السياسية ، التآمر العربي، بالإضافة إلى القمع والتعسف البريطاني والتميز والمماطلة من خلال لجنة التحقيق الملكية المسماة بلجنة بيل ، ساهمت في إنهاء الإضراب وإجهاض نضالات الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة، برز الدور الكبير للقيادات المحلية والشعبية، والتحالف بين القرية والمدينة ساهم في نضالات وإنجازات على الصعيد السياسي، العسكري والاقتصادي.

يمكن الإستنتاج أن الخاسر الأكبر في الثورة في المرحلة الأولى (الإضراب) هو الشعب الفلسطيني، فالخسائر البشرية عالية سواء في الشهداء، الجرحى، المعتقلين، التدمير في الممتلكات، بالإضافة إلى خسارة الأرض والبيع لليهود وتقوية المستوطنات وتوسعها وطرد العمال العرب من المشاريع الاقتصادية الكبيرة البريطانية واليهودية، خاصة عمال ميناءي حيفا ويافا واستبدالهم بعمال يهود، كذلك الضرر الذي

لحق بميناء يافا بسبب ميناء تل أبيب واستعماله من قبل بريطانيا واليهود كميناء تجاري رسمي، كما ضربت حركة التصدير في الجانب العربي خاصة الحمضيات. ساهم الإضراب في استقلال الإقتصاد اليهودي وعدم تعامله مع القطاعات العربية، وكان هذا الإستقلال لبنة أساسية في بناء اليشوف اليهودي عن المحيط العربي وأصبحت فكرة التقسيم حقيقة واقعة أخذت تتجسد على الأرض بشكل تدريجي. استغل اليهود والحركة الصهيونية الثورة في تأسيس نواة عسكرية مدربة ومسلحة بمساعدة بريطانيا وبأعداد وصلت إلى أكثر من 15 ألف رجل مشكلة نواة جيش الدولة العبرية فيما بعد، بينما تحطمت وتلاشت النواة البسيطة من الثوار التي تشكلت خلال الثورة.

يتضح أن الفلسطينيين وافقوا على إنهاء الإضراب والعمل المسلح في هذه الفترة على أمل الحصول على شيء من النوايا الحسنة للصديقة بريطانيا حسب أقوال الزعماء العرب، حيث أرسلت لجنة بيل للتحقيق في الأحداث. دخلت الثورة في فترة سبات وترقب وانتظار لقرارات وتوصيات لجنة التحقيق الملكية والتي امتدت من 12 / 10 / 1936 وحتى 15 / 7 / 1937. أصدرت تقريرها والمشمول على طرح فكرة التقسيم بين دولتين عربية، يهودية بالإضافة إلى منطقة دولية في الأماكن المقدسة مع شريط إلى يافا كميناء على البحر مع عدم التوصية بالاستقلال القومي العربي، وإدانة اليهود، وعدم منع الهجرة والاستيطان، وشعر العرب بأن اللجنة تحيزت للصهيونية وحكومة الانتداب وأن الخاسر من توقف الإضراب والثورة هو الشعب الفلسطيني مما أدى إلى تفجر الثورة من جديد في شهر أيلول 1937، وبداية مرحلة جديدة من الثورة.

2 المرحلة الثانية :- الثورة في الريف

(أيلول 1937 - آذار 1939)

يعتبر حادث اغتيال أندروز حاكم لواء الجليل بتاريخ 26/9/1937 بداية الثورة من جديد، أعلنت السلطات البريطانية عن إجراءات قمعية جديدة " واستنادا إلى قانون الدفاع لسنة 1937 يعلن أن اللجنة العربية العليا وجميع اللجان القومية في فلسطين جمعيات غير شرعية " ⁵²، وإصدار أوامر باعتقال أعضاء اللجنة العربية العليا، وعزل المفتي من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وشنت السلطات حملة اعتقال واسعة في البلاد، مما اضطر العديد من الوطنيين والمشاركين في الثورة في المرحلة الأولى من الاختفاء والمغادرة خارج البلاد أو إلى الجبال، ساهم ذلك في إعادة تشكيل العمل العسكري من جديد وانطلاق العمليات الفدائية ضد الجيش البريطاني والمستعمرات الصهيونية . وقامت السلطات البريطانية بتشكيل المحاكم العسكرية " للنظر في قضايا إطلاق النار على أي شخص مما يعد جريمة تستحق عقوبة الإعدام وكذلك حمل السلاح والقنابل وهي جرائم توجب عقوبة الإعدام ⁵²، قامت القوات البريطانية بإجراءات تعسفية ضد المواطنين والقرى وبأشكال مختلفة من الاعتقال والقتل والتخريب ومنع التجوال في

سبيل قمع الثورة، لثما في المرحلة الأولى بل أشد في هذه المرحلة . وكان باكورة اعمالها اعتقال الشيخ فرحان السعدي المجاهد القسامي، وحاكمته وقامت بإعدامه بتاريخ 14/رمضان/1356 الموافق 28/19 37/11 لمجرد وجود بندقية في منزله⁵²، مما كان له أثر وصدى كبير لدى الحركة الوطنية الفلسطينية، و تصعيد أوار الثورة، التي أخذت تتشكل في الجبال ، وتشكيل اللجنة المركزية للجهاد في دمشق لإدارة شؤون الثورة ، وتزويد الثوار بالسلاح ، والمؤن والعمل الإعلامي المساند للثورة، وكان مقر اللجنة المركزية للجهاد مسؤولا عن إجراء التنسيق والتعاون بين تشكيلات الثوار ، التي كانت تتمتع إلى حد كبير بالاستقلال الذاتي ويتولى رئاسة كل منها قائد محلي يساعده عدد من رؤساء الفصائل. وكان يتولى قيادة هذه التشكيلات قادة فلسطينيون يرتبطون بأوثق الصلات بالفلاحين والقرى التي تقع ضمن مناطق عملياتهم، تم تقسيم فلسطين إلى عدة مناطق عسكرية رئيسية يشرف عليها قائد عام وينضوي تحت لوائه مجموعة من الفصائل، كل فصل يحتوي مجموعة من الثوار يصل إلى 70 شخصا أو أكثر. ونظرا لحدة التنافس والتكافؤ بين قادة المناطق فقد كان هناك صعوبة في اختيار قائد عام للثورة في الداخل وخاصة بعد فشل محاولات إدخال فوزي القاوقجي إلى فلسطين لقيادة النضال الوطني لأسباب عائدة إلى "تعهدات قدمها للحكومة العراقية، بعدم الاشتراك في السليسة أو أية حركة ثورية تجاه فلسطين"⁵² وبرز مجموعة من القادة أصحاب الخبرة من المرحلة السابقة مثل عبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق ، عبد القادر الحسيني، يوسف أبو درة أبو إبراهيم الكبير و أبو إبراهيم الصغير، حيث أن النجاحات التي حققوها وخاصة القائد عبد الرحيم الحاج محمد ساهمت في تعيينه قائدا عاما للثورة " ففي عام 1938 عين عبد الرحيم الحاج محمد قائدا عاما للثورة في فلسطين"⁵² ، إلا أنه في الحقيقة كانت هذه القيادة رمزية ولم تكن مسيطرة على قادة المناطق وخاصة مناطق الوسط والجنوب، التي كانت تتمتع بحرية واستقلالية أكبر إلا أنه بالإجمال يمكن تقسيم فلسطين عسكريا في هذه المرحلة إلى المناطق التالية:-

1- المنطقة الشمالية (منطقة حيفا) : وتمتد من جبل الكرمل على الحدود السورية اللبنانية وحتى طبريا وكانت تشمل خمس قيادات محلية (الكرمل، عكا، صفد، الناصر، طبريا) ومن قياداتها أبو إبراهيم الكبير، أبو إبراهيم الصغير، سليمان عبد القادر.

2- قيادة منطقة نابلس: وتشمل أفضيه نابلس ، طولكرم، جنين وساحل حيفا، ومقسمة إلى أربع مناطق.

أ- جنين الغربية بقيادة الشيخ عطية أحمد وبعده يوسف أبو درة.

ب- جنين الشرقية بقيادة محمد صالح ثم عبد الفتاح أبو عبد الدائم.

ج- طولكرم الشرقية بقيادة عبد الرحيم حاج أحمد ثم أحمد محمد الحسن.

د- طولكرم الغربية بقيادة عارف عبد الرازق.

3- قيادة المنطقة الوسطى : تشمل أفضية يافا واللد والرملة ومن أشهر قادتها في منطقة اللد الشيخ حسن سلامة.

4- قيادة منطقة القدس : وتشمل أفضية القدس، رام الله، الخليل وبيت لحم حيث كان عبد القادر الحسيني في منطقة القدس وعيسى البطاط ثم عبد الحليم الجولاني في منطقة الخليل .

5- المنطقة الجنوبية : وتشمل مناطق غزة، المجدل وبئر السبع، حيث كان بها قيادات محلية تنفذ أوامر القيادة العليا في دمشق وتتعاون مع قيادات مناطق القدس، نابلس⁵².

وصلت الثورة إلى كافة مناطق فلسطين بعد أن كانت في بداية المرحلة الثانية من الثورة في مناطق الشمال فقط، ولم تتلقى الدعم الكامل من قطاعات الشعب المختلفة بسبب الخوف من إجراءات السلطة البريطانية إلا أن نشاط الثوار المكثف والعمليات الناجحة وخاصة معارك بلعا، وطبريا، اليامون وغيرها من الاشتباكات والمعارك ساهمت في زيادة التوجه الشعبي في القرى والمدن للثورة ودعمها . أصبحت تسيطر على الوضع بشكل كبير في صيف وخريف 1938، "وبحلول الصيف كان الثوار قد سيطروا تماما على معظم المناطق الجبلية في البلاد إلى درجة أنهم كانوا يسيرون في مدينة نابلس على سبيل المثال وبحرية تامة في وضح النهار وبأسلحتهم الكاملة".⁵²

اعترف البريطانيون بقوة الثورة في تلك الفترة " بحلول الليل - كتب الكابتن اورد وبينغيت، يصبح زمام الأمور في يد رجال العصابات. انهم أحرار في زيارة القرى ليلا دون أية مخاطرة، ويستطيعون التحرك بلا وجل خارج الطرق الرئيسية، ويستخدمونها أيضا عندما يجدون الأمر مريحا لهم وبصورة عامة لا تتحرك الشرطة والجيش أثناء الليل"⁵². استطاعت قوات الثوار القيام بعمليات جريئة على معسكرات الجيش والشرطة والسيطرة على المدن مثل الخليل والقدس وطبريا ونابلس لفترات من الزمن وأصبحت تسيطر على الحياة وتنظيم شؤون المجتمع. وتأسيس محاكم الثورة ولجان الإصلاح في المدن والقرى لحل النزاعات وأصبحت القضايا تتحول من المحاكم الحكومية إلى محاكم الثوار في الجبال، حيث رفدت القيادة العليا قيادات المناطق بمستشارين سياسيين وقانونيين للمساعدة في تنظيم عمل الثورة وضبطه في مناطق سيطرتهم، وأصبح الثوار في ذروة قوتهم يشكلون السلطة العليا في معظم المناطق الريفية في فلسطين، حيث كانت لديهم أجهزتهم الشرعية والإدارية، وبالتالي " القدرة على إصدار الأوامر وتنفيذها مثل الامر بوقف سداد الديون في أيلول 1938 والأمر بارتداء سكان المدن الكوفية والعقال بدلا من الطربوش وذلك لتغطية تسلل الثوار القرويين والحيلولة دون تمكن أفراد البوليس والجيش من تمييزهم".⁵²

ساهمت هذه الإنجازات إلى إجراءات وتصعيد عسكري بريطاني . وزيادة القوة العسكرية واستدعاء فرق جديدة، حيث بلغت (25) ألف جندي.⁵² بينما يذكر مصدر آخر عددها حوالي ثمانين ألف منهم 42 ألف جندي بريطاني و 20 بوليس و 18 ألف يهودي من حرس المستعمرات⁵² وكان عدد الثوار "يتراوح بين

4-10 آلاف تآئر. منهم 3000 تفرغوا كليا لأعمال العصابات، و1000 تفرغوا للعمل الفدائى فى المدن و6000 من سكان القرى والبادية . لم يتفرغوا كليا للجهاد بل كانوا يمارسون أعمالهم الخاصة بالإضافة لقيامهم بأعمال النجدة للثوار عند نشوب المعارك ⁵². بينما تقدرهم مصادر أخرى "د. بن غوريون". أصبحت حركة العصابات تضم فى صفوفها 15,000 شخص تقريبا ، عشرهم منظم فى كتائب صغيرة وتنتقل من قرية إلى أخرى والباقون أقاموا فى منازلهم وكانوا يشتركون فى العمليات كلما تطلب الأمر ذلك⁵²

كان الإطار العسكرى للثوار يتكون من مقاتلين متفرغين مشكلين فى فصائل كل فصل يتراوح بين 50-70 رجلا ومجموعات الأنصار (الفرزة) عند الاشتباكات بالإضافة إلى لجان محلية للمساندة من الرجال والنساء للتموين والإسعاف وغيرها من الأعمال . ما يدل على قوة الثورة وانتشارها وعنفاها ما ذكره التقرير البريطانى لعام 1938 عن عدد الحوادث التى قام بها الثوار فى فلسطين فى ذلك العام. عدد النشاطات التى قام بها الثوار فى العام 1938⁵² .

جدول رقم 2/10

الرقم	النشاط	عدد المرات
1	هجوم على الجيش والبوليس البريطانى	986
2	هجوم على أفراد يهود	176
3	هجوم على وسائل مواصلات	335
4	إطلاق نار على المستوطنات والأحياء اليهودية	651
5	إلقاء قنابل	331
6	خطف (أشخاص)	215
7	إتلاف أملاك يهودية	415
8	قطع التليفونات	720
9	تخريب السكك الحديدية والطرق	341
10	تخريب أملاك حكومية أخرى	210
11	تخريب خط أنابيب شركة بترول العراق	104

ساهمت هذه النشاطات فى عمليات عسكرية واسعة ضد الثوار والسكان. وعملية احتلال عسكرى للمناطق الفلسطينية واعدامات واعتقالات بشكل واسع من خلال القوانين العسكرية وأنظمة الطوارئ وتكثيف الإجراءات البريطانية الأخرى مثل "تأسيس جدار تيغارت على الحدود الشمالية بطول 80 كم ويعرض 3 أمتار مع أسلاك شائكة وحقول ألغام وأبراج بارترفاع ثلاثة أمتار⁵²، إلى الحد من انتشار الثوار رغم قيامهم بتدمير أجزاء كبيرة منه . كما ساهمت الوحدات الليلية بقيادة الضابط وينغيث وفرق الجواله

اليهودية وحراس المستعمرات وقوات الهاغاناه في التأثير على نشاط الثوار الفلسطينيين وأدى إلى حصول ضربات موجعة للثورة تمثلت بمقتل عدة قادة خاصة عبد الرحيم الحاج محمد في 27 آذار 1939 الذي كان يعتبر القائد العام للثورة، استشهد في معركة صانور في قضاء جنين، استدلت عليه السلطة بواسطة عميل لها يدعى فريد ارشيد، وقد رفض القائد اللجوء إلى الهرب وقام يقود معركة الخلاص مع إخوانه، إلا أنه استشهد⁵² تراجع نشاطهم بشكل كبير في ربيع 1939 وخروج عارف عبد الرازق ويوسف أبو درة وغيرهم إلى خارج البلاد. وأصبح الثوار دون قيادة منظمة.

رغم ذلك ساهمت هذه الإنجازات الفلسطينية على الصعيد العسكري إلى تحسن موقف القيادة السياسية الفلسطينية والمواقف البريطانية منها، أدت إلى إرسال بريطانيا لجنة لدراسة موضوع التقسيم وإمكانية تطبيقه سميت (لجنة وودهيد) رغم أن العرب قاموا بمقاطعتها إلا أن دراستها أثبتت صعوبة بتنفيذ اقتراح مشروع التقسيم الذي تقدمت به لجنة بيل في العام 1937، حيث درست المشروع والمقابلات وقد تقدمت بعدة مشاريع وكل مشروع معدل عن الآخر. برزت صعوبة تحقيق التقسيم "ان مسألة كون التقسيم قابل للتطبيق تنطوي على اعتبارات عملية وسياسية، فالاعتبارات العملية تتعلق بصورة خاصة بالمالية والاقتصاد، والصعوبات الإدارية كبيرة ولكن إذا توفرت الإرادة لإيجاد حل، لا يمكن أن يقال أنها لا تنذر غير أن الصعوبات المالية والاقتصادية هي من نوع لا نستطيع معه أن نجد ضمن نطاق شروط اختصاصنا، حلا ممكنا لتذليلها ولكن لا بد أن نقر بعجزنا عن استنباط أي مشروع عملي، اقترحنا شكلا معدلا للتقسيم على وجه يبدو لنا، على الرغم من حرمانه الدولتين العربية واليهودية من الاستقلال في إدارة شؤونها المالية، -أنه يصلح بعد مراعاة بعض التحفظات- لأن يكون أساسا للتسوية، إذا كانت حكومة جلالته مستعدة لتحمل ما ينطوي عليه من التبعة المالية الكبرى"⁵². أثبتت تقرير اللجنة صعوبة إيجاد التقسيم والذي أسقطته الثورة الفلسطينية بنضالها الذي أخذ يشتد أكثر في نهاية العام 1938 وأوصلت هذه الإنجازات الحكومة البريطانية إلى إصدار تصريح يبرز فيه الخطة السياسية الجديدة للحكومة البريطانية حيث جاء فيه " بعد إمعان النظر والتدقيق في تقرير لجنة التقسيم، ان هذا التحقيق قد أظهر أن الصعاب السياسية والإدارية والمالية التي ينطوي عليها الاقتراح القائل بإنشاء دولة عربية مستقلة وأخرى يهودية مستقلة، هي عظيمة لدرجة يكون معها الحل للمعضلة غير عملي، ولذا فان حكومة جلالته ستواصل القيام بمسئولياتها في حكم فلسطين بأجمعها"⁵²

وبذلك يظهر تحسن الوضع العسكري والسياسي للفلسطينيين مما أجبر البريطانيين بلقترح مؤتمر يعقد في لندن سمي مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في 7/شباط 1939 للأطراف الثلاث العرب، اليهود والبريطانيون على شكل ثنائي الوفد العربي الفلسطيني مع البريطانيين. كما عقد اليهود والبريطانيين مؤتمر في نفس الوقت لتدارس الموضوع، واستطاع الفلسطينيون تحقيق شروطهم من خلال الإصرار على

تمثيل اللجنة العربية العليا لهم ممثلة بالمفتي وجماعته، حيث رضخت بريطانيا لذلك بحضور وفد اللجنة العربية العليا برئاسة جمال الحسيني وبإشراف وتوجيه من المفتي وقد طرح العرب مطالبهم :-

- " (أولا) الاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام ببلادهم.
- (ثانيا) العدول عن تجربة إنشاء الوطن القومي اليهودي.
- (ثالثا) إنهاء الانتداب البريطاني وان يستبدل به معاهدة مماثلة للمعاهدة البريطانية العراقية نشأ في فلسطين بموجبها دولة ذات سيادة.
- (رابعا) منع الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي لليهود منعا باتا⁵².
- لم يسفر مؤتمر المائدة المستديرة عن نتيجة إيجابية، حيث أن مطالب العرب ترفض التقسيم واليهود تطالب به، وتوصلت الحكومة البريطانية إلى نتيجة بعدم إمكانية التوفيق بين الطرفين حيث قامت بإصدار الكتاب الأبيض في 17/أيار/ 1939، حيث كانت أهم بنوده:-

1- الدستور.

2- الهجرة.

3- بيع الأراضي.

بالنسبة للدستور جاء في البند العاشر " أن الهدف الذي ترمي إليه حكومة جلالتة هو أن تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة⁵². إلا أن هذا العمل يرتبط بالمشاركة مع لجنة الانتدابات في عصبة الأمم وبمساهمة العرب واليهود في حكومتها مع فترة انتقالية يعطي أهل فلسطين نصيبا متزايدا في حكومة بلادهم.

يتضح صعوبة تحقيق هذه الشروط وخاصة من طرف اليهود بالنسبة للهجرة أعطى الكتاب السماح لليهود بإدخال 75 ألف على أساس 10 آلاف كل سنة في الخمس سنوات القادمة مع إدخال 25 ألف كحالات لجوء وظروف إنسانية ومع انقضاء السنوات الخمس تقف الهجرة إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها.⁵²

وبالنسبة للأراضي تم تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق يمنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود في قسم منها ويحدد في قسم ويطلق في قسم ثالث إلا أن بريطانيا في البند 17 تضمّن اليهود وبأن للمندوب السامي حق إعادة النظر فيها أو تعديلها فكلما أدخل تحسين في الأساليب الزراعية وازداد إنتاج الأرض خففت قيود البيع أو ألغيت.⁵²

إن الخطة السياسية الجديدة الواردة في الكتاب الأبيض لم تحقق مطالب العرب بالشكل المطلوب وحسب مطالبهم في مؤتمر لندن وغيره من المذكرات وأبقت الأمور عائمة وضبابية ومفتوحة لكل الاحتمالات خلال الفترة الانتقالية المقترحة والتي يمكن إعاقتها وتأجيلها .

من جهة ثانية، كان الكتاب الأبيض ضربة قوية لليهود حيث رفضوه واعتبروا ان بريطانيا خانته وتخلت عنهم وعن مشروعهم القومي " أما الآن فقد حلت محله سياسة إغلاق الأبواب، وإيقاف تطور الوطن القومي اليهودي. ولم يبق أمامهم إلا طريق القتال من أجل بقائه ومستقبله"⁵²

مع نهاية هذه المرحلة في العام 1938 فقد أعلنت الحكومة البريطانية في أكتوبر/ 1938 "إن عدد الفرق العسكرية البريطانية في فلسطين وصل إلى 17 فرقة. وكانت حصيلة عام 1938، 5708 حادث منها 986 هجوما على البوليس والجيش البريطاني و 651 هجوما على المستعمرات اليهودية، وحسب المصدر البريطاني نفسه فان عدد الإصابات من البريطانيين قد بلغ 77 قتيلًا و 126 جريحًا ومن العرب 503 قتلى و 598 جريحًا ومن اليهود 255 قتيلًا و 390 جريحًا وحاكمت المحاكم العسكرية البريطانية 382 شخصا وأصدرت 54 حكما بالموت أما السجناء العرب فبلغ عددهم 2463

شخصاً"⁵²، بينما ذكرت المصادر اليهودية "أن عدد القتلى من اليهود بلغ 313 يهودياً".⁵²

كانت الفترة المذكورة أشد مراحل الثورة ضراوة واستطاعت أن تحقق إنجازات على الأرض بسيطرتها على معظم الريف الفلسطيني بالإضافة إلى عدة مدن وكان وضع البريطانيين سيئًا كما ذكر وزير المستعمرات في زيارته السرية إلى فلسطين " ان قمع الثورة العربية ليست بالسهولة المظنونة "، وقد أقر هايننغ، القائد العام البريطاني، بأن قواته تواجه شعبًا ثائرًا يصعب السيطرة عليه.⁵²

من جهة ثانية، تميزت هذه المرحلة بأنها كانت ثورة الريف الفلسطيني بمعنى الكلمة من حيث القيادة الميدانية، كانت نسبة القيادات العليا والعناصر المشتركة في الثورة منهم تصل إلى 90% من الثوار. كما اعتمدت الثورة في الجوانب المالية والإدارية والإيواء والمساعدة وغيرها من النشاطات المرافقة على القرية وسكانها، وكان البريطانيون يركزون على القرى في عمليات القمع والتدمير ، وحتى أن المظاهر الفلاحية المتمثلة بالكوفية والعقال والتي على أساسها كان يتم اعتقال بكل لابس لها، كعضو في الثورة، وأصبحت القرية والمناطق الريفية هي مناطق الفعل ومركز القرار في هذه المرحلة. وحلت محل الإدارة البريطانية في حل المنازعات والخصومات وتطبيق نوع من الإدارة الذاتية من خلال اللجان المحلية ولجان الإصلاح التي تم تشكيلها في القرى لحل المشاكل، وفض الخصومات ولمساندة الثورة في المجالات المختلفة.

المرحلة الثالثة: التراجع إلى المدن وانهاية الثورة

"نيسان 1939 - كانون أول 1939"

تميزت هذه المرحلة بأحداث عدة ساهمت في تحديد معالمها، والتأثير عليها بشكل كبير، حيث تراجع المد الثوري وبداية الهبوط في الأعمال والنشاطات العسكرية للثورة. وهذه الأحداث شكلت بداية المرحلة الثالثة وتراجع العمل الفدائي وانكماشه إلى المدن وهذه الأحداث هي:-

1 - عقد مؤتمر لندن في شهر شباط 1939، شارك فيه العرب الفلسطينيون بالإضافة إلى وفود من مصر والسعودية والعراق وشرق الأردن مع بريطانيا والوفد الصهيوني دون أن يلتقي العرب باليهود، وطرحت الحكومة البريطانية مقترحات تتضمن إنهاء الانتداب واستقلال فلسطين إلا أن الموقف اليهودي أدى ببريطانيا إلى التراجع عن ذلك.

2 - إصدار الكتاب الأبيض في 17 / أيار / 1939، الذي احتوى على السياسة البريطانية في فترة العشر سنوات القادمة و حمل في طياته إلغاء مشروع التقسيم وفكرة الدولة اليهودية.

3 - استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد في 27 / آذار / 1939، وتأثير ذلك على الثورة كونه القائد العام للثورة، مما أدى إلى تفتت الوحدة بين قيادات الثوار .

طبعت هذه الأحداث الثلاثة المهمة المرحلة الثالثة بطابع جديد وتركت تأثيرا كبيرا ، حيث أخذت القيادة العربية العليا السياسية تهتم بالأمور السياسية على حساب العمل العسكري الذي استنفذ دوره. كانت قيادة العمل العسكري منافسة للقيادة السياسية، كونها من طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة عن طبقة القيادة السياسية، التي تشكلت من الإقطاعيين والبرجوازيين ومنقفي المدن. وتراجع دورهم في مراحل الثورة الأولى والثانية.

يمكن اعتبار بداية ربيع 1939 هي بداية هذه المرحلة، والتي استمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية، حيث توقفت الثورة بسبب الأحكام العرفية وحالة الحرب، والحشد من طرف القوات البريطانية ووصول قواتها الى حوالي ثمانين ألفا في نهاية العام 1938، " وصل عدد قوات الجيش في البلاد إلى فرقتين اشتملتا على 18 كتيبة مشاة، وكتيبيتي فرسان، وكتيبة مدرعات، وكتيبة مدفعية، وجميع الوحدات الملحقة بها. " ⁵² كما قدرها صبحي ياسين "بلغ عدد القوات البريطانية التي اشتركت في معارك فلسطين (42) ألف جندي ونحو (20) ألف بوليس بالإضافة إلى حرس المستعمرات اليهود وعددهم أكثر من (18) ألف وبذلك بلغ عدد القوات الحكومية نحو ثمانين ألفا وكانت القوات البريطانية تحت إمرة الجنرال "ديل" ثم الجنرال "ويفل" بالإضافة إلى قوات الطيران" ⁵².

قامت هذه القوات بنشاطات وعمليات عسكرية كبيرة ضد الثوار والقرى والمدن ويشكل مكثف وحصار كبير على القرى والمدن بالإضافة إلى حملات قمع وتأديب لكل شخص أو مجموعة أو قرية تقدم مساعدات للثوار، كما قامت بدعم وتشكيل "فصائل السلام" المعارضة بقيادة فخري النشاشيبي وبقايا حزب الدفاع. مما أدى إلى صراعات أهلية وصراع بين هذه المجموعات وعناصر الثورة. وأدت إلى حالة من الفوضى والتمرد والاضطراب وقيام هذه الفئات أو الثوار بعمليات اغتيالات سياسية واستغلال هذه الحالة لتصفية حسابات شخصية أو عشائرية على حساب العمل الوطني، مما كان له أثر كبيراً على الثورة، وبداية خفوت العمل الوطني. ويظهر ذلك من خلال أرقام النشاطات العسكرية للثورة في هذه الفترة والذي شهد تراجعاً ملحوظاً " إذ بلغ مجموع العمليات 952 عملية مختلفة في العام 1939⁵² وراحت القوات البريطانية بالتعاون مع عناصر الثورة المضادة تنفذ عملية نزع شامل للسلاح، " واستولت على 2076 بندقية و 785 مسدس و 235 بندقية صيد واحتلت وفتشت حتى تموز من العام نفسه 758 قرية⁵².

وحسب الإحصائيات البريطانية فإن مجموع العمليات التي قام بها الثوار خلال الفترة 1936-1939 كانت كما يلي:

جدول رقم 2/11⁵²

السنة	1936	1937	1938	1939
العمليات	4076	598	4969	952

وقد أحصى صبحي يسن 251 صداماً عسكرياً ومعركة واعتبر 25 منها معارك وصدامات كبيرة.

- أبرز معارك المرحلة الأولى: نورشمس، بلعا، بيت امرين.
- معارك المرحلة الثانية: عرابة، اليامون، أم الدرج، جرن حلاوة، بيت فوريك، بني نعيم.

دور منطقة الوسط (القدس) في الثورة⁵²

يلاحظ المتتبع للقراءات والدراسات حول الثورة الفلسطينية التركيز على دور مناطق الشمال الفلسطيني (نابلس والجليل)، وتحدث عن هذه المناطق بشكل تفصيلي. بينما هناك عدم تفصيل لدور مناطق الوسط ممثله بالقدس وما حولها والجنوب مثل بئر السبع وغزة، رغم ان منطقة الوسط كانت العاصمة الدينية والسياسية لفلسطين منذ الفترة العثمانية ويمكن ارجاع ذلك حسب رأينا:

1 تركيز العمل الصهيوني من بيع اراض واستيطان في تلك المناطق. مما اعطى سكانها زخماً أكثر للمشاركة في النضال الفلسطيني دفاعاً عن مناطقهم بشكل اساسي.

-
- 2- الطبيعة الجغرافية لتلك المناطق سواء مناطق الجبال في السامرة والجليل وقريهم من الحدود الشمالية، ساهم في تركيز النضال الوطني الفلسطيني في تلك المنطقة.
- 3- ساهمت حركة البيع وطرد السكان وتحولهم العمال في المدن خاصة حيفا ويافا ساهم الحراك الاجتماعي الحاصل في المدن الى زيادة النعمة والانضمام الى الثورة.
- 4- تواجد السلطة المركزية الاحتلالية في القدس، حيث التواجد السياسي والقبضة العسكرية من طرف الانتداب على منطقة الوسط اكثر من مناطق الشمال والجنوب. ساهم في الحد من حرية الحركة في هذه المناطق. رغم ذلك فان المتعمق والمتفحص لاحداث الثورة الفلسطينية وخاصة الدراسات الشفوية والكتابات للسير الذاتية، تظهر تواجد نضالا سياسيا وعسكريا ملحوظا في مناطق الوسط من خلال وجود قيادة عسكرية مستقلة عن قيادة الشمال ممثلة بالقائد عبد القادر الحسيني، الذي تراس قيادة العمل الوطني في منطقة الوسط من خلال تشكيل تنظيم عسكري وتشكيل خلايا وفصائل عسكرية في تلك المناطق. وبروز قيادات عسكرية كبيرة مثل الجولاني في الخليل وحسن سلامة في منطقة اللد- يافا والشيخ عبد الفتاح في شرقي رام الله وابو شوكت النوباني في منطقة بني زيد ومحمد ابو قطيش في شمال غرب رام الله (المزرعة القبيلية) وسعيد شقير وغيرهم من قادة الفصائل. ويبرز ايضا من خلال مجموعة من المعارك مثل معركة بني نعيم ومعركة الخضر، واحتلال مدينة القدس ورام الله وبئر السبع وغيرها والتي تضاهي معارك في الشمال.
- وبهذا يمكن القول ان منطقة الوسط رغم شدة الحصار والضغط من طرف الانتداب البريطاني، الا انها شاركت في النضال الوطني بشكل فعال ولموس. وكانت قياداتها مركزية مثل قيادات مناطق نابلس والشمال. بمعنى ان نشاطات منطقة الوسط تركت أثراً اكبر خاصة عمليات اغتيال القيادات البريطانية واضطرار القائد وايفل لقيادة العمليات ضد قوات عبد القادر الحسيني في منطقة الخليل وبني نعيم. ومن الامثلة على دور واهمية المنطقة ان الاجتماع المركزي لقيادات النضال الوطني الفلسطيني العسكري تمت في دير غسانه- بيت ريما وهي تابعة لمنطقة القدس، حيث حضرت قيادات المناطق الشمالية الى تلك القرية من اجل وضع خطط النضال الوطني واختيار قيادة عسكرية. وهذا يظهر اهمية دور منطقة القدس في العمل الوطني الفلسطيني بالاضافة الى ان القيادة السياسية كانت موجودة في القدس ممثلة بالحاج امين الحسيني واللجنة العربية العليا، حيث كان معظم اعضائها من منطقة الوسط. ان عدم ابراز هذه المنطقة ودورها في النضال الوطني، ان طبيعة القيادة في الوسط ذات توجهات وطنية قومية. بينما معظم قيادات الشمال ذات توجهات اسلامية من مجموعات القسام. وعملية الاتصال بينها اكثر قريبا ووضوحا. بينما كانت قيادة الوسط والجنوب اكثر استقلالية عن تلك القيادة وتعمل بشكل منفرد وهذا أدى إلى عدم وصول المعلومات عن نشاطاتها بشكل منظم.

وقف الثورة

أكدت حصيلة التطورات عجز القيادة التقليدية العربية من ممثلي عائلات اسياذ الارض والاقطاع عن قيادة الزخم التحرري لجماهير الشعب العربي الفلسطيني المسحوقة التي فجرت ثورة 1933 و ثورة 1936-1939 خاصة وانه يوجد في الجبهة المعادية عدو متمترس ذو خبرة من ممثلي الراسمالية المتطورة (الامبريالية والصهيونية).

وعلى الرغم من الدور الذي قامت به البرجوازية المدنية الصغيرة والمتوسطة في مقارعة الامبريالية، الا ان هاتين القوتين الهامتين في ثورات حركة التحرر الوطني لم يتقويا الى حد يمكنهما من القيام بالدور القيادي في قيادة المعركة المصيرية من اجل الاستقلال الوطني. فمن ناحية كانت هناك قاعدة جماهيرية واسعة جدا من الكادحين والفلاحين وصغار البرجوازيين المسحوقين، والمستعدين للتضحية في سبيل التحرر والاستقلال. ومن الناحية الاخرى تقف على رأس الهرم الاجتماعي والسياسي فئة من ممثلي اسياذ الارض والعائلات الكبيرة مثل الحسيني، النشاشيبي، التاجي، "التي تضررت مصالحها الاقتصادية بفعل الامبريالية والصهيونية ولكنها ترهب التحولات الجذرية الاقتصادية والاجتماعية ونمو الطبقة العاملة، الفلاحين والمتقنين البرجوازيين الصغار عدديا، تنظيميا، نقابيا وسياسيا، لهذا انطلاقا من مصالحهما الطبقيّة مالت هذه الفئة من القيادة التقليدية دائما الى التذبذب وممالة الامبريالية البريطانية واستعدادها للتفاهم معها وخدمة مصالحها، وبرز في ايقاف الثورة"⁵².

يعود وقف الثورة يعود إلى مجموعة من العوامل والظروف المحلية، العربية والدولية.

- اولا:التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، التي أخذت تحدثها الفئات المشاركة في الثورة من الفلاحين والطبقات الدنيا، التي لم ترق إلى الطبقة العليا والقيادة التقليدية للثورة الموجودة في الخارج، وشعرت بخروج السيطرة من يدها وأصبحت مجريات الأمور تسير لصالح الطبقات الوسطى والدنيا في المجتمع الفلسطيني.
- ثانيا: تراجع الدعم والمساندة من طرف القيادة الفلسطينية في الخارج، مما أدى في النهاية إلى تراجع المد الثوري وبداية تقلص أعداد الثوار من خلال الإستشهاد أو السجن أو النفى والخروج من فلسطين. ولعل أبرز صورة على قرار وقف الثورة من طرف القيادة العليا ما صرح به أبو إبراهيم الكبير - أحد قادة الثورة- " حول اتهامه اللجنة العربية العليا والى معتمدها في دمشق عزت دروزه فقال " وذات يوم طلبنا من الأستاذ عزة دروزه المساعدة المقررة، فأبلغنا أن هناك قرارا يوقفها، فذهبت شخصا لمقابلة المفتي (في قرية الذوق بضواحي بيروت) فحدثني عن المضايقات التي يلاقها من الفرنسيين، وأخبرني أنه حصل على جواز

سفر وأنه ينوي السفر إلى بغداد ولقد صحبني إلى هناك، مع أنني لم أكن موافقا على إيقاف الثورة"⁵²

ثالثا: الأسباب الدولية المتمثلة بأجواء الحرب العالمية ومسايرة التغييرات الدولية والوفاق الجديد بين الفرنسيين والإنكليز، حيث قامت السلطات الفرنسية باعتقال ومحاكمة العديد من الفلسطينيين بتهم مساعدة الثورة وإمدادها بالمال والسلاح وصنع المتفجرات فقد مهدت أجواء الحرب للسلطة البريطانية السيطرة على الوضع .

وساهمت الضغوطات العسكرية البريطانية والصهيونية بالإضافة الى التفاهم البريطاني الفرنسي عشية الحرب الثانية. مما جعل السلطات الفرنسية تضيق على الثوار والإمدادات من الحدود الشمالية. وبالتالي "نزوح واختفاء الثوار وقد انتهت الثورة فعليا بعد نشوب الحرب العالمية بأيام معدودة.⁵² " وكان آخر اشتباك منظم بين الثوار والقوات البريطانية بتاريخ 17 / 12 / 1939 في معركة أم الفحم الثانية.

رابعاً: سقوط العديد من القادة وخروج قسم منهم إلى الخارج أو الوقوع في الأسر واستشهاد عبد الرحيم الحاج محمد، وانسحاب عارف عبد الرازق- بصورة مفاجئة " واعتقال يوسف أبو درة - أحد قادة الثورة- في شرق الأردن في 24 / آب / 1939 وتسليمه ."⁵²

خامساً: عدم وجود قيادة عسكرية قوية للثوار بالإضافة إلى عدم وجود قيادة سياسية وعسكرية موحدة ذات خطة استراتيجية واضحة المعالم للسير بالثورة.

سادساً: دور عناصر الثورة المضادة (المعارضة) في الإيقاع بالثوار واختراق صفوفهم والقيام بنشاطات أضرت بسمعة الثوار بين الطبقات الإجتماعية خاصة القرية والفلاحين.

د- نتائج الثورة ودروسها

النتائج والآثار التي تمخضت عنها الثورة التي استمرت ثلاثة أعوام ونيف، طالت كافة الفئات المشاركة فيها في فلسطين الشعب العربي، اليهود والحركة الصهيونية، والانتداب البريطاني. وتوكت تأثيرات سياسية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية ونفسية.

1- في الجانب السياسي:-

ساهمت بتحريك الوضع السياسي من جموده، فقامت بريطانيا بإرسال لجنة بيل للتحقيق في الأحداث وتقديم توصيات بخصوص الوضع. واقترحت اللجنة فكرة التقسيم من خلال دولتين عربية ويهودية ومنطقة انتدابية، إلا أن الطرف العربي رفض فكرة التقسيم وتجددت الثورة بشكل كبير مما أجبر بريطانيا على إرسال لجنة ودهيد لدراسة فكرة التقسيم والتي وجدتها صعبة التطبيق.

واقنع مؤتمر لندن " البريطانيين " بصعوبة تطبيق فكرة التقسيم، فأصدرت الكتاب الأبيض الذي رفض فكرة التقسيم مع إعطاء مدة عشر سنوات لإقامة الدولة الفلسطينية وتقييد حركة الهجرة اليهودية ووضع أسس لعملية بيع الأراضي لليهود. وبهذا ساهمت الثورة في إنهاء فكرة التقسيم وتحديد الهجرة. إلا أنها لم تصل إلى الهدف الأساس للفلسطينيين المتمثل في إقامة دولة فلسطينية مستقلة. واستطاعت الثورة وضع القضية الفلسطينية في موضعها على الساحة الإقليمية والدولية. ويظهر من خلال المواقف العربية ونقاشات مجلس العموم واللوردات البريطانيين للقضية لإيجاد حل لها.

من جهة ثانية، لم تستطع القيادة السياسية الفلسطينية الارتفاع لمستوى الإنجازات التي حققتها الثورة على الأرض واستغلالها بشكل جيد وفعال. ويعود ذلك لطبيعة هذه القيادة كونها من الطبقة الإقطاعية وملاك الأراضي وشرائح البرجوازية العليا، والتي امتازت بدور مهان ومصلحي تاريخيا منذ الفترة العثمانية وعملها كوسيط بين السلطة والفئات الاجتماعية الأخرى " الأسلوب السياسي الذي اتبعته النخبة السياسية في عهد الانتداب..... بوصفهم وسطاء بين السلطة المركزية من جهة والجماهير الشعبية من جهة ثانية. وعلى هذا الأساس افتقرت القيادات العربية الفلسطينية في عهد الانتداب إلى الخبرة في مجال العمل الجماهيري " ⁵²، وبقيت تمارس نشاطها بالوسائل الشرعية والدبلوماسية. وبالتالي الحرص على مصالحها من خلال الحفاظ على علاقات ودية مع الانتداب والموازنة بين الموقف الوطني من ناحية وعلى موقعها البارز في المجتمع من ناحية أخرى، لم يكن لديها تفكير في القضايا الوطنية إلا من زاوية منافعها الخاصة أكثر من الصالح العام وبذلك عجزت هذه القيادة عن قيادة الثورة ومنذ البداية ويظهر أن تشكيل اللجنة العربية العليا كان لاحقا للهيئة الشعبية التي قادتها اللجان القومية المحلية والتي ضغطت على القيادة السياسية لتشكيل قيادة للثورة والتي تشكلت في 25 نيسان 1936 بينما الثورة بدأت في 15/ نيسان واللجان القومية تشكلت في 20 نيسان في نابلس " ⁵². رغم أن معظم القيادات السياسية تركت ساحة الميدان واتجهت إلى الخارج في القاهرة، بيروت، دمشق. "عندما اشتدت الحرارة غادر هؤلاء (المطبخ) تاركين (الرجل العادي) ليتلظى وحده، وأخذوا في التجمع على مقاهي بيروت المترفه، حيث تحدثوا كثيرا في السياسة وتظاهروا بمعرفتهم عما يدور في فلسطين البعيدة، لقد كانوا عاملا مهما في فشل الثورة الذريع " ⁵². وعندما وجدت هذه القيادة أن الثورة لم تعد في صالحها أو أوصلتها إلى هدفها وهو " حمل بريطانيا على القبول بإعطاء دور سياسي فعال للجنة العربية العليا في إدارة البلاد لم تتوان في اتخاذ قرار بإيقاف المساعدات للثورة ⁵²، وبذلك يظهر أن الزعماء السياسيين على اختلافهم كانوا يحاولون توجيه الثورة بشكل يحقق لهم مكاسب سياسية دون الانخراط في الفعل الثوري من خلال خروجهم خارج الوطن.

وبهذا يتضح أن النتائج السياسية للثورة لم تكن بمستوى وحجم التضحيات التي قدمت من طرف الشعب الفلسطيني ويعود ذلك لطبيعة القيادة السياسية ، التي لم تندمج في الفعل الوطني والثوري بشكل جيد والبقاء في دائرة علاقاتها ومصالحها الفئوية والطبقية . رغم النجاحات التي حصلت على الأرض من طرف الثوار من خلال سيطرتهم على مناطق بالكامل وحتى مدن لتكون قاعدة لتأسيس دولة على الأرض والانطلاق منها إلى الهدف النهائي .

2 - الدروس في الجوانب الاستراتيجية والعسكرية والتنظيمية:

يعتبر غياب الاستراتيجية العسكرية، عدم توفر الإمكانيات الفعالة، غياب القيادة العسكرية والسياسية الموحدة، عدم ملائمة الوضع الدولي، عمل الثورة المضادة من خلال فصائل السلام المعارضة . ساهمت هذه العوامل مجتمعة في عرقلة استمرار الثورة توقفها وفشلها في تحقيق الأهداف المطلوبة . وهذا الفشل يعود إلى عدم الإعداد للثورة إعداداً يضمن استمرارها، وبشكل خاص فيما يتعلق بالإعداد الإداري والإمداد -التسليح التمويين والتمويل- ثم ان كثيرا من الذين يحملون السلاح لم يكونوا مدربين على الرمي ولا على الحركات العسكرية" ⁵² . وقد ظهر فشل الثورة في عدم القدرة على وضع قائد عام للثورة مركزي وفعال لضبط الأمور العسكرية، حيث قامت قيادات المناطق بالتفرد في الكثير من القرارات والأعمال . واللجنة المركزية للجهاد في دمشق لم تكن ذات سلطة قوية على الثوار وقياداتهم العسكرية "وأكثر الذين تولوا القيادات العامة لم يعينوا لها تعينا وإنما فرضوا أنفسهم فرضا بقوة شخصياتهم وبسالنتهم ومجازفتهم وفرض أنفسهم على من انضم اليهم ولم يكن بوسع اللجنة المركزية إلا ان تسامر الوقائع وتتدبر بحكمه في تقويم ما اعوج منها وفرض نفسها وإسماع كلمتها، ان مواردها الضعيفة لم يكن لتسمح بأن تكون هذه المساعدات وافيه وان تكون الوسيلة الحاسمة " ⁵² وبالتالي فشلت الثورة في بناء هيكلها التنظيمية ووضع استراتيجية للهدف الاستراتيجي العام للثورة.

3- الآثار الاقتصادية:

تحمل الشعب الفلسطيني عبء الثورة الاقتصادي بشكل كبير، الإنفاق وإمدادها بالسلاح، الاعتاد والمهونة، فضلا عن شذائد الإضراب الذي استمر ستة شهور " وقد ما تحمله أهل فلسطين بمليونين من الجنيهات، ولم تكن المساعدات التي وردت إلى فلسطين من الأقطار العربية إلا جزءا يسيرا جدا " ⁵² إن كافة التكاليف والخسائر في النشاطات الاقتصادية وتخريب الممتلكات والمنازل وغيرها. وتكاليف نفقات القوات البريطانية، وتخريب الممتلكات اليهودية دفع الشعب الفلسطيني تكاليفها للاحتلال من خلال الغرامات الجماعية والفردية التي كانت تفرض على السكان دفعت من طرف الشعب الفلسطيني "وما تنسى الغرامات المشتركة الباهظة التي تفرض على القرى من أجل أسلاك تلغراف وجدت مقطوعة

أو قطار اقلب عن سكته، من دون دليل على الفاعل، وحيثما تأخرت الغرامة عن موعدها نسفت مئات المنازل بمحتوياتها نسفا وهام أهلها من عجز ونساء وأطفال على وجوههم".⁵²

وهكذا يتضح أن الشعب الفلسطيني قام بالثورة، ودفع تكاليفها المادية بالإضافة إلى خسارة اقتصادية ذهبت لصالح اليهود بشكل مباشر حيث أن الاقتصاد اليهودي تطور بشكل كبير في هذه المرحلة في النواحي الصناعية والتجارية وحركة التصدير، وخاصة بعد قيامهم بإنشاء ميناء تل أبيب حيث كان له دور في تشجيع وتسريع حركة الهجرة وتهريب الأسلحة، " جاء إنشاء وتطوير ميناء تل أبيب سنة 1936، وقد تمكن من منافسة ميناء يافا العربي، الذي أخذ في التقهقر، حيث تم تحويل مسار التجارة اليهودية والبريطانية إلى الميناء الأول منذ إنشائه".⁵² وتعرضت للحياة الاقتصادية الفلسطينية للتدمير من طرف الانتداب البريطاني بالتدمير والنسف وحرق المزارع والمحاصيل ومنع التجول الذي وصل لأيام وأسابيع وأشهر وبخاصة مدينة صفد التي "تعرضت إلى 140 يوم منع تجول كامل"⁵² يلاحظ هنا نوعين من الخسارة الاقتصادية حصلت للشعب الفلسطيني عامة وللمجتمع القروي خاصة.

1 - الخسائر المباشرة تنوعت بين خسارة مادية من خلال فرض الغرامات المشتركة خلال سنة 1936 فرض غرامات على حوالي 250 قرية وبلغت قيمة الغرامات المفروضة " 21" ألف جنيه لم يجمع منها سوى (4670) جنيهها⁵² . كانت تتحمل القرى تكاليف نفقات بناء وتموين القوات البريطانية والمخافر والنشآت العسكرية البريطانية "وقد عين خلال سنة 1936 حوالي ألف شرطي اضافي عربي وانشأت السلطات خلال سنة 1937 ستون مخفراً اضافياً على نفقة السكان"⁵² . كما كان لسياسة حظر التجول جانب اقتصادي من خلال تعطيل النشاطات الاقتصادية. ولا تخرج سياسة هدم البيوت كوسيلة للضغط الاقتصادي على الأسر، حيث نسف او هدم او تصدع حوالي خمسة الاف بيت ودكان وكانت تنسف احياء بكاملها وفي بعض القرى كانت تنسف نصف البيوت او اكثر كما حدث في قرية شعب، وقرية باقة الغربية، وقرية الفريديس، وقرية الراس الاحمر"⁵² . وبهذا يتضح مدى النفقات والخسائر التي تحملها المجتمع الفلسطيني نتيجة اجراءات وممارسات الانتداب البريطاني تقمع الثورة.

2 - الخسائر غير المباشرة وتتمثل في عمليات التخريب والتدمير للقطاعات الاقتصادية الرئيسية خاصة الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، وسرقة الارض ومصادرتها واعطاءها لليهود باساليب ملتوية وتدمير مقومات تطور الاقتصاد العربي وابقائه كالاقتصاد متخلف. بينما دعم الاقتصاد اليهودي وتقديم كافة التسهيلات والخدمات واعطاه فرص التطور الرأسمالي والصناعي من خلال تسهيل حركة التجارة وحركة الاموال والسماح ببناء ميناء تل ابيب وغيره من المؤسسات الاقتصادية التي ساهمت في تطور واستقلالية الاقتصاد اليهودي في فلسطين. وبهذا يمكن القول ان المجتمع الريفي تحمل العبء الاكبر من الخسائر والتخريب الاقتصادي خلال الثورة الفلسطينية حيث ان الثورة كانت تتواجد وتمارس نشاطاتها في القرى

والمناطق الريفية. وبهذا وقعت القرية الفلسطينية بين مطرقة الاحتلال وسندان الثورة وقد اختارت القرية الفلسطينية الوقوف في صف الثورة من خلال الدعم وتحمل الإجراءات العقابية البريطانية لأن الثورة كانت المعبر عن معاناة وطموح وآمال القرية الفلسطينية التي كانت الخاسر الرئيس والمباشر من هجمة الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية.

4- الآثار الاجتماعية للثورة:

ساهمت سياسات الانتداب والحركة الصهيونية لى بروز وضع اجتماعي سيئ لدى الأسر الفلسطينية . والتأثير على التركيبة الاجتماعية والنفسية للعائلات الفلسطينية . وتركت تأثيرات اجتماعية كبيرة بالاتجاهين الايجابي والسلبي على المجتمع الفلسطيني في تلك الفترة. كما ان التأثيرات الاجتماعية مرت في مراحل عدة خلال الثورة. وتراوحت بين المد والجزر والقوة والضعف وذلك حسب وضع الثورة ومراحلها المختلفة، حيث تميزت الثورة في البداية بالقوة والعنف والتعاون والوحدة من طرف مختلف فئات الشعب الفلسطيني (مرحلة الاضراب)، حيث التف الشعب الفلسطيني حول الثورة وقيادتها السياسية والاحزاب والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية. وبرز التعاون التام والالتزام وظهر جليا في اللجان القومية للاضراب في مختلف المدن والقرى. وتقديم كافة الاشكال الدعم للسكان مما جسد روح التعاون والتضامن بين مختلف الفئات والطبقات وبين القرى والمدن خلال هذه المرحلة من الثورة. كما استمرت هذه الصورة خلال المرحلة الثانية من الثورة.

هذه الصورة الايجابية من التعاون والتضحية بالنفس والمال , رافقها صور سلبية من طرف الفئات المشاركة في الثورة. تمثلت في مجموعة من التجاوزات ,استغلال السلطة والنفوذ واتخاذ قرارات فردية من اطراف بعض القادة العسكريين الميدانيين, حيث تم القيام بالعديد من عمليات القتل والاعدام ,التهب والسلب وفرض الأتاوات على السكان وتحصيل الاموال بالقوة من طرف بعض القادة العسكريين ومع التزام قادة اخرين بالروية والعقلانية والتعاون بصدق مع السكان مما اكسبهم احترام وتقدير السكان.

من وجهة نظرنا يمكن إرجاع أسباب بروز الظواهر السلبية في الثورة إلى:

- 1- عدم وجود منهج فكري وعقائدي للثورة.
- 2- بعد القيادة السياسية عن العسكرية الميدانية، وعدم وجود تنسيق بينهم.
- 3- إتخاذ القيادة العسكرية لموقع القيادة السياسية. واتخاذ قرارات وممارسات غير مدروسة وواقعية.
- 4- طبيعة القيادة العسكرية وعدم وجود متسع للتفكير وحرية التعبير والإستماع للرأي الآخر.
- 5 - عدم وجود تربية ثورية وعقائدية، بالإضافة إلى المستوى التعليمي والثقافي المتدني لدى العناصر.

مما أثر على أسلوب العمل العسكري والثوري، والذي انعكس في الكثير من الممارسات والنشاطات السلبية التي أثرت على الثورة وعلاقتها بالجماهير. يضاف إلى ذلك العمليات المضادة من طرف الإنتداب والصهيونية، بتشكيل فصائل السلام المعارضة، والزج بالكثير من العناصر المخربة داخل صفوف الثورة من أجل التخريب والقيام بعمليات اغتيال سياسي، وفرض أتاوات واستغلال النفوذ وعمليات الاعدام والقتل غير المبنية على الحقائق وخضوعها أحيانا للاعتبارات الشخصية والحسابات العائلية، من أجل الإساءة لسمعة الثورة وقيادتها. ساهمت في خلخلة البنية الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني واثارة النعرات العشائرية والحزبية. أصبحت الاغتيالات السياسية ظاهرة سلبية، وادت الى تخلي قسم من السكان عن الثورة ودعمها. والانضمام الى معسكر المعارضة وتشكيل ماسمي بفصائل السلام بقيادة فخري النشاشيبي وفخري عبد الهادي، مما كان له اثر كبير في ضرب وحدة المجتمع الفلسطيني وانهيار الثورة فيما بعد بدعم ومساندة بريطانية ويهودية . كما ادت ظاهرة قتل المتعاونين او المشتبه في تعاونهم وبدون محاكمات وحقائق ثابتة، الى خلخلة الاسرة والمجتمع الفلسطيني وانسحاب الكثير من الثورة وحتى الاشتراك في العمليات المضادة للثورة، حيث ان معرفتهم بأسرار الثورة والثوار ساهم في ضربات موجعة ، وشكلت بداية النهاية لها، كما ترك استشهاد وجرح الاف من ابناء الشعب الى ضرب وحدة الاسرة وتشنت افرادها. مما ادى الى التأثير على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة والمجتمع و خاصة الطبقات الدنيا. ومع خروج القيادة والسياسة من فلسطين، أصبحت القيادة العسكرية هي المسيطرة ومعظمها " من الفلاحين مما ساهم في تفجر غضب الفلاحين ضد سكان المدن ووقعت أسوأ الإصابات بين سكان المدن ذوي الارتباط بالحكومة كرجال البوليس العرب والموظفين ورؤساء البلديات وكان هناك اصابات بين افراد العائلات الكبيرة"⁵² "وبذلك ادى تفجر الصراعات بين القرية والمدينة ووجد الفلاحون الفرصة في السيطرة وفرض التوجهات والسياسات الخاصة بهم وخاصة في المجال الاقتصادي من خلال بيان خاص بالديون والايجارات واللباس الفلاحي "الكوفية والعقال". رغم ان مظهرها وطني وكان هناك التزام وتعاون الا انها عكست توجهات سيطرة القرية على المدينة في تلك الفترة ومحاولة فرض ثقافة القرية.

ساهمت الثورة في توجهاتها الريفية ، وتراجع دور المدينة وطبقتها العليا الى بروز نوع من الحدة والتنافر بين الفئات الاجتماعية الفلسطينية ، غذتها السياسات الاحتلالية البريطانية والصهيونية من خلال إيجاد فصائل السلام. مما أدى إلى انتشار ظاهرة الاغتيالات السياسية لأسباب مختلفة اجتماعية وسياسية وعشائرية وأدخلت المجتمع في دوامة صراعات ثار وانتقام على خلفيات مختلفة وفي مرات كثيرة لأسباب شخصية أو ثأرية عشائرية وليس وطنية. ادت الى صراعات اجتماعية وعشائرية.

ان تضارب الأرقام بالنسبة للخسائر البشرية في الأطراف المختلفة المشاركة في الثورة . يعود لأسباب عدة منها عدم رغبة السلطة أو الثوار كشف الأرقام الحقيقية للنواحي النفسية أو إخفاء الطرف العربي خوفا من انتقام السلطة البريطانية من أسرهم . وبذلك هناك العديد من الأرقام حول هذه الخسائر فيما يقدرها غسان كنفاني أن الخسارة في السنوات الأربع " بلغت 19792 ما بين قتل وجريح وهذا التقدير يتناول العرب الذين أصيبوا على يد العصابات الصهيونية وذلك يجعل القتلى العرب حوالي 5032 قتيلا وعدد الجرحى في الفترة نفسها 14760 جريحا عربيا"⁵² ، بينما قدرهم مصدر آخر بحوالي 14 ألف شهيد عربي " ⁵² ، بينما يذكر نفس الباحث في مكان آخر أن عدد القتلى 5000 آلاف والجرحى 15 ألفا"⁵². ووصل عدد المعتقلين العرب إلى "أكثر من خمسين ألفا طوال فترة الثورة ، حيث أنشئ 14 معتقلا لهذا الغرض"⁵². بينما الخسائر في الطرف البريطاني وبسبب سياسة التعقيم التي اتبعتها السلطات الاحتلالية البريطانية فلم تضح الأرقام الحقيقية، حيث كانت تخفي حكومة الانتداب خسائرها البشرية ويمكن تقدير أعداد القتلى والجرحى من البريطانيين بحوالي 130 قتيلا وحوالي 398 جريحا"⁵² وبهذا يتضح أن الأرقام المذكورة حسب الإحصائيات الرسمية البريطانية قليلة ولا تعطي الأرقام الحقيقية وحسب مصادر الثوار في بلاغاتهم وبياناتهم في المعارك مع القوات البريطانية فمعركة بلعا الأولى " انسحب الإنكليز بعد أن خلفوا ستين قتيلا منهم " ⁵² وفي معركة بلعا الثانية " وقد بلغ عدد القتلى الإنجليز مئة قتيل " ⁵²، بينما في معركة بيت امرين " خلفوا وراءهم مئة وخمسين قتيلا " ⁵²، وفي معركة العوادين خسر الإنكليز في هذه المعركة "أكثر من (120) جنديا"⁵²، من هذه الأرقام يتضح فداحة خسارة البريطانيين في هذه الثورة، بينما الخسائر اليهودية حسب التقديرات البريطانية الرسمية " فقد بلغت 429 قتيلا و 929 جريحا " ⁵² بينما قدرتها المصادر اليهودية بأرقام أعلى من ذلك " وقد بلغ عدد الضحايا اليهود منذ بداية الأحداث في ربيع 1936 حتى إنهاؤها 520 شخصا يضاف إليهم 2500 جريح " ⁵²، بينما مصادر الثوار تقدرهم بأكثر من ذلك بكثير وخاصة في عمليات احتلال مدينة حيفا حيث بلغ عدد القتلى اليهود في هذه المعركة (70 والجرحى (30) وفي معركة احتلال طبريا التي حدثت بتاريخ 1939/10/3 حيث خسر الأعداء أكثر من 70 قتيلا يهوديا"⁵² وبالتالي يظهر أن الأرقام بين اليهود هي أكثر من المصادر البريطانية أو اليهودية، حيث يعدون العمليات ضد المستعمرات اليهودية طوال عهد الثورة.

ساهمت المساعدة البريطانية في تطوير قوة اليهود العسكرية حيث قام الانتداب بدعمهم بالسلاح والتدريب وادخالهم في المؤسسات العسكرية الانتدابية والسماح لهم بتشكيل فرق خاصة مثل الهاغاناة، ليحي وابتسل من أجل الدفاع عن المستعمرات والمؤسسات اليهودية . ساعد في بلورة قوة عسكرية يهودية منظمة ومدربة ومسلحة ،كنواة لحماية المشروع الصهيوني، واشتركت بشكل فعال في مواجهة الثورة الفلسطينية مع الإنجليز من خلال الفرق الليلية، الجواله والبوليس الفلسطيني، كانت " القوة اليهودية التي كان تعدادها في الهاغاناة، 12 الف رجل عام 1937 بالاضافة الى ثلاثة آلاف من أتباع جابوتسكي

⁵²، حيث اخذت بالتطور والزيادة العددية " وفي عام 1938 جرى تعزيزها بثلاثة آلاف آخرين " ⁵² والتي شكلت نواة الجيش الاسرائيلي ودوره في الحروب اللاحقة خاصة حرب 1948 .

ولم تقتصر مكاسب الحركة الصهيونية على ذلك بل حققت مكاسب اقتصادية كبيرة تمثلت في استقلال اليشوف اليهودي اقتصادياً عن المجتمع الفلسطيني وخاصة العمل والعمال والاعتماد على العمل العبري بالإضافة الى اعتماد البريطانيين على اليهود في النشاطات الاقتصادية الخاصة بالجيش البريطاني ومنشأته طوال فترة الانتداب البريطاني فيما بعد. وبعدها وصل الإسرائيليون الى بناء مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية بشكل فاعل ومنظم داخل المجتمع الفلسطيني وبعيداً عن التأثيرات الانتدابية بل أصبحت بعض فئات المجتمع الصهيوني في حالة تحدي مع الانتداب.

وامتدت المكاسب الصهيونية في جانب الاستيطان حيث تم خلال فترة ثورة بناء 55 مستوطنة نسبة كبيرة منها لأهداف سياسية وخاصة نمط السور والبرج الذي ساد كشكل استيطاني دفاعي في فترة الثورة لفرض سياسة الأمر الواقع لخلق وقائع تجعل تنفيذ التقسيم صعباً. وكانت مستوطنة السور والبرج تقام بشكل سريع وفي يوم واحد "تقام المستوطنة في عملية شبه عسكرية يصل الأفراد في ساعات الفجر الباكر حيث يعدون من اليوم قبل مغيب الشمس ساحة تبلغ نحو 30 x 4 متر تضم متاريس وغرف للسكن وتُحاط المساحة بسور قوي من الخشب بارتفاع نحو مترين ويسمك 25 سم تقريباً يملأ داخله بالحصى ويقام وسط المساحة برج عالٍ يثبت على قمته ضوء كاشف قوي من مولد كهربائي في البرج ويشكل السور حاجزاً قوياً يعمل للدفاع عن المستوطنين ⁵². حيث نجحت هذه الطريقة في إنشاء الكثير من المستوطنات في فترة الثورة. وبهذا حققت الصهيونية مكاسب كبيرة.

في الختام، يمكن القول أن الثورة الفلسطينية الكبرى - التي دامت حوالي أربع سنوات - شكلت محورا رئيسيا في تاريخ الشعب الفلسطيني وقضيته وصراعه ضد الانتداب البريطاني، الذي ساهم بدور كبير في إنكفاء روح الثورة والتمرد عند العرب الفلسطينيين بسبب مواقفه الراضية لإعطائهم حقوقهم الشرعية في الاستقلال والتحرر، وتحيزه ودعمه للمشروع الصهيوني، بإقامة وطن قومي في فلسطين بناء على وعد بلفور وصك الإنتداب. كما اسفرت عن خسائر بشرية واقتصادية واجتماعية للعرب ومنافع لليهود من خلال بناء قاعدة اقتصادية وعسكرية لهم تجلت بصورة واضحة في حرب عام 1948 وبذلك شكلت نجاحات واخفاقات وأبرزت قوى جديدة هي الفلاحون والقرية.

الفلسطينية في تلك الفترة ساهمت هذه السياسة البريطانية. ساهمت هذه العوامل مجتمعة في حدوث ثورة 1936-1939 ضد الانتداب والصهيونية.

أ- التركيبة السكانية في فترة الانتداب البريطاني.

كانت فلسطين متشابهة من الناحية الاجتماعية مع باقي مناطق الإمبراطورية العثمانية، من حيث التركيبة السكانية، الاجتماعية والنظام الاقتصادي السائد، وساد فيها نظام شبه إقطاعي، قام على أساس الالتزام بجمع الضرائب، كانت أمور جباية الأموال الأميرية تفوض إلى أشخاص عن طريق المزايدة مع إطلاق يدهم في التحصيل من السكان. مما يسمح لهم بعمل ثروة كبيرة. ساعدتهم في الحصول على مساحات واسعة من الأراضي وتشكيل فئة اجتماعية واقتصادية مهيمنة في المجتمع في تلك الفترة، مع اختلاف بخصوص النظام الإقطاعي الشرقي عن النظام الإقطاعي الذي ساد في أوروبا حيث أن المالك الكبير في فلسطين لم يكن يملك الأرض بمن عليها، وان الفلاح الفلسطيني كان قادرا على الانتقال من ناحية إلى أخرى، كما كان باستطاعته أن يبيع قوة عمله لمن يشاء."

يمكن تقسيم المجتمع الفلسطيني مع نهاية الفترة العثمانية وبداية الانتداب البريطاني إلى الطبقات التالية :
أولاً: طبقة كبار الملاك وأعيان المدن والمشايخ في القرى والبادية: ساهم النظام شبه الإقطاعي، نظام الالتزام الضريبي. وقيام بعض الفلاحين بتسجيل أملاكهم بأسماء أفراد هذه الأسر الكبيرة، خوفاً من دفع الضرائب أو تهرباً من الخدمة العسكرية، في توسع أملاك هذه الطبقة وسيطرتهم على مساحات كبيرة من الأراضي. وفي بلورة وجاهة وموقع اجتماعي واقتصادي. واستطاعت أن تملك مساحات تجاوزت عدة قرى. ويظهر في حجم الملكية والحياسة لبعض الأسر " فأسرة عبد الهادي كانت تملك 17 قرية وأسرة الجيوسي 24 قرية، وأسرة البرغوثي 39 قرية. وقدرت أملاك عائلة عبد الهادي بنحو 60 ألف دونم وعائلة الحسيني 50 ألف دونم وعائلة الفاروقي (في الرملة) بنحو 50 ألف دونم ... وعائلة الشوا (في غزة) بنحو 100 ألف دونم⁵³. كما كان هناك ملكيات من خارج فلسطين مثل آل سرسق، التيان، والتويني وغيرهم. كما دعمت هذه العائلات موقعها الاقتصادي بوضع اجتماعي وسياسي في مؤسسات الدولة والمجتمع من

خلال التعليم واستلام الوظائف الإدارية والمهمة والتنافس في الحصول عليها طوال فترة الانتداب، مثل الحسيني، النشاشيبي والخالدي في القدس، آل طوقان وآل عبد الهادي في نابلس، بل أصبح هذا الصراع مظهر لكل مدينة فلسطينية طوال فترة الانتداب⁵⁴. وتضم هذه الطبقة بالإضافة إلى كبار الملاك طبقة "الأشراف، ينتسبون إلى آل البيت والصحابة والتابعة وقادة الفتح الإسلامي، وقد احتفظوا بمزايا اجتماعية واقتصادية نتيجة هذا النسب. واستطاعوا الحصول على ملكيات واسعة من خلال الإشراف على الأوقاف. كان كبار الملاك يهبون العقارات الكبيرة إلى المؤسسات الإسلامية أي المساجد والمدارس الملحقة بالمساجد والتكايا والزوايا. وبذلك توارث الأشراف المناصب الدينية والوظائف الحكومية الخاصة بالشؤون الدينية. كما تركزوا في المدن وقد كانت لهم امتيازات كثيرة ومن أسرهم في فلسطين الخالدي والحسيني⁵⁵.

ثانياً: الطبقة المتوسطة (التجار وأصحاب المهن والموظفون) : ساهمت القوانين والأنظمة، الإصلاحات الإدارية الاقتصادية، سياسة الامتيازات وحماية الاقليات في زيادة حركة الاتصال مع أوروبا، التبادل الثقافي والتجاري، حركة السكان والتطور الاقتصادي في الدولة العثمانية، وبداية تشكل طبقة التجار والصناعيين وزيادة ثرائهم وتأثيرهم الاقتصادي، الاجتماعي ومنافسة طبقة كبار الملاك والأعيان في المجتمع الفلسطيني، تبلورت بشكل واضح في بداية القرن العشرين ومع بداية الاحتلال البريطاني، الذي ساهم ودعم حركة التجارة خدمة لمصالحهم في المنطقة. "وتشكلت هذه الطبقة من مسلمين ومسيحيين بشكل أكبر بسبب الترابط الثقافي والتعليمي للمسيحيين مع الغرب على أساس العلاقة التعليمية في المدارس الأجنبية التي تشكلت في البلاد⁵⁶، وشرائح عليا تتمثل في تجار، ملاكي أراضي وعائلات تحتل مناصب رسمية ومهنية وشريحتها الدنيا من البرجوازية الصغيرة من أصحاب الوظائف الحكومية من العائلات داخل المدينة الفلسطينية⁵⁷. جاء ثراء هذه الطبقة المالي نتيجة تنامي أهمية المدن والارتفاع في أسعار الأراضي والزيادة في فرص العمل وتنوعها. شكلت الطبقة الوسطى بشرائحها البرجوازية المختلفة قسماً مهماً من حياة المدينة الفلسطينية. انقسمت هذه الطبقة من حيث الاتجاهات الفكرية والسياسية إلى اتجاهين متناقضين " اتجاه ربط مصيرهم بمصير الاستعمار ومؤسساته، واتجاه ثوري ناقد، تمثل في التجار الوطنيين المناوئين لسيطرة الاستعمار والرأسمال الأجنبي ومؤسساته " ⁵⁸. وبرز ذلك بوضوح في فترة الانتداب البريطاني وخاصة ثورة 1936.

54 - الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين ج1 قسم 1، ص 151-157.

55 - خلة، د. محمود كامل، المصدر السابق، ص 29.

56 صيقل، د. مي إبراهيم، حيفا العربية 1918-1939: التطور الاقتصادي الاجتماعي، ص 52.

57 صيقل، مرجع سابق، حيث تم أخذ مدينة حيفا كنموذج لتناول التركيبة السكانية والتغيرات الحاصلة عليها.

58 خلة، د. محمود كامل- نفس المصدر السابق، ص 31.

ثالثاً: طبقة العمال في الزراعة والصناعة والخدمات: وتشكل من سكان القرى والعمالين في الأرض، والصناعة والخدمات ، وهي تشكل أكبر نسبة سكانية من حيث العدد والتواجد في المجتمع الفلسطيني وخاصة في الريف. بلغ عدد القاطنين في الريف الفلسطيني سنة 1922 نحو 477,693 نسمة وكانوا يشكلون 70% من مجموع السكان⁵⁹، بينما كانت هذه أعلى في الفترة العثمانية. وكان يشكل الريف والعمل في الزراعة وتوابعه نسبة كبيرة من السكان، وهذا التراجع بسبب تطور الحضارة والمدينة الفلسطينية بفعل العلاقة والارتباط مع الدول الأوروبية. مما ساهم في بروز دور أكبر للمدينة وتحولها إلى مركز النشاط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والذي اشتد بحدّة أكثر مع سياسة الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية. من جهة ثانية، كان المجتمع الفلسطيني، حتى بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1918، يتشكل من حيث التركيبة الجغرافية ومكان السكن من ثلاثة شرائح اجتماعية هي

3- البدو

2-المدنيون

1-الفلاحون

1- الفلاحون: شكل الفلاحون غالبية السكان، حيث كانوا " يشكلون في بداية الاحتلال البريطاني سنة 1918 ما لا يقل عن 80 بالمائة من السكان الأصليين"⁶⁰ ، إلا أن هذه النسبة، أخذت بالتراجع بسبب السياسة البريطانية، فقد بلغ عدد القاطنين في الريف الفلسطيني، "سنة 1922 نحو 477,693 نسمة، كانوا يشكلون 70% من مجموع السكان"⁶¹ واستمرت هذه النسبة في الانخفاض، "كان هناك 59 بالمائة من العرب يمارسون هذا العمل"⁶² أي الزراعة.

ساهمت التوجهات البريطانية، وإدخال أساليب الزراعة الحديثة إلى تطور أساليب الإنتاج وزيادتها، وزراعة المحاصيل الصناعية وغيرها. مما أدى إلى تحقيق نوع من الريح السريع. و بداية بروز الفرز الاجتماعي والاقتصادي في القرية وخاصة من طرف الملاك والمهنيين. مما جعلهم " أكثر ثراء، وباستخدام العمال المزارعين. ظهرت شريحة الفلاحين الأجراء⁶³ ، وبذلك أخذت عملية الفرز والتجاذب الاجتماعي تأخذ أبعادها في الريف الفلسطيني فتعزز دور الوجهاء والمشايخ والملاك مقابل اتساع دائرة الفلاحين الأجراء المعدمين. وزاد من حدة ذلك، سياسة شراء الأراضي من طرف اليهود والصهاينة واقتلاعهم من أرضهم وتحويلهم إلى عمال أو عاطلين عن العمل ، مما زاد حدة المشاكل الاجتماعية

⁵⁹ شبيب، د. سميح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948، ص 31.

⁶⁰ الصايغ، روز ماري، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة، ص 49.

⁶¹ شبيب، د. سميح، نفس المصدر السابق، ص 31.

⁶² كنفاني، غسان، نفس المصدر السابق، ص 26.

⁶³ شبيب، د. سميح، نفس المصدر السابق، ص 31.

داخل المجتمع الريفي. وبروز ظواهر اجتماعية خاصة العمل في المستوطنات والهجرة إلى المدينة." وقد رجون هوب سمبسون في تقريره 1930 هذه الفئة من الفلاحين التي لا تحصل على الحد الأدنى اللازم للمعيشة بـ 35,000 عائلة ريفية أي 29,4% جميعهم⁶⁴ من السكان العرب الريفيين. ساهمت هذه الاعمال في انخفاض نسبة الفلاحين الملاكين للأرض وتحولهم إلى أجراء، حيث أدت هذه السياسة، سواء الهجرة اليهودية وبيع الأراضي، السياسة البريطانية في مجال الضرائب في التأثير بشكل كبير على المجتمع الريفي، والتأثير على تركيبته الاجتماعية والاقتصادية. وأدى إلى الهجرة نحو المدن الفلسطينية أو الخارج، من أجل البحث عن لقمة العيش. إلا أن ذلك لم يعن خروج فلسطين من دائرة المجتمع الزراعي الفلاحي. فقد بقي المجتمع طوال عهد الانتداب مجتمعاً ريفياً في الأساس، وبقيت القرية تستند على العائلة كأساس اجتماعي اقتصادي والمساهمة بدور كبير في الحياة السياسية الفلسطينية.

2-المدنيون:

يلاحظ أن تطور المدينة، كان بشكل كبير في القرن التاسع عشر مع زيادة العلاقة الاقتصادية بالدول الأوروبية والتحويلات في الحياة الاقتصادية إلى التجارة وتراكم الرأسمال، نتيجة التجارة الداخلية والخارجية، زيادة حركة الصناعة والزراعة والتصدير، والمواد الخام للأسواق الأوروبية. وحظيت المدن الساحلية بدور كبير في هذا النشاط مع تطور مدن الداخل، التي لها علاقة بالسياحة الدينية مثل القدس، بيت لحم، الخليل، صفد، طبريا. وزادت حركة المدينة والاستقرار المدني بشكل واضح في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. كان هذا الاستقرار سابقاً للانتداب البريطاني رغم انحصاره في بعض العائلات والوجهات⁶⁵. ويسجل للانتداب تسريعه في عملية نمو المدينة الفلسطينية. أخذت المدينة تفقد التضامن الجماعي القديم الذي كان يطبعها في الفترة العثمانية. وتظهر الإحصاءات الرسمية في فترة الانتداب الزيادة السكانية في المدن، حيث " أن سكان البلديات الاثنتين والعشرين ومدينة تل أبيب بلغ 264,000 ألف نسمة أي ما يوازي 34,9% من مجموع السكان، وذلك في الإحصاء الذي تم في عام 1922 . بينما بلغ في العام 1930 عدد سكان المدن ذاتها 387,000 ألف نسمة أي ما يوازي 37,4% من مجموع السكان. وقد استمرت الزيادة في عدد سكان المدن حيث تبين من تقدير 1935 أن عدد سكان المدن بلغ 539,000 ألف نسمة أي ما يوازي 42,7% من مجموع سكان فلسطين"⁶⁶. هذه الزيادة تعود إلى عدة عوامل أهمها الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالإضافة إلى حركة الهجرة الداخلية من الريف الفلسطيني إلى المدن. وذلك بسبب تحول الكثير من المزارعين وأصحاب الأرض إلى أجراء، بفعل

⁶⁴ السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص 158.

⁶⁵ شبيب، د. سميح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948، ص 33.

⁶⁶ شبيب، د. سميح، المصدر السابق، ص 33.

عمليات بيع الأراضي إلى اليهود. مما يعني اقتلاع أصحاب هذه القرى من أراضيهم وتحويلهم إلى طبقة عاملة غير مهنية في المدن.

ساهمت هذه الحركة السكانية في تحولات اقتصادية واجتماعية في بنية المجتمع العربي الفلسطيني وخاصة سكان المدن، حيث ظهرت طبقات وفئات جديدة إلى جانب سكان المدن التقليديين من الأشراف والتجار والحرفيين. وهذه التحولات حصلت بفعل عملية التحديث والتطور الرأسمالي للسياسة البريطانية والصهيونية نحو الأرض والإنسان الفلسطيني. مما أدى إلى بروز فئتين جديدتين في المدينة الفلسطينية هما " الطبقة العاملة المدنية التي تشكلت في الأساس من بين صفوف الفلاحين المعدمين الوافدين من الريف وفئة الانتلجنسيا من المثقفين التقليديين من أبناء العائلات"⁶⁷.

كما ظهرت شرائح الطبقة الوسطى المتشكلة من أصحاب الحرف، صغار موظفي الحكومة والمعلمين، تجار الجملة، المحاسبين والمترجمين، حيث كان للاقلية المسيحية والمدارس التبشيرية دور كبير في بلورة هذه الطبقة في مجتمع المدينة الفلسطينية. يتضح ان تشكيله المدينة الفلسطينية من الناحية الطباقية أخذت بالاستقرار والتوسع وزيادة التمايز الاجتماعي والفروقات الطباقية، حيث ازدادت الطبقات العليا قوة وسيطرة اقتصادية وسياسة واجتماعية. وزادت الضغوط الاقتصادية والاجتماعية على شرائح الطبقة الوسطى والطبقة العاملة المتشكلة في المدينة، والتي عاشت ظروفًا اقتصادية واجتماعية صعبة، فمن حيث الأجور كانت متدنية وقليلة والسكن في بيوت من صفيح وأكواخ، حيث تشكلت مدن الصفيح حول أطراف المدينة العربية " ⁶⁸. وبهذا تبلور طابع المدينة العربية والمجتمع الحضري في فلسطين بشكل واضح في بداية العشرينات، والذي أخذ بالتجزر في فترة الانتداب البريطاني بشكل أكبر في الثلاثينات والأربعينات، وأصبحت المدينة هي المركز وأصبح هناك مدن قطبية، بمعنى وجود مجموعة كبيرة من القرى تعتمد على المدينة مثل نابلس، القدس، حيفا، يافا.

3- البدو:

إن مجتمع فلسطين بسماته البارزة هو مجتمع استقرار يتمثل في السكن في القرى والمدن، حيث تشكل الحياة المستقرة نسبة عالية، إلا أنه تواجد به مجتمع بدوي وذلك لطبيعة تواجد صحراء النقب في جنوبه وإلى حركة الهجرة السكانية من المناطق المجاورة منذ العصور القديمة. مما أدى إلى تواجد هذه الشريحة في المجتمع الفلسطيني ويتواجد على أرض فلسطين نوعان من البداوة.

⁶⁷ شبيب، د. سميح، المصدر السابق، ص 34.

⁶⁸ للمزيد من المعلومات حول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لهذه الفئة يمكن الرجوع إلى الكتب التالية:

أ- أبو ارميلة، هشام، مجموعة شهادات عرب فلسطين أمام اللجنة الملكية البريطانية، شهادة جورج منصور سكرتير جمعية العمال العرب ص 97-113.

ب- كنفاني، غسان، نفس المصدر السابق، ص 10-20.

الأول: البداوة غير المستقرة، التي تتحرك خلف العشب والماء، والمعتمدة على تربية الماشية في معيشتها ، وتواجدت في صحراء النقب في الجنوب، واشهر هذه القبائل عرب الترابين، العزازمه.

الثاني: القبائل المستقرة، سكنت في مناطق الغور الفلسطيني وسهول الشمال. واعتمدت على الفلاحة في معيشتها مع محافظتها على طابعها البدوي في الجوانب الاجتماعية ومنهم الهيب والوهيب في الشمال والتلاوية والزنغرية والصبيح في غور فلسطين.

ويلاحظ انخفاض أعداد البدو في الفترة الانتدابية " وقد انخفض عدد البدو إلى 67,000 في العام 1936 بعد أن كان عددهم 103,000 نسمة وفقا لإحصاء 1922 " ⁶⁹، ويعود هذا الانخفاض إلى السياسة البريطانية وخاصة إخراجهم لعرب الحوارث في الشمال من الأرض، التي باعها آل سرسق وغيرهم من الملاكين. وتحول هؤلاء البدو إلى عمال في المدن الفلسطينية. أصبحت هذه الفئة الاجتماعية مهمشة وغير فعالة في الحياة السياسية والنضالية الفلسطينية في فترة الانتداب، لم يكن لهم دور مميز خارج إطار مشكلة انتزاع ملكية أراضيهم في وادي الحوارث وعرب أبو كشك. لم يكن لهم في منطقة النقب إلا بمساعدة من عرب الخليل أثناء الثورة حيث كانت فئة مهادنة للسلطة.

ب- العلاقة الاقتصادية.

لم يختلف الوضع الاقتصادي في نهاية العهد العثماني في فلسطين، من حيث التطور الاقتصادي والبنية الاقتصادية عن باقي أجزاء الإمبراطورية العثمانية، سادت في هذه المرحلة العلاقات الإقطاعية، من خلال سيادة أسياد الأرض الكبار، والذين يسيطرون على وسيلة الإنتاج الرئيسية وهي الأرض، وكانت غالبية الشعب خاضعة طبقيًا لتحكم المالكين الكبار. وكان يعتمد السكان بالأساس على الزراعة كمصدر اقتصادي رئيسي. والأرض هي المفتاح الرئيسي في تحديد الموقع الطبقي والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني. والملكية على الأرض هي جوهر العلاقات الاقتصادية في مجتمع يعتمد في معيسته على الزراعة، حيث ترك تأثيره على مضمون نظام الملكية، والذي حدثت عليه تغيرات في هذه الفترة، كانت معظم الأراضي ملكا للدولة تقوم بتأجيرها للفلاحين. وفي العامين 1856 و 1858 أصدرت السلطة العثمانية مراسيم (قوانين) الإصلاح الزراعي العثمانية. وحددت بموجبه نظام التزام الضرائب وتسجيل الأراضي باسم الأفراد "الطابو" قانون الأراضي الميرية، تركت هذه القوانين أثرا سيئا على الساحة الفلسطينية "فقد أدت إلى نهب أراضي الفلاحين الفلسطينيين وإلى زيادة حدة التقاطب الاجتماعي في صالح زيادة ملكية أصحاب الأرض الكبار للأرض وتركيزها مقابل ازدياد فقر وبؤس الفلاحين العرب"، قام الكثير من الفلاحين بتسجيل أراضيهم باسم كبار الملاك خوفا من دفع الضرائب أو الجندية بالإضافة إلى رسوم التسجيل الباهظة. مما أدى في النهاية إلى سيطرة هؤلاء الملاك على الأرض والتصرف بها.

⁶⁹ شبيب، د. سميح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1984، ص 35.

أصبحت علاقة الفلاحين بالأرض علاقة مستأجرين يمكن إخلاؤهم في أي وقت، وزادت حدة السيطرة على الأرض من قبل الملاك الكبار وتحول الفلاحين إلى مستأجرين للأرض بالمحاصصه والعمل. كان معظم ملاك الأرض الكبار من المدن سواء في فلسطين وخارجها مع بعض الأفراد من القرى. و كانت العلاقة الاقتصادية بين القرية والمدينة في هذه المرحلة هي علاقة سيادة وسيطرة من سكان المدن واستغلال لسكان القرى والفلاحين فيها بشكل كبير. واستنزاف طاقاتهم وخيراتهم من خلال نظام المحاصصة أو العمل بالأجرة في المزارع. مما أدى إلى فقر الفلاحين "من كميات القمح والشعير التي كانت تبقى بعد الدرس، كانوا أولاً، يدفعون الضرائب إلى الحكومة والوقف وجزء من الناتج الذي كان قد رهن عادة مسبقاً لأحد تجار المدن يذهب إلى هذا التاجر سداداً للأموال التي اقترضها منه. وإذا كان الفلاح قد شغل عاملاً مأجوراً، أي حرثاً، فإن الحرث يأخذ أيضاً نصيبه من البيدر ومن ثم شيخ القرية الذي كان يعمل حلاقاً ويأخذ أجره... وكان نصيب العديد من الفلاحين... أن لا يبقى لهم سوى الحد الأدنى الذي يتطلبه إطعام عائلاتهم وحيواناتهم حتى الموسم اللاحق".

هذه العلاقة بين القرية والمدينة في الفترة العثمانية، امتدت في فترة الاحتلال البريطاني وبشكل أشد مع بداية التطور الاقتصادي من خلال دخول الرأسمالية التجارية والزراعية، وبناء المؤسسات الاقتصادية الرأسمالية في مجال الزراعة والصناعة وخاصة في ظل الاستيطان الصهيوني وشراء الأراضي من طرف المؤسسات اليهودية. مما كان له أثراً كبيراً في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الفلسطيني. وأدت إلى تغيرات كبيرة وسلبية على الاقتصاد والمجتمع. وساهمت في تحولات جذرية وخاصة من خلال شراء الأراضي وتشريد الفلاحين العاملين فيها. وتحويلهم من فلاحين إلى أجراء في المشاريع الزراعية أو الهجرة إلى المدن للعمل في مهن وحرف جديدة.

اعتمد الاقتصاد الفلسطيني في مرحلة "الاحتلال البريطاني" على الزراعة بشكل رئيسي مع ارتباط مختلف الفروع الاقتصادية به. كما أنه كان اقتصاداً استهلاكياً بمعنى أن الإنتاج الأساسي كان يعد للاستهلاك المحلي مع استثناءات قليلة كقطاع الحمضيات المعدة للتصدير، لكن السياسة البريطانية كانت تقوم على توجيه الاقتصاد الفلسطيني لمنتوج واحد وهو زراعة الحمضيات، حيث "شجع الحكم البريطاني تحويل فلسطين إلى بلد زراعي وحيد المنتج وذلك بتشجيع البستنة والبيارات، فازدادت المساحة المزروعة بالحمضيات من 30 ألف دونم عام 1922 إلى 300 ألف دونم عام 1939⁷⁰، أي عشرة أضعاف خلال 15 سنة فقط وكانت هي المستورد الرئيسي للبرتقال، وذلك لخدمة الاقتصاد الاستعماري وتوجيهاته السياسية والاقتصادية بالتساوق مع الاستيطان الصهيوني ومشاريعه.

⁷⁰ غوجانسكي، تمار، ترجمة حنا إبراهيم، تطور الرأسمالية في فلسطين، ص 95.

وأوين، روجر، التطور الاقتصادي لفلسطين عهد الانتداب 1918-1948، ص 35.

ساهم ذلك في الانتقال إلى الاقتصاد الزراعي التجاري، حيث ظهرت المزارع الرأسمالية الكبيرة وبمساحات تصل آلاف الدونمات وتشتمل على مختلف النشاطات والمنتجات الزراعية والحيوانية والنباتية. "وأصبحت تتواجد المزرعة المتكاملة من حيث التنوع الإنتاجي الزراعي والحيواني..... إن ظهور المزارع الرأسمالية يصعب طابعا اجتماعيا: ذلك أن المنتجين (الفلاحين) الذين عملوا في السابق في مزارعهم الصغيرة المجزأة يتحولون إلى عمال أجيرين في اقتصاد زراعي، تجاري قائم على التخصص وعلى تكنولوجيا عصرية، يصبح قسم من المنتجين الصغار في الزراعة زائداً أي لا يعود ممكناً استيعابه في المزارع الرأسمالية. والمزارعون الفائضون يصبحون احتياطي البروليتارية المدينة في الصناعة والبناء والخدمات"⁷¹. تركت تأثيراً كبيراً على التركيبة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني. ويلاحظ ذلك من خلال اشتداد الهجرة إلى المدن وخاصة الساحلية مثل يافا وحيفا، حيث يتوفر مجال العمل سواء في الصناعة أو الميناء " في ثلاثينات القرن العشرين كانت يافا وحيفا أهم مدينتين ساحليتين في البلاد، كانت المدينتان ممثلتين للوجه الجديد للمجتمع العربي الفلسطيني وهما لم تكونا ثانويتين للقدس إلا في مجال السياسة والدين. سكن المدينتين 10% من السكان العرب وجمعت سكان المدينة المسلمين والمسيحيين، التجار والمصرفيين والقرويين المهاجرين والعمال والأجيرين وسكان أحياء الفقر وأصحاب المزارع والبيارات الكبيرة"⁷²، وبالتالي أصبحت المدينة الفلسطينية في هذه الفترة ذات تركيبة سكانية جديدة مع الهجرة إليها من المناطق الريفية وبشكل كبير بسبب شراء الأراضي من طرف اليهود. وبهذا دخلت العلاقات الاقتصادية بين القرية والمدينة مرحلة جديدة مع زيادة الاعتماد على المدينة كمصدر اقتصادي. كانت المدينة وأسواقها ملتقى للفلاحين، الذين كانوا يشاركون في احتفالاتها ونشاطاتها المختلفة. ولا يقل عن ذلك أهمية، أن المزارعين الذين كانوا يملكون فائضاً في الإنتاج، كانوا يتاجرون فيها بمحاصيلهم ومواشيهم مقابل الرز، السكر، البضائع المصنعة، الصابون والملابس، وغيرها من المنتجات التي يحتاجها المجتمع الريفي. وبهذا كانت العلاقات الاقتصادية متطورة ومتكاملة مع مجتمع المدينة لتوفير حاجيات الطرفين"⁷³.

واشتدت في عهد الانتداب تبعية الفلاح الصغير للتاجر، الذي كان يمنح الفلاح اعتمادات لشراء البذور والسماد والأدوات، فيضطر لأن يبيعه منتوجاته بأسعار بخسة يقررها التاجر نفسه، إلا أنه مع تسرب الرأسمالية إلى القرية تألفت شركات تجار عملت على تسويق المنتوجات الزراعية على نطاق

⁷¹ غوجانسكي، تمار، ترجمة حنا إبراهيم، نفس المصدر السابق، ص 147.

⁷² كمرلنغ، ياروخ ويوثيل مغدال، الفلسطينيون صيرورة شعب، ص 68.

⁷³ للمزيد عن علاقة التبادل الاقتصادي بين القرية والمدينة يمكن الرجوع إلى الكتب التالية:

أ- منير، اسبير، اللد في عهدي الانتداب والاحتلال، ص 21.

ب- الدجاني، أحمد زكي، مدينتنا يافا وثورة 1936، ص 61.

ج- دروزة، محمد عزت، مذكرات دروزة، المجلد الثاني، ص 50.

واسع. وكانت الشركات التجارية التي أقامها التجار وملاكوا الأراضي تجبي من الفلاح 10% من السعر كرسوم وساطة. وأقامت في الواقع احتكاراً لمختلف فروع الزراعة. واستغل التجار الكبار الفلاحين ليس فقط بواسطة جباية رسوم وساطة، بل عن طريق الإقراض بفائدة عالية لدفع الضرائب ورسوم الإيجار أيضاً. وطريق فرض أسعار عالية للبذور والأسمدة وأسعار بخسة للمنتجات الزراعية. وبذلك أسهم التجار في خراب الفلاحين المستقلين والمزارعين. "كما ساهمت المصارف في ذلك مع طلب ضمانات كرهن للأرض وتوقيع كفلاء مالكي الأرض. مما يعطي فرصة للفلاحين الأغنياء في الحصول على القروض أكثر من الفلاحين المتوسطين والصغار" ⁷⁴. وساهم في زيادة إفقار الفلاح الفلسطيني واضطراره إلى بيع أرضه والهجرة أو العمل كأجير في مزارع الأغنياء، أدت هذه الممارسات إلى زيادة حدة الفرز الاجتماعي بشكل كبير داخل القرية الفلسطينية، وانتقت سياسة التجار وملاك الأراضي مع الانتداب والصهيونية في إفقار وتهجير الفلاح الفلسطيني.

بالإجمال يمكن القول، أن العلاقات الاقتصادية بين القرية والمدينة في فترة الانتداب البريطاني تميزت بأوضاع وظروف جديدة، زادت من حدة التقاطب الاقتصادي والاجتماعي والتحول إلى مجتمع رأسمالي والخروج من الاقتصاد الاستهلاكي والاكتفاء الذاتي إلى اقتصاد زراعي صناعي، تجاري وحدة الانتقال من القرية إلى المدينة بفعل السياسة المتبعة نحو الأراضي وشرائها وحرمان الفلاح من مورد رزقه. وتحويله إلى عامل وأجير في الأرض أو المؤسسات الاقتصادية في المدينة. وجعله على هامش المجتمع المدني بعد أن كان في موقع مهم في مجتمع القرية، الذي كان يعيش فيه باستقرار واطمئنان. وأصبح في المدينة حالة اضطراب وفوضى وعدم أمن واستقرار بالانتقال من مشغل إلى آخر " كل هذه عمقت الإحساس بكون المدينة أرضية متحركة لا أمن فيها" ⁷⁵، وجعلت المهاجرين يعيشون في حالة اضطراب نفسي واقتصادي صعب. ساهم في بلورة مفاهيم وطروحات رافضة للواقع الجديد والاستعداد للثورة عليه. وهذا ما حصل بشكل كبير في هبات 1933 وثورة الشيخ عز الدين القسام، حيث أن معظم العناصر المشاركة كانت من أبناء الريف المهاجرين من أرضهم والفاقدين لمورد اقتصادي جيد في المدينة" ⁷⁶، وتجسدت بشكل أكبر في ثورة عام 1936-1939، حيث كان الفلاحون هم الوقود الأساسي للثورة كونهم الطرف الأكثر تضرراً من الوضع الاقتصادي، سواء من طرف الانتداب وإجراءاته التعسفية ضد الفلاح خاصة في مجال الضرائب، وتسهيل مصادرة وشراء الأراضي من طرف اليهود والمؤسسات الصهيونية،

⁷⁴ غوجانسكي، تمار، ترجمة حنا إبراهيم، نفس المصدر السابق، ص 186.

⁷⁵ كمرلنغ، ياروخ، ويوثيل مغدال، نفس المصدر السابق، ص 142.

⁷⁶ حمودة، سميح، الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1882-1935، ص 52-54.

وإقامة المستوطنات على أراضيهم وسياسة العمل العبري بالإضافة إلى ممارسات الملاكين والأغنياء الفلسطينيين⁷⁷.

وبرزت حدة العلاقات الاقتصادية في ثورة 1936-1939 من خلال مجموعة من الحقائق والأحداث التي حدثت في فترة الثورة، ففي فترة الإضراب الذي استمر حوالي ستة شهور تميز بنوع من التكافل الاجتماعي بين الفلسطينيين من داخل كل تجمع سكاني بين القرى والمدن، حيث دعت القيادة العربية إلى رفض الضرائب وشجعت اللجان القومية على إقامة صناديق للإضراب وخاصة لتعويض عمال النقل والموانئ عن مدخولاتهم التي فقدوها. "ودفع التجار الرسوم المفروضة عليهم. كما تبرع مزارعو الحمضيات بتخصيص نسبة واحد بالمائة من مدخولاتهم وتبرعت نساء غنيات بقسم من مصاغهن، والعائلات الفقيرة قامت بدفع مسكوكة من قرش واحد. كما شارك مستخدموا الحكومة في الثورة من خلال التبرع بعشر رواتبهم لصالح الإضراب"⁷⁸. كما كان معظم الدعم الاقتصادي والتمويل للثوار في الجبال على حساب القرى، حيث تشكلت لجان خاصة في كل قرية من أجل توفير المواد الغذائية للثوار في الجبال. كما ساهم سكان المدن من خلال التبرع بالأموال لصالح الثورة رغم بعض عمليات الإجحاف من طرف قادة الثورة في المبالغ المطلوبة من طرف سكان المدن أو قيام بعض العناصر الشاذة بالحصول على مبالغ غير قانونية.

من جهة ثانية، استجابت "الهيئة العربية العليا" لنداء ملوك العرب لوقف الإضراب العام لتوفر بذلك لإعطائهم إمكانية إرسال محاصيلهم من الحمضيات للأسواق الأوروبية والفلاحين فرصة حصد غلالهم⁷⁹. وكان للعلاقات الاقتصادية دور كبير في دعم الثورة والإضراب في البداية. كما أنه كان لها دور في إيقاف الإضراب والثورة فيما بعد من منطلق المصالح الاقتصادية لأطرافها وخاصة البرجوازية وكبار الملاك، حيث كانت الثورة بمجملها ليست في صالحهم بل أجبروا على السير بها بعكس الفلاحين الذين كانت مصلحتهم في الثورة.

وبرزت حدة العلاقة الاقتصادية وهذه المرة لصالح القرية والفلاحين وخاصة في المرحلة التي سيطر فيها الثوار في الجبال على زمام الأمور وبرزت التوجهات الاقتصادية من خلال البيان الذي أصدرته قيادة الثورة بالطلب من دائني المدن والمرابيين بعدم تحصيل الديون وتأجيل سدادها من الفلاحين والتحذير بمعاقبة كل دائن يقوم بزيارة القرى من أجل المطالبة بالدين⁸⁰، كما قامت قيادة الثورة بخطوة في المدن

⁷⁷ يمكن الرجوع إلى تقرير هوب سمبسون لعام 1930، وتقرير اللجنة الملكية، بيل 1937، كيبها، مصطفى داود، ثورة 1936 الكبرى دوافعها وانعكاساتها، ص 26.

⁷⁸ كمرلنغ، باروخ، ويونيل مغدال، نفس المصدر السابق، ص 151.

⁷⁹ نفس المصدر السابق، ص 154.

⁸⁰ الكيالي، د. عبد الوهاب، نفس المصدر السابق، ص 293.

من خلال عدم دفع أجرة المنازل لأصحابها وذلك شعوراً من سكان المدن والقرى بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي كانت سائدة في فترة الثورة، وتخفيفاً من معاناة السكان بسبب الإجراءات البريطانية في الجوانب الاقتصادية ضد القرى والمدن بفرض الغرامات الباهظة على السكان، وهدم المنازل وتخريب المحاصيل والمنتجات ومنع التصدير واستيراد مواد موجودة في الأسواق لضرب القطاع الاقتصادي الفلسطيني في تلك الفترة⁸¹. يبين هذا الاستعراض السريع للعلاقات الاقتصادية واتجاهاتها وطبيعتها في فلسطين في فترة البحث مدى التحولات الحاصلة على التركيبة الاقتصادية، والقطاعات الاقتصادية التي أخذت بالازدهار والقطاعات التي تراجعت. تغيرت طبيعة السيطرة بشكل وبآخر، حيث كانت المدينة السائدة والسيطرة ولصالحها مجمل العلاقة الاقتصادية إلا أنه في الثورة مع سيطرة الثوار على الريف والمدن، وأصبحت القيادة للثورة من العناصر الريفية، أخذت بوضع قوانين وأنظمة لصالح الطبقات الفقيرة والكادحة وأصبحت الطبقة الأرستقراطية الغنية في وضع متراجع انعكس في هجرتهم إلى الخارج وتحول قسم كبير من سكان المدن إلى العيش في الريف الجبال " وشهدت أوساط الشباب ... عودة إلى القرى ... حيث أن مركز الأحداث كان قد انتقل بوضوح إلى المناطق القروية في البلاد"⁸².

ج- التفاعل السياسي والإداري:

تميزت الحياة السياسية في فلسطين خلال فترة السيطرة العثمانية والبريطانية بسيطرة كبار الملاك والأعيان والأشراف ورجال المدن بشكل عام على الحياة السياسية، من خلال توليهم المناصب السياسية العليا على المستوى الإقليمي والمحلي. استمر الوضع في الفترة البريطانية من خلال تشكيل اللجنة التنفيذية العربية، والتي كانت من العائلات وكبار الملاك مثل موسى كاظم الحسيني، الحج أمين الحسيني، راغب النشاشيبي، عوني عبد الهادي وغيرهم. كما أن أعضاء المؤتمرات كانت من نفس التركيبة وحتى القيادات النسائية تتكون من نساء هذه القيادات. وبالتالي لم يكن هناك تواجد نهائي لسكان الريف داخل القيادة السياسية الفلسطينية " كانت القوة السياسية تتركز بصورة رئيسية في رأس الهرم الاجتماعي - الاقتصادي المكون من مجموعات صغيرة من رؤساء العائلات القديمة ذات النفوذ وأعضاء من الأرستقراطية المالكة للأراضي وأغنياء التجار وبعض ذوي المهن الحرة"⁸³.

هذا الوضع انسحب على القيادة السياسية في بداية الثورة الكبرى 36-39، حيث تشكلت الهيئة العربية العليا من نفس الفئات الاجتماعية المذكورة وخاصة قيادات الأحزاب السياسية التي تشكلت في بداية الثلاثينات وكانت على أساس عائلي عشائري وليس على أساس عقائدي. وطبيعة الأحداث فرضت عليهم التجمع في إطار الهيئة العربية العليا بفعل الضغط الشعبي الذي قاده مجموعة من الشبان أصحاب

⁸¹ خلة، د. كامل محمود، نفس المصدر السابق، ص 596-608.

⁸² كمرلنغ، باروخ، ويوثيل مغدال، نفس المصدر السابق، ص 153.

⁸³ الصايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 59.

الميل الوطنية والقومية من أنصار حزب الاستقلال مثل أكرم زعيتر، واصف كمال، ممدوح السخن، أحمد الشكعة⁸⁴. وشكلت نواة قيادة سياسية جديدة من عناصر مثقفة ومتعلمة من الطبقة الوسطى والبرجوازية. شكلت حالة من التحدي للقيادة التقليدية، التي وجدت نفسها إما التجمع في إطار سياسي جديد واستلام زمام الأمور أو التلاشي عن الساحة السياسية ولذلك قامت بجمع النقائص الحسيني والنشاشيبي وغيرهم في تحالف أطلق عليه "الهيئة العربية العليا".

تبلورت مع بداية الأحداث في نيسان، أطر قيادية جديدة أطلق عليها "اللجان القومية" في التجمعات السكانية في المدن والقرى، حيث تشكلت لجان قومية في مختلف المواقع لإدارة دفة الأمور. ولأول مرة أصبح هناك تواجد لأبناء القرى في الأطر السياسية الفلسطينية من خلال اللجان القومية القروية، حيث أقرت قيادة اللجنة القومية المتشكلة في نابلس بضرورة إشراك القرى، حيث ورد في المبادئ التي أقرتها اللجنة القومية في نابلس في اجتماعها المنعقد بتاريخ 19/4/1936 "الحركة تتصل بالقرى اتصالاً وثيقاً فيشترك الفلاح مع ابن المدينة فيها اشتراكاً فعلياً"⁸⁵.

أصبح هناك تواجد للقرى والفلاحين في الإطار الثاني للقيادة السياسية الفلسطينية في فترة الثورة من خلال "اللجان القومية" وكانت هي الإطار المبادر لقيادة الثورة لفترة أسبوعين من بداية الأحداث قبل تبلور الهيئة العربية العليا والتي تشكلت بتاريخ 25/4/1936. بينما تشكلت أول لجنة قومية في يافا بتاريخ 15/4/1936 والتي تعززت بتشكيل اللجنة القومية في نابلس التي قادت النضال. وتشكيل اللجان القومية في مختلف مناطق فلسطين وخاصة المناطق القروية والريف، وجدت لها مساحة لدخول الحلبة السياسية والإطار القيادي من خلال اللجان القومية والمشاركة في صياغة القرارات وحتى عقد مؤتمر خاص باللجان القروية في نابلس بتاريخ 11/5/1936 من ممثلي اللجان القومية في القرى، والذي أكد على مشاركة القرويين في النضال ودعوتهم إلى الثورة المسلحة في حالة عدم استجابة مطالب اللجان القومية". في هذه المرحلة من الثورة (فترة الإضراب وحتى صدور تقرير لجنة بيل البريطانية). كانت القيادة السياسية تتكون من إطارين أو صفين :

الإطار الأول: اللجنة العربية العليا بتزكيبتها الإقطاعية والبرجوازية، المنتمية إلى الشريحة العليا من المجتمع الفلسطيني، ومن سكان المدن كواجهة للعمل الوطني الفلسطيني طوال هذه الفترة حيث " كان 28 (أو 87,5 بالمائة) من أل 32 رجلاً الذين عملوا كأعضاء في الهيئة العربية العليا ينتمون إلى الشريحة العليا من المجتمع وأربعة أعضاء يمكن تصنيفهم كممثلين للبرجوازية ولم يتم على الإطلاق

⁸⁴ زعيتر، أكرم، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، ص 60.

⁸⁵ زعيتر، أكرم، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، ص 61، وزعيتر أكرم، وثائق الحركة

الوطنية الفلسطينية 1918-1939، ص 410.

انتخاب أي عضو في الهيئة من بين صفوف الفلاحين أو الطبقة العاملة " ⁸⁶. وكانت نسبة كبيرة منهم يعودون بأصولهم إلى المدن. "أن 24 (أو 85,7 بالمائة) من أصل 28 عضو قد ولدوا أو كانت بيوت عائلاتهم في المدن الرئيسية"⁸⁷.

الإطار الثاني: اللجان القومية والتي كانت من عناصر برجوازية ومنقفي المدن والتجار وأصحاب المهن الحرة ، بالإضافة إلى العناصر القروية وخاصة المخاتير والوجهاء والمتعلمين ، وقد شكلت هذه اللجان الإطار الثاني أو الصف الثاني على مستوى القيادة، ولم تحاول السيطرة على القيادة السياسية رغم قدرتها على ذلك، حيث كانت المبادرة إلى الإضراب والعصيان المدني وقيادة النضال لفترة قبل تبلور القيادة العليا ممثلة بالهيئة العربية العليا. و ترجع الأسباب إلى قلة الخبرة السياسية كونها مكونة من عناصر شابة وللتركيبة الاجتماعية في تلك الفترة وممارسات السلطة البريطانية ضد هذه القيادة.

يمكن القول، أن بداية التقارب والمشاركة السياسية وعلى مستوى القيادة السياسية وان كان في إطار الصف الثاني بين القرية والمدينة أخذت تتضح ملامحها من خلال اللجان القومية. شكلت نقطة مركزية ورافعة لعمل وطني يضم جميع الفئات وخروجاً عن القاعدة السابقة التي كانت تحصر قيادة العمل السياسي والوطني بيد الشرائح العليا في المجتمع وخاصة الأعيان وكبار الملاك والبرجوازية. وقد شكلت التركيبة الجديدة للقيادة بداية عهد ومرحلة جديدة من العمل السياسي الفلسطيني أخذ بالتبلور أكثر مع المرحلة الثانية من عمر الثورة الفلسطينية الكبرى، بسيطرة العناصر الريفية على قيادة العمل العسكري في المناطق الريفية. وامتداده إلى المدن ومن ثم التأثير على العمل السياسي والقيادة السياسية في الداخل والخارج من خلال مجموعة من الممارسات والإجراءات التي أخذت تطبع الحياة السياسية والثورة بطابع الريف. وشكلت لأول مرة تحولاً في طبيعة العلاقة والحركة. وأصبحت القرية هي مركز الحدث السياسي والعسكري والتوجه نحو القرية والريف بعد أن كان التوجه في السابق نحو المدينة كمركز للنضال والقيادة السياسية، حيث كانت المدينة هي مركز الفعل والقيادة السياسية في المجتمع الفلسطيني منذ الفترة العثمانية وحتى ثورة 1936. أخذت قيادة الثورة بطرح وتطبيق مفاهيم ريفية على المجتمع الفلسطيني، مثل لبس العقال والكوفية الفلاحية رغم أن الإجراء كان أمنياً من أجل عدم معرفة السلطات البريطانية لأبناء الريف واعتقالهم، حيث كان المفهوم السائد والحقيقة أن معظم عناصر الثورة من القرى والريف " في الثورة سويماً بطريقة، بقوا في المدينة يلبسوا طرابيش واللي يعمل هالعمليات هاي فلاحين يلبسوا حطات وعقل منشان يخفوا قلنا ممنوع واحد يلبس طربوش في المدن، في 24 ساعة تشوف المدن كلها لابسين حطات وعقل"⁸⁸. يعكس العمل مدى الاستجابة للثورة رغم طابعها المخالف لطبيعة أهل المدن وثقافتهم،

⁸⁶ صايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 60.

⁸⁷ صايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 60.

⁸⁸ علقم، نبيل، عهد الانتداب البريطاني في الذاكرة الشعبية الفلسطينية، ص 160.

ومما لا شك فيه أن هناك عناصر وقيادات مدنية لم تكن على رضى تام لهذه الإجراءات ولسيطرة الريف على العمل السياسي والعسكري والذي برز في ممارسات هذه القيادة سواء في وقف الإضراب أو الثورة فيما بعد "89. هذه السيطرة الريفية على العمل السياسي والعسكري لم تستمر طويلا. ففي المرحلة الأخيرة من الثورة ونتيجة اشتداد الهجمة البريطانية على الثورة وإيجاد فصائل السلام المعارضة ونشاطها ضد الثورة، بالإضافة إلى مواقف القيادة السياسية العليا في الخارج بعد تأكدها من عدم نية بريطانيا إعطاءها دور في العمل السياسي في فلسطين. قامت بإيقاف المساعدات للثوار في الجبال. مما أضعف الثورة وخاصة بعد استشهاد القائد العام عبد الرحيم الحاج محم، مما أثر على الموقع السياسي العسكري لقيادة الثورة الريفية ووقف الثورة وعودة النشاط السياسي لصالح القيادة المدنية. برز في مؤتمر لندن الذي شكل من القيادة التقليدية ممثلة بالهيئة العربية العليا، وعودة ميزان القوى والفعل السياسي لصالح المدينة وقيادتها وتراجع دور الريف والقيادة الريفية ممثلة بالقادة العسكريين للثورة. وأصبحت القيادة السياسية مدنية.

العلاقات الإدارية

بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين تم تقسيمها إلى ثلاث عشرة منطقة ثم خفضت إلى عشر مناطق إدارية على رأسها حاكم عسكري بريطاني، ومع "التحول إلى الإدارة المدنية تم استبدالهم برجال مدنيين في مجالات المال والقضاء وغيرها من الجوانب على رأسها بريطانيون يساعدهم عرب ويهود. وكان معظمهم من الطبقة المتعلمة والعائلات الإقطاعية والبرجوازية من سكان المدن"90. كانت فرصة سكان القرى في الحصول على مراكز إدارية قليلة إلا في إطار مناطقهم، حيث أن الشكل الإداري الذي كان موجودا في القرية هو المختار يساعده مجموعة من وجهاء القرية يسمى "مجلس الاختيارية" المشكل من رؤساء العائلات في القرية، كان حلقة الوصل بين الإدارة الانتدابية والمدن مع القرية وسكانها خلال فترة الانتداب البريطاني. استمرت هذه الصورة حتى اشتداد الثورة في العام 1936 ومع انطلاق دعوة العصيان المدني وعدم التعاون مع مؤسسات الانتداب البريطاني، أصبحت السيطرة لقوات الثورة في الجبال والقرى. قامت قيادة الثورة بتشكيل المؤسسات الإدارية والمدنية والقضائية الخاصة بها، لحل الاشكالات وإدارة شؤون المواطنين الفلسطينيين، من ثم تشكيل محاكم الثورة ولجان الإصلاح في القرى لحل المشاكل ومساندة الثورة، تشكلت لجان قومية محلية جديدة ذات قواعد شعبية واسعة، وكان ممثلوا المناطق القروية في هذه اللجان يشكلون أكثر من الثلثين "91، أخذت هذه اللجان بالإصلاح بين الناس، وإعادة الحقوق إلى أصحابها وجمع التبرعات لأسر الشهداء المحتاجين من الفقراء المجاهدين

89 كمرلنغ، ياروخ، ويونيل مغدال، نفس المصدر السابق، ص 153.

90 طربين، أحمد، نفس المصدر السابق، ص 996.

91 خلة، د. محمود كامل، نفس المصدر السابق، ص 687.

ومنح الأفراد من التعاون مع الحكومة وتوزيع المجاهدين على بيوت الميسورين وجمع الأموال من القرية لشراء السلاح للثوار⁹². وتم تعيين مستشارين إداريين، قضائيين، ووعاظ على شكل لجنة استشارية لقادة الثورة في كل منطقة من أجل عدم التورط في الأخطاء، ومن أشهرهم واصف كمال، ممدوح السخن، فريد يعيش، رشاد الشوا، محمود علاء الدين، سليم الحسيني، أكرم الجاعوني ومصطفى الطاهر، وهم من مثقفي الطبقة البرجوازية من المدن. على أن محاكم الثورة المشكلة إلى جانب قيادات المناطق استعانت بعدد آخر من القضاة الفلاحين الذين كانوا أقرب إلى فهم عقلية الفلاحين ومعرفة عباداتهم وتقاليدهم⁹³، مثل إبراهيم بشير، صالح أحمد طه، الشيخ حامد من كوكب⁹⁴. استطاعت هذه المحاكم حل معظم القضايا الواردة إليها وبطريقة سريعة أفضل من إجراءات المحاكم الانتدابية التي كانت تأخذ وقتاً أطول. أصبحت الأمور الإدارية والتنظيمية بيد الثورة في المجتمع الفلسطيني في القرية والمدينة، أصبحت القرية مركز الأحداث ومع امتداد سيطرة الثورة على المدن أخذت بنشر أنظمتها الإدارية والقضائية على سكان المدن وبرز بشكل فعال في طلبهم من المخاتير ورؤساء البلديات بعدم تسجيل أسماء الذكور في القرى. والطلب من السكان رفض عمل هويات شخصية وذلك كإجراءات بريطانية لمعرفة الثوار. وشكلت استجابة السكان لهذه المطالب نوعاً من التجاوب مع الثورة وقراراتها المختلفة وخاصة في المرحلة الثانية من الثورة، حيث أصبحت السيطرة المركزية فيها لصالح القرية، بعد أن كان في فترات سابقة لصالح المدينة.

كانت العلاقة بين القرية والمدينة في هذه الفترة علاقة جديدة تختلف عن الظروف السابقة، التي كانت السيطرة فيها للمدينة. قوبلت هذه العلاقة من طرف رجال الطبقة العليا من الإقطاع والبرجوازية المدنية بالرفض. وظهر في خروج مجموعات منهم إلى خارج فلسطين في فترة الثورة⁹⁵. رغم ذلك كانت هذه المجموعات قليلة قياساً بمدى التجاوب الذي أبداه سكان المدن في مساندة الثورة وخاصة من فئات الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة والعمال.

في نهاية الثورة، أخذت السيطرة الإدارية تعود إلى المدينة وإلى مؤسسات الانتداب البريطاني، خاصة بعد مقتل القائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد وخروج القادة الآخرين في شهر أيار 1939 ومع زيادة سيطرة وبطش السلطات البريطانية وتشكيل فصائل السلام المعارضة، التي أخذت بضرب الثورة والسيطرة على القرى، وبذلك انتهت السيطرة الإدارية والعسكرية للريف على المناطق الفلسطينية بشكل عام والريفية بشكل خاص في المرحلة الأخيرة من الثورة.

⁹² خلة، نفس المصدر السابق، ص 704.

⁹³ خلة، نفس المصدر السابق، ص 704.

⁹⁴ ياسين، صبحي، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، ص 49.

⁹⁵ عبوشي، د. واصف، فلسطين قبل الضياع: قراءة جديدة في المصادر البريطانية، ص 166.

د. العلاقات الاجتماعية

قام في المجتمع الفلسطيني نظام طبقي يتسم بالتفاوت الكبير. انقسم عرب فلسطين إلى ثلاث طبقات اجتماعية رئيسية عليا ووسطى ودنيا. يقوم هذا التقسيم الاجتماعي على مجموعة من المتغيرات الاجتماعية: التملك أو ملكية الأرض أو المركز الديني أو الشهرة أو المركز الاجتماعي العالي المكتسب بالوراثة أو الدخل أو الزواج من عائلات متمتعة بالنفوذ أو مزيج من هذه المتغيرات⁹⁶.

بينما يعتبر الناشف أن الحدود بين طبقة وطبقة مجاورة لم تكن واضحة على الإطلاق بمعنى سهولة الحراك الاجتماعي والانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى والاندماج بها. إلا أن كمرلنغ يطرح العكس " لم تكن المسافة الاجتماعية بين الأعيان والشعب مجرد مسافة مادية- إقليمية فصلت بين القيادة القومية الجديدة والشعب، وإنما كانت بمثابة هوة ثقافية وشعورية⁹⁷."

ساهمت التقسيمات الإدارية في الفترة العثمانية والبريطانية فيما بعد في تعزيز هذه "الفوارق الطبقيّة والإقليمية (المناطقية) فالشمال يرتبط مع بيروت ودمشق، والوسط والجنوب مرتبط مع اسطنبول. بالإضافة إلى الفرز العائلي العشائري الذي تم تجسيده في فترة الانتداب"⁹⁸. نتجت الإقليمية عن سوء المواصلات وانقسام البلاد إلى سناجق منفصلة. مما أديا إلى منع انتشار المقاومة الثورية في الثلاثينات مثل القسام، ثورة 36، الكف الأخضر. والتأثير على الروح والعمل الوطني بشكل عام وفشله فيما بعد، وترك تأثيره على الحياة السياسية في ظل الانتداب.

يلاحظ أن الأغلبية الكبيرة من السكان العرب الفلسطينيين انتمت إلى فئة الطبقة الدنيا التي تتألف من عناصر ريفية، بدوية ومدنية. و شكل الفلاحون الذين ملكوا قطعا صغيرة من الأرض والفلاحين الذين لم يملكوا أرضا العمود الفقري للطبقة الدنيا الريفية واشتملت هذه المجموعة على قليل من الفلاحين الذين ملكوا قطعا كبيرة نسبيا من الأرض. ومهنة الفلاحين الرئيسية كانت فلاحا الأرض وكان البناء وقلع وقطع الحجارة والعمل في معامل الفخار وصيد السمك وغيرها من المهن الثانوية المرافقة للحياة الريفية في القرية. وانتمت أغلبية البدو إلى الطبقة الدنيا وكانت لهم مهنتان رئيسيتان الزراعة وتربية المواشي وكان جميع البدو مسلمين وكان الفلاحون بأغليبتهم مسلمين وشكل المسيحيون خمسة في المائة من الفلاحين⁹⁹.

⁹⁶ الناشف، د. تيسير، الزعامتان السياسيتان العربية واليهودية في فلسطين: دراسة مقارنة، ص 48.

يمكن الرجوع أيضا إلى الكتب التالية: صايغ، روز ماري، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة، ص 51. وجوجانسكي، تمار، تطور الرأسمالية في فلسطين، ص 205-208. وسعد، أحمد، التطور الاقتصادي في فلسطين، ص 91.

⁹⁷ كمرلنغ، باروخ، ويونيل مغدال، نفس المصدر السابق، ص 142.

⁹⁸ صايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 51.

⁹⁹ الناشف، د. تيسير، نفس المصدر السابق، ص 48.

من جهة ثانية، قدرت نسبة الفلاحين في فترة الحكم العثماني بـ 80% من السكان. في حين قدر عددهم طبقاً لإحصاء 1922 بـ (478,000) وارتفع عام 1944 إلى (800,000) قروي أو بنسبة 66% من السكان ونسبة 70% من المواطنين العرب في فلسطين¹⁰⁰. ويشترك مع الفلاحين في الطبقة الدنيا البدو والعمال، حيث اشتملت الطبقة الدنيا المدنية على أصحاب الأجور مثل عمال الصناعة وعمال البناء وسكك الحديد، وشملت هذه الطبقة أيضاً الحمالين وعمال القوارب والعمال غير المهرة وفي المستوى الأخفض كانت شريحة من المتسولين والعمال الباطلين عن العمل. "وتركزت في المدن الصناعية مثل حيفا ويافا وبلغ عددهم حوالي 100 ألف عامل"¹⁰¹. وكما هو معروف، يعود معظمهم إلى أصول فلاحية وهجرة داخلية بعد خسارتهم لمصدر رزقهم في القرية بفعل الاستيطان وبيع الأراضي. و شكلوا اصطفاً اقتصادياً واجتماعياً موحداً في وجه المدينة والطبقات العليا والوسطى في المدينة الفلسطينية، وتألقت الطبقة الوسطى من مجموعات مختلفة تطلبت منهم قدراً من التعلم، أقامت أغليبتها في المدن، بينما أقامت أقلية في القرى واشتملت هذه الطبقة على أصحاب الحوانيت والمعلمين وصغار موظفي الحكومة وأصحاب الصنعة والمحترفين. واشتغل بعض الموسرين من هذه الطبقة بزراعة الحمضيات وتسليف الأموال والعمل الصناعي. وضمت هذه الطبقة أيضاً الموظفين في المجال الديني القضاة والمفتين والأئمة والخطباء وغيرهم¹⁰². وتألقت الطبقة العليا من أصحاب الأراضي الواسعة وكبار التجار والأغنياء والأعيان الاجتماعيين والدينيين.

يلاحظ أن نسبة المجتمع المدني وسكانه في فلسطين ارتفعت حيث كانت 26% عام 1936 وأصبحت 34% عام 1944¹⁰³. وهذا يلاحظ من خلال الجدول التالي:

تطور القطاعين الحضري والريفي في فلسطين¹⁰⁴

من عام 1922-1944

جدول رقم 3/12

القطاع	1922	نسبة مئوية	1931	نسبة مئوية	1944	نسبة مئوية
حضري	195,000	29%	259,000	30%	411,000	34%
ريفي	478,000	71%	602,000	70%	800,000	66%
المجموع	673,000	100%	861,000	100%	1,211,000	100%

¹⁰⁰ البديري، هند أمين، أراضي فلسطين بين الحقيقة ومزاعم الصهيونية، ص 293.

¹⁰¹ البديري، هند أمين، نفس المصدر السابق، ص 291.

¹⁰² الناشف، د. تيسير، مصدر سابق، ص 49.

¹⁰³ البديري، هند أمين، نفس المصدر السابق، ص 293.

¹⁰⁴ نفس المصدر السابق، ص 287.

يلاحظ من خلال هذه الأرقام (جدول رقم 3/12) مدى التغير الحاصل في التركيبة الاجتماعية والديمغرافية في المجتمع الفلسطيني. وبرزت في العلاقات الإنتاجية والتغيرات الاجتماعية التي هزت الأوضاع الاجتماعية للفلاحين والعاملين في الزراعة، حيث تعرض عشرات الآلاف منهم للاقتلاع من الأرض وتهميشهم على أطراف المجتمع المدني في فلسطين. وزاد من استعدادهم الكامل للانخراط في النضال والعمل الثوري ضد الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية والطبقات العليا في المجتمع الفلسطيني. وبرزت في انضمامهم إلى الحركات الثورية في عقد الثلاثينات مثل ثورة القسام والثورة الفلسطينية الكبرى، وبمشاركة قوية وفاعلة في تلك الثورات، وصلت في المراحل المتأخرة من الثورة بسيطرة هذه الفئات على قيادة الثورة والعمل العسكري في الداخل وخاصة في مناطق الأرياف والجبال، ثم الامتداد إلى المدن والسيطرة عليها، والتأثير على تركيبة العلاقات الاجتماعية والمفاهيم والطروحات، التي أخذت تسود، وتفرض نفسها على الواقع الفلسطيني بفعل السيطرة الفلاحية على قيادة الثورة والسيطرة على الهمم الاجتماعي من طرف هذه الفئات المسحوقة التي عانت من ظلم واضطهاد الاحتلال البريطاني والصهيونية وسيطرة الطبقات العليا في المجتمع الفلسطيني. كان موقف وعلاقة الطبقة العليا المحلية تعتمد على مجموعة من المفاهيم "كالشعور بالتفوق والأبوية والإهمال، بالإضافة إلى روح وطنية جنينية"¹⁰⁵ تجاه الفلاحين. أثر هذا الوضع على أشكال المقاومة النضالية التي مارسها أبناء الطبقة العليا فلم تكن هناك مشاركة حقيقية من طرفهم في النضال الوطني طوال فترة الانتداب. ترك العبء الكبير على عاتق الطبقات الدنيا "كان الأعيان يقومون بدور الدبلوماسيين والطبقات المتوسطة المتعلمة بدور المعبرين عن الرأي العام، والفلاحون بدور المقاتلين الفعليين في المعركة ضد الوجود الصهيوني"¹⁰⁶، لذلك بقيت المسافة الاجتماعية الفاصلة بين ملاك الأرض العرب والفلاحين كبيرة وحافظت على شكل وحواجز معينة، حيث كان الأرستقراطيون العرب، مهما كانت أصولهم، يعيشون في المدن ولا يرون أراضيهم عبر الوكلاء وحتى زيارتهم للريف كانت نادرة"¹⁰⁷.

هذه الصورة، تتسحب على الواقع الفلسطيني مع بعض التعديل حيث كانت توجد مجموعات من الطبقة العليا وأغنياء الفلاحين تعيش فوق أراضيها وتديرها بنفسها وكان بعض أعضاء هذه الطبقة يساهمون في الحركة الوطنية ولكن القليل منهم حملوا السلاح وقاتلوا مع رجال العصابات الفلاحين "¹⁰⁸ . أبقت هذه الشرائح العليا على علاقة ودية معينة مع الانتداب البريطاني والصهيونية من أجل المحافظة على مصالحها وارتباطاتها مع هذه الأطراف على حساب الاندماج مع حركة الشعب، حيث اختارت

¹⁰⁵ صايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 57.

¹⁰⁶ الكيالي، د. عبد الوهاب، نفس المصدر السابق، ص 61.

¹⁰⁷ صايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 58.

¹⁰⁸ صايغ، روز ماري، مصدر سابق، ص 58.

المحافظة على علاقة مع الانتداب والصهيونية " فعندما كان أمام الأعيان المتقدمين في السن فرصة الاختيار بين وظائف تدفع الحكومة رواتبها وبين مستقبل غير واضح ينتظرهم بوضعهم قادة سياسيين للشعب فانهم اختاروا البديل الأكثر أماناً ومردودية¹⁰⁹ وهذا الوضع انسحب على القيادة الفلسطينية طوال فترة الثورة وما بعدها، حيث كان هناك أمل لدى هذه القادة بأن يقدم لهم الانتداب حصة للمشاركة في إدارة شؤون البلاد السياسية طوال فترة الانتداب ".
وتجسدت هذه المسافة والسياسة عند استشهاد الشيخ عز الدين القسام، حيث لم يحضر جنازته أي من الرموز القيادية الوطنية وبالتالي تظهر المسافة بين الجناحين العسكري والسياسي للحركة الوطنية الفلسطينية "وبرز بشكل أكثر وضوحاً في عدم وجود قادة عسكريين في ثورة 1936 ينتمون إلى الطبقة الحاكمة خاصة الشرائح الإقطاعية"¹¹⁰.

يظهر من الطرح السابق أن المسافة الاجتماعية بين الفلاحين وسكان المدن ذات جذور قديمة ولم تستطع الثورات إلا إحداث بعد التغييرات وان ذابت هذه المسافة في خضم المراحل الأخيرة من ثورة 36 وذلك بفعل الزخم الثوري والسيطرة من طرف الفلاحين على قيادة الثورة وخاصة الجناح العسكري، و فرض مفاهيم وأفكار ذات أصول ومناخ ثقافية ريفية ولمصلحة سكان الريف مثل لبس الكوفية، سداد الديون، تمويل الثورة، إيجار العقارات وغيرها من المفاهيم، والتي طبقت من طرف سكان المدن وعلى مضض شديد. واضطرار قسم كبير مغادرة البلاد في حالة عدم القدرة على تنفيذ هذه المفاهيم باعتبار أنها صادرة عن فئات اجتماعية أقل مستوى¹¹¹.

هـ - الجوانب التعليمية والخدمات

1- الأمية في القرية

كانت السياسة التعليمية لحكومة الانتداب في فلسطين تخريج اشخاص لأغراض إدارة البلاد والقيام بالأعمال والوظائف التي تجعل المجتمع الفلسطيني في وضع سياسي، اجتماعي واقتصادي لصالح إنشاء الوطن القومي اليهودي وخدمة المصالح الانتدابية، وليس النهوض وتطوير المجتمع الفلسطيني بشكل

¹⁰⁹ صايغ، روز ماري، مصدر سابق، ص 61.

¹¹⁰ يعتبر الاستثناء الوحيد هو الشهيد عبد القادر الحسيني كقائد لمنطقة القدس في ثورة 36، وقائد الجهاد المقدس في حرب 1948.

¹¹¹ لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

أ- علقم، نبيل، الانتداب البريطاني في ذاكرة الشعب الفلسطيني، ص 42.

ب- الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ص 293.

ج- كمرلنغ، ياروخ ويوثيل مغدال، الفلسطينيون صيرورة وشعب، ص 157.

د- عبوشي، واصف، فلسطين قبل الضياع: قراءة جديدة في المصادر البريطانية، ص 164-168.

يؤدي إلى استقلاله وحرية، لذلك ركزت على ضرب الحركة التعليمية وإبقاء مستوى الوعي منخفض، وفي حالة جهل وفقر وأمية. ويظهر ذلك من نسبة التعليم والأمية والإنفاق الحكومي طوال فترة الانتداب. وتركزت هذه السياسة في القرية بشكل كبير، لذلك جعلت القرية في وضع سيئ من خلال انتشار الجهل والفقر والأمية. ويرز في نسبة التعليم والأمية في القرية الفلسطينية وعدم قبول كافة الطلاب في سن التعليم بل نسبة قليلة منهم، كما في الجدول التالي:

الأمية في فلسطين في عهد الانتداب

جدول رقم 3/13

89%	الأمية بين المسلمين
52%	الأمية بين المسيحيين
85%	المجموع العام

كانت الأمية بين النساء الفلسطينيات وخاصة في القرية عالية وصلت 93%¹¹²، ويظهر الوضع التعليمي ونسب الأمية بشكل واضح في القرية الفلسطينية في فترة الثلاثينيات والأربعينيات من عهد الانتداب البريطاني من خلال الجدول التالي:

طلبات الانتساب والقبول في القرى (1933-1944)¹¹³

جدول رقم 3/14

1944	1943	1942	1941	1940	1939	1934	1933	
13789	12222	10244	10952	10863	11130	7981	6555	عدد الطلبات
9574	8518	7217	7146	6229	6446	4924	3766	المقبولين
69%	70%	70%	65%	57%	58%	61%	57%	نسبة القبول

حيث تظهر الأرقام (جدول رقم 3/14) نسبة الأمية العالية في القرية خاصة سنوات الثلاثينيات التي تتجاوز 40% بين الطلاب في سن الدراسة ، وإذا أضيف لهم كبار السن والفئات المختلفة الأخرى يضاف إلى ذلك أن التعلم في القرية كان لمدة أربع سنوات، ونادرا ما كان يتسنى للطلاب اكمال دراسته، لان ذلك كان يتطلب ذهابه الى المدينة في ظل ظروف اقتصادية صعبة للغاية وعدم وجود فرص، حيث لم يكن هناك سوى بضع مدارس ثانوية في فلسطين خلال تلك الفترة. مما أدى الى ارتفاع نسبة الأمية في القرية الفلسطينية لتبلغ 40% بين صبيان القرية و 93% بين الفتيات¹¹⁴. وكان مستوى التعليم في القرية هو للصف الرابع فقط وفي غرفة واحدة ، مجمع بها الصفوف الأربعة ولديهم مدرس واحد فقط، يقوم بتدريسهم

¹¹² أبو ارميلة، د. هشام. مجموعة شهادات عرب فلسطين أمام اللجنة الملكية البريطانية، شهادة، د. خليل طوطح، ص 158

¹¹³ طرابيين، د. أحمد، نفس المصدر السابق، ص 1130 .

¹¹⁴ طرابيين، د. أحمد، مرجع سابق، ص 1128 .

وقد يكون مستواه لا يتجاوز سبع ابتدائي أو ثانوي في احسن الاحوال.¹¹⁵ تركت الاوضاع التعليمية السيئة في القرية تأثيراً كبيراً على العلاقة مع المدينة في الجوانب الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والعسكرية في فترة الانتداب.

ادت في الجانب الاقتصادي الى حصول المدينة على حصة الاسد في المساعدات، النشاطات واعتماد فرص العمل على مستوى التحصيل العلمي. أدى الى عدم قدرة سكان القرى المهاجرين في الحصول على فرص عمل جيدة، واقتصار مجال عملهم اليدوي والمهني المتدني. هذا سمح لسكان المدن بالسيطرة على مركز القرار وتواجد حالة من الحساسية بين الطرفين.

في الجانب الاجتماعي والفرز الطبقي ، والانتقال من طبقة الى اخرى اعتمد على مستوى التعليم للوصول الى مراكز اجتماعية وادارية في مؤسسات المجتمع والحكومة. وبهذا يكون نصيب أبناء القرية اقل في الوصول الى مراكز تعليمية واجتماعية عالية، والحصول على وضع اجتماعي افضل. من جهة ثانية، تعتمد السيطرة السياسية على مستوى التعليم، لذلك كانت فرص أبناء القرية قليلة للوصول الى مراكز قيادية سياسية عليا، لم يكن هناك من القرية في تلك الفترة سوى عدد قليل جدا. وينسحب هذا الوضع على الجوانب العسكرية في المراكز العليا، حيث أنه في "لجنة الجهاد المركزية" لم يتواجد سوى عضو واحد وهو القائد العام للثورة "عبد الرحيم الحاج محمد".

يمكن القول، أن المستوى التعليمي وحالة الأمية التي عاشتها القرية. أثرت كثيرا على فرصتها في الوصول الى مواقع قيادية اقتصادية، سياسية، اجتماعية وعسكرية في المجتمع الفلسطيني. وترك تأثيرا واضحا على مجريات الأحداث في الثورة في تصرفات وممارسات القادة الميدانيين اصحاب المستوى التعليمي المتدني، في عدم القدرة على الارتفاع بمستوى العمل العسكري والسياسي الى درجة أعلى من الكفاءة والمهنية لموازاة الممارسات البريطانية والصهيونية. ساهمت هذه الصورة في عدم ارتقاء العمل الثوري عاليا ، بل أدت الى تراجع الثورة وانتهائها لاحقا.

2- الخدمات الصحية:

كان الوضع الصحي سيئا في القرية العربية، كان هناك العديد من القرى لا يوجد بها طبيب واحد . وكان هناك عدد كبير لا يوجد به عيادات أو مستوصفات طبية تابعة للحكومة أو الإرساليات، وزيارة الطبيب لهذه المؤسسات مرتان في الشهر. لذلك كان يضطر القروي العربي المريض إلى قطع عدة كيلومترات مشيا على الأقدام أو محمولا على دابة ليصل إلى عيادة طبية ما دام الإسعاف الطبي لا يوجد إلا في المدينة ولا توجد مستشفيات إلا في المدن الكبرى. "وأقيمت بعض العيادات في القرى الكبيرة التي تعالج مرة في الأسبوع في القرى التالية خان يونس، عماره، دير البلح، الفالوجة، الخالصة، عوجا الحفير،

سيلة الظهر، بديّة، عسلوج، أريحا، المسمية الكبيرة، طوباس، بيت محسير، اسدود، سلفيت، ترشيحا، بينة، بيت حنينا، برير¹¹⁶.

كما أن خدمات المواصلات والطرق كانت قليلة في القرية، حيث لا توجد طرق معبدة بل ترابية. ومعظم الطرق المعبدة كانت تنشأ لأغراض أمنية وعسكرية ولخدمة المستوطنات اليهودية، وكان هناك إهمال كبير للوسط العربي وخاصة القرى في مختلف مجال الخدمات، حيث كان له تأثيراً كبيراً على مستوى الحياة والوعي والعلاقات الاجتماعية في القرية الفلسطينية. مما أدى إلى سيادة علاقات اجتماعية وممارسات سلوكية وتربوية سيئة، برزت في ظهور وتنمية علاقات عشائرية وانغلاق اجتماعي داخل الأسرة أو الحمولة والعشيرة والعنصرية والكراهية للعائلات الأخرى، وسيطرة العلاقات البطيركية داخل الأسرة والعشيرة والقرية وسيطرة المشايخ والوجهاء ورجال الدين والإقطاع على مجريات الأمور في القرية. مما كان له أثراً كبيراً على حياة القرية وخاصة أثناء الثورة، وعدم بروز وضع ثوري تنويري داخل حركة الثورة وأفرادها ونقل التأثيرات والخلافات والأفكار العشائرية إلى الثورة ومؤسساتها والعلاقة مع المدينة والقرى الأخرى مما كان له تأثير على نشاط الثورة واستمراريتها وضعف الأداء فيها. وبرز ذلك في تشكيل فصائل الثورة، كان الفصيل يتكون من مجموعة من الرجال من قرية واحدة وحتى من عائلة واحدة داخل القرية. وبذلك ظهر وجود عدة فصائل في القرية الواحدة، وانقسام هذه الفصائل فيما بينها وحتى انقسام القرية الواحدة بين معارض ومجلسي. يجب الملاحظة أن هذه الصورة لم تتواجد في مختلف مناطق فلسطين بنفس الحدة، بينما قد يكون التأثير في الشمال أقل خاصة الجليل والمثلث ويعود ذلك للقرب من المراكز المدنية مثل مدينة حيفا، عكا، صفد، والقرب من سوريا ولبنان، ووجود قيادات منتورة دينية وسياسية بفعل تأثير حركة عز الدين القسام الذي غرس في اتباعه، وضعا ثورياً تنويرياً ساهم في إعطاء قيادة الثورة وضعا أفضل في تلك المناطق قياساً للمناطق الأخرى، التي سادت بها علاقات عشائرية ذات تأثيرات اجتماعية اقتصادية تعتمد على السيطرة البطيركية. وقد ازدادت هذه المسافة في المرحلة الأخيرة من الثورة مع تشكيل فصائل السلام المعارضة وزيادة حدة الاغتيالات السياسية بين الأطراف الفلسطينية المختلفة. مما كان له تأثيراً كبيراً على العلاقات الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية الفلسطينية في فترة الثورة وفيما بعد وما زالت له امتدادات عشائرية في القرى والمدن الفلسطينية حتى الآن، حيث تكررت صورة الأحداث مرة أخرى في الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987-1993.

رغم ذلك فإن الفئات الاجتماعية قدمت للثورة ودعمتها في مراحلها الأولى، مما عكس صورة مشرقة للنضال الوطني وبرز من خلال اللجان القومية المشكلة واللجان المحلية ولجان الإصلاح في القرى والتجمعات الفلسطينية. كانت تقوم بالمهام التالية:

1 +الإصلاح بين الناس.

¹¹⁶ طريبن، د. أحمد، نفس المرجع السابق، ص 114.

- 2 - إعادة الحقوق لأصحابها.
- 3 جمع التبرعات لأسر الشهداء والمحتاجين من الفقراء المجاهدين.
- 4 منع الأفراد من التعاون مع الحكومة.
- 5 توزيع المجاهدين على بيوت الميسورين عند حلولهم في القرى والمدن.
- 6 تنفيذ أوامر الثورة بدقة. ¹¹⁷

وتشكلت فرق الأنصار والفرقة كرديف ومساند قوي للقاتلة في المعارك، حيث كانت لهذه المجموعات مهمات نضالية محددة " ¹¹⁸. واستكملت الصورة الاجتماعية للثورة من خلال مشاركة المرأة الفلسطينية وحركة الكشافة ولجان الهلال الأحمر والصليب الأحمر " ¹¹⁹. مما أعطى صورة اجتماعية جيدة للثورة في مراحلها المختلفة، عبرت عن علاقة اجتماعية متطورة.

و- دور الانتداب والصهيونية في العلاقة بين القرية والمدينة.

1- سياسة فرق تسد

من المتعارف عليه، أن السياسة الاستعمارية بشكل عام والسياسة البريطانية في فلسطين بشكل خاص، اعتمدت سياسة فرق تسد بين أبناء الشعب المحتل، من أجل تفتيته وسهولة السيطرة عليه. واستغلال خيراته وثرواته الاقتصادية، وجعله سوقاً استهلاكياً وتابعا سياسياً للدولة البريطانية. هذه الصورة تجسدت في فلسطين في فترة الانتداب، بل امتازت بصورة أشد قسوة ووحشية ضد الشعب والمجتمع الفلسطيني، حيث كانت الإدارة البريطانية تمثل الطبقة السائدة والمسيطرة في المجتمع من خلال الطقم الإداري الحاكم وأتباعهم في حكومة فلسطين الانتدابية. فان موقفها من المجتمع الأصلي والتعامل معه كانا يكتسبان أهمية كبيرة في مجال الحفاظ على طبيعة المفتتة " وقد رفض البريطانيون الاعتراف بهم كشعب إذ كانوا يعرفون الفلسطيني في الوثائق الرسمية " بالجماعات غير اليهودية ... وعدم امتلاكهم بنية طبقية منتظمة" ¹²⁰. تميزت استراتيجيتهم بسياسة فرق تسد وتشجيع وجود حزب معارض بقصد مواجهة الشعور المتنامي المعادي لبريطانيا لدى الحركة الوطنية، "والذي كان يقوده اعتباراً من عام 1929 الحاج أمين الحسيني " ¹²¹. كانت هذه السياسة العامة ضد الشعب الفلسطيني بكافة فئاته وتجمعاته. ولم تخرج سياسته تجاه المدن والقرى عن هذا النطاق والصورة، بل كانت أكثر حدة وخاصة

¹¹⁷ ياسين، صبحي، نفس المرجع السابق، ص 45.

¹¹⁸ لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى كتاب حسونة، إبراهيم خليل، الثورة الشعبية الفلسطينية ثورة 1936 نموذجاً، ص 88.

¹¹⁹ حول ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب السفري، عيسى، فلسطين بين الإنتداب والصهيونية ص 107 - 109.

¹²⁰ صايغ، روز ماري، المصدر السابق، ص 51.

¹²¹ صايغ، مصدر سابق، ص 51.

في فترات الثورة والنضال وخاصة ثورة 1936، اتبعت سياسة عنصرية متحيزة لطرف ضد آخر ومجموعة ضد الأخرى من أجل إشعال نار الفتنة والإحتراب الداخلي. وتفتيت وحدته السياسية والاجتماعية. وذلك من خلال مجموعة من الممارسات النشاطات ودعم طرف ضد الآخر، وصلت حد الدعم العسكري لفئات المعارضة ممثلة بفصائل السلام.

وكما هو معروف، فإن استخدام القوة العسكرية بشكل كبير لم يفلح في قمع حركة الثورة الشعبية، ففي أحداث 1936-1939 رغم العدد الكبير من القوات العسكرية الذي تجاوز الفرقين بالإضافة إلى الأجهزة الأمنية الأخرى ودعم مليشيات الحركة الصهيونية لقوات الانتداب. واتبعت حكومة الانتداب سياسة تفعيل قانون الطوارئ والأحكام القاسية في سبيل الهدف، ولم تفلح في قمع الثورة. ومارست سياسة مدهمة واحتلال القرى وتخريب الممتلكات والمنازل " ووصل عدد القرى المحتلة إلى 758 في عام 1939. كما أنشأ مركز شرطة في كل قرية منها يحتله أربعون فردا بقيادة ضابط بريطاني"¹²².

كانت هذه السياسة ضد القرى والمدن بشكل عام وضد المواقع المشاركة في الثورة بشكل خاص في الريف، كما اتبعت قوات الانتداب سياسة فرض أو رفع الضرائب والغرامات ضد المدن والقرى وخاصة ذات النشاط والمشاركة في الثورة المسلحة، حيث فرض على القرى والفلاحين ضرائب كبيرة وعالية. وذلك في إطار سياسة الانتداب والصهيونية لإفقار الفلاح الفلسطيني وإجباره على بيع أرضه للحركة الصهيونية، حيث تتدرج هذه الخطوات في إطار سياسة الانتداب في تفريغ الأرض العربية وتطبيق بنود وعد بلفور قمة العنصرية والظلم والوحشية ضد الشعب الفلسطيني.

كانت هناك العديد من الضرائب المفروضة على الفلاحين والقرى. بينما كانت هناك ضريبة واحدة على سكان المدن"¹²³، قامت بتخفيف الضرائب على سكان الريف والقرى ضمن إطار كسر سياسة الوحدة والتعاون بين الثوار وسكان القرى ومحاولة جذبهم نحو السلطة الانتدابية.

واتبعت أسلوب توزيع المنشورات من الطائرات على القرى الفلسطينية " فقد قامت بتوزيع منشور على 980 قرية أسقطت خلالها 210 آلاف منشور "¹²⁴، كانت تحتوي هذه المنشور على دعاية مغرضة وتحريض لسكان القرى ضد الثورة والثوار. وتحميل الثورة سبب الأوضاع الاقتصادية السيئة التي يعيشها أفراد الشعب وخاصة في القرى " في أوقات الضيق، عندما أمسكت السماء عن المطر، وأقحلت

¹²² الرضيي، يوسف رجب، ثورة 1936-1939 في فلسطين: دراسة عسكرية، ص 94.

¹²³ لمزيد من المعلومات حول الضرائب مراجعة الكتب التالية :

د.خلة، محمود كامل، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، ص 759-762.

جوجانسكي، تمار، تطور الرأسمالية في فلسطين، ص 23-26.

أبو ارميله، هشام، مجموعة شهادات عرب فلسطين أمام اللجنة الملكية البريطانية، ص 55-57.

¹²⁴ الرضيي، يوسف رجب، نفس المصدر السابق، ص 87.

مزروعاتكم، أعتكم الحكومة من دفع الضرائب ومدت الحكومة يد المساعدة لكم وإعانتكم. ولكن الحكومة الآن تتفق أموالها على توقيف الأعمال الخارجة على القانون وتحافظ على النظام. فلا يكون هناك إعفاءات من الضرائب ولا إعانات وترتفع الضرائب. إنكم أنتم الذين تتضررون من الذي يخسر من جراء الأعمال الخارجة على القانون؟ إن الذي يخسر هو أنتم وقربتكم" ¹²⁵، على هذا الشكل وغيره العديد من المنشورات التي تم توزيعها لزرع بذوره الفتنة والحقد والكراهية بين أبناء الشعب. كانت معظم هذه المنشورات موجهة نحو سكان القرى واطهارهم أنهم المتضررون الوحيدون من استمرار الثورة " من الذي يخسر بسبب الأعمال الخارجة على القانون القائمة الآن ؟ .. إن الرجل الغني يعيش مرتاحا في المدينة. وهو لا يعرض أسباب معيشته للخطر. ولكنه يطلب إلى الرجل الفقير أن يفعل ذلك. إن الذي يخسر هو ذلك التاجر الصغير الذي أجبر على إغلاق دكانه. إن الذي يخسر هو البائع الصغير الذي تتلف بضائعه فيما لو حاول بيعها. إن الذي يخسر هو الفلاح الذي لا يستطيع أن يبيع محصولاته في السوق. أليس بصحيح أن الرجل الفقير هو الذي يخسر دائما؟ ¹²⁶.

وهناك العديد من المنشورات التي تصب في نفس السياسة والاتجاه، من أجل تفتيت وحدة الشعب وإبعاده عن ثورته ورجالها المنتشرين في الجبال. هذه المنشورات وغيرها من الأعمال لم تفلح في ضرب الوحدة الوطنية، التي تمتعت بها الثورة في مراحلها الأولى والثانية وبداية المرحلة الثالثة.

2- الاغتيالات السياسية

لم تستطع وحشية وقسوة الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية في القضاء على الثورة بالوسائل العسكرية، فأخذت تبحث عن وسائل جديدة، خاصة أسلوب دعم أطراف سياسية فلسطينية ضد أطراف أخرى. وإثارة النزعات الإقليمية والعشائرية، حيث قامت بدعم حزب الدفاع الوطني وقيادته النشاشيبيية من خلال دعمهم بالمال والسلاح وتشكيل فصائل السلام لمحاربة الثورة وقيادتها الحسينية. أصبح هذا الفرز على مستوى الوطن الفلسطيني " الإنجليز خلونا أحزاب، مش انشيكوا الناس في بعض؟ صاروا مجلس ومعارض سوا عصابة واحدة.. لما فخري يؤخذ سلاح من الإنجليز ويسلح الشعب ويحارب اللي حامل السلاح ضد بريطانيا " ¹²⁷. ساهمت هذه السياسة في عمليات اغتيال للكثير من العناصر الوطنية والقيادات المعارضة في مختلف من المواقع في المدن والقرى، وإثارة حالة من الرعب والفوضى والتأثر بين أبناء الشعب الفلسطيني والقيام بعمليات اغتيال على قضايا بسيطة أو اشكالات اجتماعية وتحميلها للثورة. مما ساهم في إيجاد حالة من النفور والابتعاد وحتى القيام بعمليات ضد الوطنيين والثوار، وتراجع

¹²⁵ السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص 100. كها، مصطفى، ثورة 1936 الكبرى دوافعها وانعكاساتها، ص 64.

¹²⁶ السفري، عيسى، مصدر سابق، ص 100.

¹²⁷ علقم، نبيل، نفس المصدر السابق، ص 181.

الدعم من البلاد والتعرض للملاحقة والاعتقال من أبناء الشعب الفلسطيني، ومساهمة الكثير من المتعاونين والعناصر التي ارتدت عن الثورة في الكشف عن أسرار الثورة وعناصرها وتسهيل مهمة الانتداب البريطاني في ضرب الثورة ومن ثم القضاء عليها في أواخر عام 1939، خاصة بعد استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد واعتقال يوسف أبو درة وغيره من القيادات العسكرية للثورة. يلاحظ أنه منذ بداية الانتداب والصراع العائلي والعشائري يصبغ السياسة الفلسطينية في كل المواقع وخاصة القدس، حيث كان يتنافس على الزعامة السياسية فيها عائلة الحسيني والعائلات المتحالفة معها والطرف الآخر عائلة النشاشيبي وتحالفها وخاصة التنافس على المراكز والمؤسسات الحساسة مثل البلدية والمجلس الإسلامي الأعلى الذي كان من نصيب الحسينية، بينما فاز آل النشاشيبي بالبلدية بدعم من الانتداب البريطاني. واحتد الصراع في مختلف قرى ومدن فلسطين على هذا الأساس فهناك قسم مع الحسينية والقسم الآخر من النشاشيبي، ونتيجة للتركيبية الاجتماعية والاقتصادية لهذه الأطراف، حيث كان النشاشيبي من طبقة كبار الملاك والإقطاعيين وسكان المدينة وأصحاب مصالح اقتصادية وكان معظم أنصارهم من هذه الفئات، وتجسد ذلك في مواقف سياسية بخاصة ثورة 1936 ومهادنتهم للانتداب. بينما الحسينية كانت الفئات المناصرة لهم من الفلاحين، وذلك لموقع الحاج أمين في أعلى السلم الإسلامي وأصبحت مواقف الحسينية متفقة مع القطاعات الريفية. هذا الصراع انسحب في تشكيل الأحزاب السياسية، حيث مثل حزب الدفاع خط النشاشيبي، بينما مثل العربي خط الحسينية وأصبح الصراع في شكل حزبي. وأثناء الثورة امتد الصراع بين المجلسيين والمعارضين وأدت هذه الممارسات الى شق الصف الوطني والتأثير على النضال.

نجحت السياسة البريطانية في ضرب التحالف الوطني الفلسطيني القضاء على الثورة بالوسائل السياسية سياسة فرق تسد وتشجيع سياسة التفرقة بين القرية والمدينة من خلال دعم العناصر المدنية والطبقات الاجتماعية العليا ضد القرية، والشرائح الاجتماعية الدنيا. ودعم وتقريب العناصر المعارضة ضد القوى الوطنية، حيث استطاعت في النهاية القضاء على الثورة، وتفتيت المجتمع الفلسطيني اجتماعيا وسياسيا، وإفقاره اقتصاديا من أجل تأسيس الوطن القومي اليهودي، حيث كان المستفيد الأول من القضاء على الثورة المجتمع العربي الفلسطيني ومؤسساته السياسية.

في الختام، يمكن القول أن العلاقة المدنية القروية في خلال ثورة 1936-1939 تراوحت بين الإيجاب والسلب والمد والجزر ومرة لصالح المدينة وتارة لصالح القرية، وعكست ارثا اجتماعيا واقتصاديا طويلا بينهما، حيث مرت هذه العلاقة بمراحل عدة، ابتدأت بسيطرة وتوجيه وقيادة مدنية في المرحلة الأولى وهي مرحلة الإضراب التجاري، حيث أن طبيعته وساحة أحداثه في المدينة، ولأن طابع هذه المرحلة كان يتناسب مع طبيعة ووسائل المدينة السلمية وذات الأصول الدبلوماسية والحاجة إلى الرأي

العام، وحشده من خلال الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، وبحاجة إلى متعلمين. وهذه الوسائل متوفرة في المدينة وليست في القرية.

بينما تميزت المرحلة الثانية بسيطرة ريفية قروية، من خلال الانتقال إلى مرحلة الكفاح المسلح والعمل العسكري. وهذا يتناسب مع شخصية القروي الصلبة والمتضررة من الإجراءات البريطانية، بسبب مصادره والاستيلاء على الأرض، ولطبيعة المنطقة الجبلية الوعرة المناسبة لهذه المرحلة، وسكان القرى أصحاب الأرض والمد الجماهيري، مما ساهم في سيطرتهم على الثورة في هذه المرحلة، وخوض حرب شعبية ضد الانتداب والحركة الصهيونية. ساهمت في رفع رصيدها في قيادة الثورة وخاصة بعد هروب واعتقال الصف الأول من القيادة الفلسطينية المدنية، وعدم قدرة الصف الثاني في القيادة المدنية من الاستمرار وتحمل عبء القيادة، بسبب ضعف الخبرة السياسية لديهم، وعدم رغبة الصف الأول من القيادة المدنية في تسليم الأمور للصف الثاني. مما ساهم في بروز قيادات عسكرية فلاحية على رأس هرم الثورة في الداخل والمشاركة في قيادة اللجنة المركزية للجهاد مثل القائد عبد الرحيم الحاج محمد، وعارف عبد الرازق. عادت القيادة للمدينة في المرحلة الأخيرة من الثورة وخاصة بعد دخول حزب المعارضة وفصائل السلام على الساحة، ومهادنة القيادة المدنية للانتداب، واشتراكهم في مؤتمر لندن، وعدم الحاجة للعمل العسكري في تلك المرحلة. وبالتالي القضاء عليها وعودة الهيمنة إلى المدينة وإنهاء مرحلة السيطرة الريفية للمجتمع الفلسطيني.

الفصل الرابع

دور القرية في الثورة

أ- مشاركة القرية في الثورة: الثقل والتأثير العام .

ب- الدور السياسي للقرية في الثورة.

ج- الدور العسكري للقرية في الثورة.

د- الدور الثقافي والتعليمي للقرية في الثورة .

و- السياسة البريطانية ضد القرية.

هـ- الممارسات الصهيونية ضد القرية .

الفصل الرابع دور القرية في الثورة

أ- مشاركة القرية في الثورة .

برزت هذه الصورة في الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936-1939، من خلال مساهمة سكان القرى الكبيرة بالمشاركة والدعم، والمساندة التي قدمها الفلاحون، بالإضافة إلى حجم الخسارة والتضحيات التي تحملوها، سواء على المستوى البشري، الاقتصادي، الاجتماعي والعسكري خلال الثورة. ويظهر جليا في نسبة سكان القرى 76.5 في المائة من عدد سكان البلاد كلها، ويوجد في البلاد 800 قرية عربية في تلك الفترة.¹²⁸

جدول يبين أعداد السكان في فلسطين¹²⁹

جدول رقم 4/15

السنة	عدد السكان	كثافة السكان	المدن/عرب	الريف/عرب	اليهود	البدو
1922	757182	29 نسمة كم ²	195697	374693	83790	103000
1931	959268	37 نسمة كم ²	262691	465414	164610	66553

تظهر الأرقام (جدول 4/15) مدى نسبة سكان الريف في تلك الفترة التي تصل إلى 70% من سكان المجتمع العربي الفلسطيني. وهذا انعكس في فعاليات ونشاطات الثورة، "كان هناك ستة آلاف تائر من الريف مقابل ألف في المدن، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف غير متفرغ من سكان القرى. وبهذا يظهر الحجم الكبير لمشاركة القرية في الثورة، حتى أنها من خلال الأرقام السابقة، يظهر أنها فاقت النسبة المئوية لسكان الريف والتي كانت 76.5% في بداية الانتداب والتي تناقصت فيما. ووصلت مشاركة أهل الريف إلى 90% من الثوار.

وكما هو معروف، بدأ نشاطهم ومشاركتهم منذ انطلاقتها، وتمثل في عقد المؤتمرات القروية تشكيل لجان قومية قروية في كل قرية أو تجمع قرى. وكان يحضرها أبناء القرى والمدن معا "في منطقة نابلس تشكل (أسبوع القرى) فعقد الاجتماع الأول للقرى في سلفيت بتاريخ 1936/5/2 شارك فيه جموع غفيرة من نابلس وقراها هتفوا بسقوط الاستعمار. وتوجهوا نحو مركز البوليس وسلموه رسالة يرفعها إلى المندوب السامي، وفيها انهم مع قومهم في الإضراب إلى ما شاء الله".¹³⁰ وتلتته مؤتمرات قروية عديدة في قصره، بديا، الفارعة "وأبو غوش بتاريخ 1936/5/18 حضره مندوبون عن ثلاثين

¹²⁸ أبو رميلة، هشام، شهادات عرب فلسطين أمام اللجنة الملكية، شهادة خليل طوطح، ص 159.

¹²⁹ حوراني، فيصل، جذور الرفض الفلسطيني 1918-1948 ص 57-58

¹³⁰ جبارة، تيسير، إضراب عام 1936 دراسة في الأسباب، ص 55.

قرية تحمل نفس المطالب الوطنية والتنديد بالسياسة البريطانية التعسفية¹³¹، كما يعتبر مؤتمر القرى الذي عقد في نابلس بتاريخ 1936/5/11 من المؤتمرات الهامة على صعيد الريف الفلسطيني، حيث اتخذ قرارات هامة منها "ان المجتمعين في هذا المؤتمر يستنكرون إقامة مخافر بوليس في بعض القرى على حساب القرويين وانه إذا لم تقف الهجرة اليهودية فسوف يلجأون إلى الخطوة الثالثة في الإضراب وهو الكفاح المسلح، لأن الخطوة الأولى هي المظاهرات، والخطوة الثانية هي العصيان المدني وعدم دفع الضرائب"¹³²، أظهرت هذه الاجتماعات والمؤتمرات القروية مدى التلاحم بين أبناء القرى والمدن ومشاركة ابن القرية في الثورة منذ البداية. وقد أكد العديد من الشخصيات الوطنية من المدن على أهمية دور القرية وفعاليتها في العمل الوطني، حيث يقول اكرم زعيتر في يومياته "ليس اكذب ولا أنذل من أولئك المستعمرين والصهاينة الذين يزعمون ان حركتنا افندية مع أنها حركة شعبية، عامة، شاملة، قامت على سواعد العمال والفلاحين أولاً. ان القرويين أبدوا في هذه الحركة حمية لا تجاري وحماسة لا تبارى"¹³³. كانت هذه الأقوال رداً على سياسة التشهير والتفرقة بين القرية والمدينة التي حاول الاستعمار البريطاني بثها في فلسطين لإفشال الثورة.

من جهة ثانية لابد من التأكيد إلى الخراب والتدمير والقمع والاضطهاد الذي عانت منه المدينة الفلسطينية كما عانت منه القرية إلا أن نصيب القرى من الاعتقال والاستشهاد والتخريب كبيراً. يظهر من خلال الإحصاءات التي ذكرها اكرم زعيتر في يومياته ص (233، 250، 234). وتظهر صلابة القرويين التي استمرت طوال فترة الإضراب وهم يتلقون أجور ضئيلة ولا يقدمون على النهب والسلب. كان الريف بصورة عامة هو رحم الثورة، وكانت عمليات احتلال المدن المؤقتة في عام 1938 تتم اثر هجمات يشنها الفلاحون من الخارج وهذا يعني ان الفلاحين والقرويين بصورة عامة هم الذين كانوا يدفعون الثمن الأكبر، ففي عام 1938 اعدم عدد من الفلاحين لمجرد حيازتهم أسلحة، وأن استعراضاً سريعاً لجداول أسماء أولئك الذين أرسلوا إلى السجن أو إلى المشنقة ترينا ان الغالبية الساحقة كانوا من فقراء الفلاحين (يمكن الرجوع الى الملاحق رقم 17-18-19)، فعلى سبيل المثال فقد "حكم على جميع سكان قرية عين كارم وعددهم ثلاثة آلاف، ان يسيروا عدة كيلو مترات يومياً يثبتوا وجودهم لدى مراكز البوليس"¹³⁴.

من جهة أخرى، يظهر ان الفارق بين المرحلة الأولى في 1936 وبين تلك التي بدأت في تشرين الأول 1938 لا يتمثل في المدة الزمنية وحجم العمليات فحسب، بل في طابعها المختلف ففي أحداث

¹³¹ جبارة، تيسير، نفس المصدر السابق، ص 55.

¹³² جبارة، تيسير، نفس المصدر السابق، ص 56.

¹³³ جبارة، تيسير، المصدر السابق، ص 85.

¹³⁴ كنفاني، نفس المصدر السابق، ص 96، اكرم زعيتر، يوميات اكرم زعيتر، ص 260، دروزة، عزت، يوميات عزت دروزة حول المعتقلين في سجون الانتداب.

1936، كان الإضراب العام، المقاطعة، محاولات العصيان المدني والنضال ضد اليهود محاور رئيسية في نشاط الثورة الوطنية، وكانت أعمال الثوار أحد مظاهرها فقط، أما أحداث 1938-1939 فقد تركز النشاط الأساسي في أعمال الثوار ومحاولاتها السيطرة على البلد. "في أحداث 1936 رأس الحركة الجماهيرية الافندية والمتقفون من أبناء المدن الذين التفوا حول اللجنة العربية العليا ونجحوا في توجيه حركة العصابات وتوحيدها تحت سلطة القاوقجي، بينما راس الحركة في أحداث 1938-1939 زعماء قرويون".¹³⁵ اتسمت هذه الفترة بحركة هجرة معاكسة من المدن إلى الريف، "حيث انتقلت أعداد كبيرة من الفلاحين الذين يسكنون المدن إلى قراهم وذلك بسبب حوادث العنف وتفشي البطالة في المدن وتفضيل البقاء في قراهم والدفاع عنها وعن أهلها أو الالتحاق بالثوار".¹³⁶

وبهذا نستنتج مدى حجم ومشاركة القرية من خلال النشاطات والفعاليات التي قدموها، واتضح في مدى شدة السياسة البريطانية ضدهم، حيث كانت تهدف إلى إفقارهم لأنهم أدركوا بناء على تجارب سابقة 1917، 27، 35، ان الفلاحين هم الذين يحملون عبء الثورة على كواهلهم وهم الذين يصمدون، لا يعني ذلك "ان أهل المدن لم يخوضوا النضال وكانت طبيعة الحياة في المدينة تختلف، ابن المدينة يجد دائما نقودا في جيبه، بعكس الفلاح الذي يشعر وكان خسارته لحفنة تراب أو حجر تعني كارثة".¹³⁷ كان موقفهم من ممارسات الانتداب والحركة الصهيونية واليهود اشد واعنف وذا حساسية اكبر من ابن المدينة.

كانت هذه الثورة بالأساس انتفاضة فلاحية قادها فلاحون محليون. يساهم فيها متطوعون عرب من خارج فلسطين، ولم تكن الهيئة العربية العليا مسؤولة عن انطلاق الإضراب والثورة، بل ان كليهما انفجرا بصورة عفوية من أرضية النقمة الجماهيرية الشعبية الفلاحية. ولقد اعترف الانتداب البريطاني وعلى لسان العديد من مسؤوليه مثل القائد العسكري هايننج بمدى سيطرة القرية في إدارة شؤون الثورة قائلا "ان نجاح محاكم الثورة وأنظمتها في جباية الضرائب ظاهرة من ظواهر العداء الذي يكنه سكان الريف للحكومة ومنطلقا لخلق جبهة اشده وحده وكتب يقول "ان قواته تواجه شعباً ثائراً، فحتى حين يكون عدد الثوار قليلا نجد من الصعب ان نسيطر على المناطق الريفية، لان القرويين ينتهزون كل فرصة للقيام بأعمال القناصة وأعمال التخريب الصغيرة ووضع الألغام في الطرقات العامة، وهذا الشكل من المقاومة يصعب معالجته لأنه من الصعب جداً ان نعثر على هدف نضربه، بالإضافة إلى ذلك فان عواطف السكان هي مع العصابات لا مع الحكومة البريطانية".¹³⁸ اصبح الثوار في ذروه قوتهم يشكلون السلطة العليا في معظم المناطق الريفية من فلسطين، وكانت لديهم أجهزتهم الشرعية

¹³⁵ مؤسسات الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت، ترجمة احمد خليفة، نفس المصدر السابق، ص 151 .

¹³⁶ صيقل، مي، نفس المصدر السابق، ص 196.

¹³⁷ صايغ، روز ماري، نفس المصدر السابق، ص 65.

¹³⁸ الكيالي، د. عبد الوهاب، نفس المرجع السابق، ص 293 .

والإدارية وانسجاما مع جذورهم الطبقية والقومية. وهذه الإجراءات في معظمها لصالح الريف وتنبع من قيادات ريفية سيطرت على الثورة في مراحلها الأخيرة. وتظهر الحجم الكبير للقوية والريف في قيادة وإدارة دفعة العمل الوطني والثورة في فلسطين.

ب- الدور السياسي للقوية في الثورة.

من المتعارف عليه، ان الدور السياسي للقوية الفلسطينية خلال العصر الحديث هامشيا واقتصر على صعود بعض الأشخاص إلى الطبقة السياسية المسيطرة في المجتمع، ومعظم هؤلاء الأشخاص من عائلات إقطاعية وعشائرية. لم يكن للقوية دور سياسي في الفترة العثمانية والانتداب البريطاني الأولى، حيث كانت السيطرة للعائلات المدنية من الافندية والإقطاعية، ويظهر ذلك من خلال المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي برزت في تلك الفترة، فمجلس المبعوثان والولاية وغيرهم، كانت من العائلات المدنية.

وفي الفترة الانتدابية قبل الثورة تشكلت القيادة السياسية العربية من شخصيات مدنية منتفذه بقيادة موسى كاظم الحسيني، واستمرت هذه القيادة في إدارة شؤون البلاد حتى وفاة رئيسها موسى كاظم الحسيني في العام 1934. كانت هذه القيادة تقليدية ومهادنة وفي موقف تصالحي مع الانتداب البريطاني والدول العربية المجاورة، وحتى القيادة الصهيونية، يعتمد الذين يطرحون هذا الرأي على مهادنة الانتداب البريطاني منذ انعقاد المؤتمر العربي الفلسطيني الأول الذي عقد في العام 1919، علخالاف في وجهات النظر بين الوجهاء وأصحاب الأملاك المتقدمين وبين الشباب ، حيث تكون المؤتمر من 27 عضو من الجمعيات الإسلامية والمسيحية. وفي تقرير قدمه الكابتن كامب " أن 11 عضوا من هؤلاء المندوبين كانوا موالين لبريطانيا واثنين موالين لفرنسا واثنين بلا ارتباطات سياسية معينة. أما الاثنا عشر عضوا الباقون فقد كانوا من أنصار الوحدة العربية"¹³⁹، حيث يظهر التركيبة المهادنة للقيادة الفلسطينية في فترة العشرينات والتي لم يكن لديها معرفة ودراية بطبيعة الانتداب البريطاني ودوره في ضرب الأهداف الوطنية الفلسطينية والعربية في المنطقة وهذا التهاون يعود لطبيعة التركيبة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المنطلقة من مصالحها الاقتصادية في السيطرة على قيادة المجتمع الفلسطيني. رغم ذلك تبقى هذه الطروحات وجهات نظر بحاجة إلى دعم وإسناد لتأكيد مدى صحة هذه الطروحات وخاصة في العلاقة مع القيادة الصهيونية التي تؤكد القيادات الصهيونية في أدبياتها، كان هناك اهتمام بالمصالح الخاصة للطبقة السياسية العربية اكثر من اهتمامها بمصلحة المجموع العام ومصلحة الوطن.

ساعدت تصرفات وممارسات هذه القيادة السياسية على المستوى السياسي والاقتصادي وخاصة عمليات بيع الأراضي للحركة الصهيونية من طرف العائلات المالكة سواء من داخل فلسطين أو

خارجها، في تهجير الفلاحين القاطنين على هذه الأرض، حيث زاد من نقمة هذه الفئات الاجتماعية على القيادة السياسية وتحولها إلى البحث عن قيادة جديدة، كانت هناك محاولات أخذت تشق طريقها وخاصة القيادة الدينية المتنورة ممثلة بالشيخ عز الدين القسام، والقيادة الثقافية الشابة ذات التوجهات الاستقلالية ممثلة بالشباب اكرم زعير، محمد عزت دروزه، وغيرهم من الشباب الذين تشكلت منهم اللجنة القومية الأولى في نابلس، وأخذت تبرز على الساحة في بداية الأحداث والثورة في أيار عام 1936. إلا ان هذه القيادة الشابة لم تستطع الاستمرار في إدارة دفة الأمور ذلك لتجربتها القليلة، وعدم استعدادها لمواجهة القيادة التقليدية ممثلة بقيادة الأحزاب والعائلات، حيث تشكلت الهيئة العربية العليا المكونة من عشرة أشخاص من الأحزاب وقيادات العائلات وهم أعضاء اللجنة العربية العليا:

1 -الحاج أمين الحسيني- رئيسا- رئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

2 -أحمد حلمي عبد الباقي أمينا للمال.

3 -عوني عبد الهادي أمينا للسر.

4 -يعقوب فراج -مسيحي

5 -عبد اللطيف صلاح - رئيس حزب الكتلة الوطنية.

6 -الفرد روك-مسيحي

7 -جمال الحسيني - رئيس الحزب العربي الفلسطيني.

8 -د. يعقوب الغصين - رئيس حزب الشباب.

9 -د. حسين الخالدي - رئيس حزب الإصلاح.

10 -راغب النشاشيبي - رئيس حزب الدفاع.

"وبعد اعتقال عوني عبد الهادي انتخبت اللجنة العليا الأستاذ عزة دروز خلفا له، ولكن السلطة اعتقلته وانتخب مكانه فؤاد سابا¹⁴⁰". وكانت هذه التركيبة من رؤساء الأحزاب العربية الموجودة في تلك الفترة مثل الاستقلال، العربي، الدفاع ومن الطوائف الدينية المسيحية ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى وبالإضافة إلى كونهم من كبار الملاك والبرجوازية والعائلات في المجتمع الفلسطيني، حيث استمرت في قيادة الجماهير العربية الفلسطينية طوال المرحلة الأولى من الثورة وهي فترة الإضراب الشهير الذي استمر لمدة ستة شهور بالاشتراك مع اللجان القومية التي تشكلت في كافة المدن والقرى. يمكن القول، أنه في فترة الإضراب والمرحلة الأولى من الثورة اندمجت الفئات السياسية كلها تحت الراية الوطنية الواحدة، وقد شمل الاندماج المواطنين جميعا بلا استثناء وعلى سبيل المثال

¹⁴⁰ -السفري، عيسى، نفس المرجع السابق، ص 23.

"القرويون الذين كانوا يؤيدون راغب النشاشيبي أو باللغة المتداولة (المحسوبين عليه) تلقوا منه الأوامر بالتبرع لجماعة المفتي وبيإواء المجاهدين وإخفاءهم"¹⁴¹. وكانت التجربة الأولى للفئات والطبقات الاجتماعية والمناطق الريفية للتواجد على مسرح الأحداث وقيادة العمل السياسي في فلسطين من خلال اللجان القومية في القرى، وإن كان بشكل غير مباشر وفاعل في بعض الأوقات والمراحل، حيث تم فرز لجان على مستوى المناطق ومن ثم على مستوى مؤتمر اللجان القومية الذي "عقد في القدس بتاريخ 7/أيار 1936، والذي أعلن فيه العصيان المدني وعدم دفع الضرائب للانتداب"¹⁴². ومنذ ذلك التاريخ أخذت القيادة السياسية في فلسطين تدخل في مرحلة جديدة ممثلة بدخول عناصر وتيارات من فئات وطبقات ومناطق جغرافية مختلفة، وإن كان هذا التواجد في البداية بشكل ضعيف أو تابع، ولم يكن التغيير جذري على شكل القيادة السياسية، حيث حافظت القيادة التقليدية من العائلات والأفندية المدنية على مواقعها ممثلة بالهيئة العربية العليا مثل الحاج أمين الحسيني، راغب النشاشيبي، المصري وغيرهم من الشخصيات. رغم ذلك يعتبر دخول عناصر ريفية قروية إلى الصف الثاني في الطبقة السياسية الفلسطينية في تلك المرحلة ثورة على مستوى الوطن العربي، الذي كان يعيش مرحلة سيطرة الإقطاع والبرجوازية الكبيرة على دفة الحكم في مختلف هذه الدول مدعوما بالاستعمار.

إن الشكل والبروز الأول للقيادة السياسية الريفية كان من خلال اللجان القومية. وكان دورها السياسي مشتركاً ومتحدداً مع القيادة في المدن، ولم تكن تستطيع هذه القيادة تجاوز اللجان القومية وبرز ذلك بوضوح في عملية وقف الإضراب، حيث اشترطت اللجنة العربية العليا بالموافقة على وقف الإضراب بموافقة اللجان القومية، وذلك في البيان الذي أصدرته في 13 أغسطس 1936 "الموافقة على وساطة الحكومة العراقية وأصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب وأمرائهم بكل ارتياح" وإنها ستعرض الأمر على الأمة بواسطة لجانها القومية في مؤتمر عام لأخذ رأيها والحصول على موافقتها"¹⁴³، هذا البيان يؤكد على حقائق أهمها:

- 1- الدور الكبير والمؤثر للثورة بشكل عام ولقيادتها الجديدة الشابة من الفلاحين والمثقفين ولجانها القومية وبداية بروز وضع قيادي جديد على الساحة الفلسطينية.
- 2- الخوف الشديد للقيادة التقليدية من هذه القيادة الجديدة، حيث كانت تخشى القيادة التقليدية فقد نفوذها وسيطرتها في فلسطين. وحاولت دائماً احتواء الثورة والسيطرة عليها حفاظاً على موقعها ومصالحها التي أصبحت تهددها القيادة الجديدة. لم تقتصر القيادة السياسية مع بداية الثورة على

¹⁴¹ الحوت، بيان نويهض، نفس المرجع السابق، ص 401.

¹⁴² السفري، عيسى، نفس المرجع السابق، ص 40، زعيتر، اكرم، يوميات اكرم زعيتر، ص 88.

¹⁴³ حلة، د. محمود كامل، نفس المرجع السابق، ص 645.

اللجنة العربية واللجان القومية بل تواجدت مؤسسات قيادية أخرى نقابية، مهنية، كشفية وتشكل الحرس الوطني، ومن ثم القيادة العسكرية للثورة، تكونت في البلاد جماعات كشفية المظهر، سياسية في الحقيقة، ويظهر ذلك في قول السيد عبد الرحمن علي "انه قبل أسبوعين من الثورة اجتمعنا في البيرة (قرية شرقي رام الله) واخترنا قيادة كشفية في الظاهر، سياسية في الحقيقة والخفاء مستقلة عن القيادة التقليدية للحركة الوطنية، وتكونت القيادة من بهاء الدين الطباع (سوري) رئيسا ومن كل قرية قائد الكشافة".¹⁴⁴ ويظهر من خلال أسماءهم انهم فلاحون، مزارعون، أصحاب بقالات، ويضاف إلى ذلك القيادات الاجتماعية والعشائرية في الريف ممثلة بالمختار ولجنة الختيرية، زعماء العائلات التي كانت ذات صلات وعلاقات وترتبط مع القيادات العائلية والإقطاعية في المدينة، وترابط بعض المخاتير والعائلات الريفية مع عائلات المدينة فبعضهم مع الحسينية، وآخرون مع النشاسيبية، عبد الهادي المصري كل حسب منطقته، "كان هناك علاقات مصلحة اقتصادية واجتماعية وتبادل مصالح ومنافع، وبرز في تشكيل المجالسية والمعارضين".¹⁴⁵

ولأول مرة، اصبح هناك تغيير في طبيعة القيادة السياسية في فلسطين عما كانت عليه في السابق خاصة فترات الاضطرابات والعنف سنة (1921، 1920، 1929، 1933) ذات الصبغة المدنية، و لم تقم القيادة الوطنية باشتراك الفلاحين بشكل فعال، مما كان له اثر في عدم تتطور الاضطرابات في المدينة إلى ثورة وطنية، لكن الوضع تغيير في عام 1936، فقد تم تنظيم الفلاحين بشكل ناضج وفعال، مما ترك له تأثيرا كبيرا في مجريات تصعيد الثورة وتفعيلها وامتدادها إقليميا وتجذرها اجتماعيا واقتصاديا من خلال سيطرة الفلاحين والريف على الثورة في المراحل اللاحقة مع انتشار الثورة في الريف الفلسطيني .

وبلاحظ ان فعالية الفلاحين في الثورة والقيادة يعود إلى مجموعة من الأسباب في مقدمتها:

- 1 كانوا اكثر الطبقات والفئات الاجتماعية المتضررة من إجراءات الانتداب والصهيونية من خلال فرض الضرائب الباهظة، وانتزاع الأراضي وتهجيرهم من أرضهم.
- 2 تنظم الفلاحين كان على صلة وثيقة بحقيقة كون الحاج أمين الحسيني مسئولا دينياً، كان الدين هو المؤثر السياسي على الفلاحين لذلك كانت قوة الحاج أمين متركزة في الريف اكثر منها في

¹⁴⁴خلة، د. محمود كامل، نفس المرجع السابق، ص 607 .

¹⁴⁵الحوت، بيان نويهض، نفس المرجع السابق ص 401 .

المراكز المدنية" ¹⁴⁶، واستطاع في مطلع الثورة قيادة الطرفين بشكل فعال وجيد ظهر من خلال نجاح الإضراب والكفاح المسلح في المرحلة الأولى.

3 يعتبر تسارع الأحداث وخاصة بعد صدور تقرير لجنة بيل، والقاضية بطرح فكرة تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، آثار حفيظة العرب الفلسطينيين ورفضهم لقرارات اللجنة البريطانية. والعودة إلى الكفاح المسلح ضد الانتداب واليهود. بدأت من خلال عملية اغتيال اندروز حاكم الجليل والشمال على يد مجموعة من أتباع القسام، اعتبرته السلطات الانتدابية حادثاً خطيراً. وأصدرت قرار بحل وإخراج اللجنة العربية العليا وغيرها من المؤسسات الفلسطينية عن القانون، ونفي زعماء اللجنة العربية العليا إلى الخارج، هذا الوضع أدى إلى فراغ في القيادة السياسية الفلسطينية العليا وخصوصاً بعد خروج المفتي إلى لبنان، حيث انتهت اللجنة العربية العليا كقيادة سياسية في الداخل "ففي غياب قيادة البلاد السياسية وبمغادرة القاوقجي تفتت الثورة العربية في فلسطين، وأصبحت توجه الثورة من قبل قادة محليين معظمهم من الريف، وبذلك دخلت القيادة السياسية الفلسطينية مرحلة جديدة تختلف اختلافاً كبيراً عن السابق، حيث أصبحت السلطة السياسية بيد فئات اجتماعية جديدة لم تتسلم أمور السلطة في السابق، ولا تتمتع بخبرة وتجربة جيدة، كما أنها حملت مفاهيم آراء وتراث ثقافي وفكري جديد ينبع من الأصول الاجتماعية والطبقية التي خرجت منها هذه القيادة وهي الريف والقرية بعد أن كانت في السابق مدنية، وما يحمله ذلك من تغييرات في سياسات وتوجهات واهتمامات القيادة الجديدة، والتي عانت من عسف، ظلم، سيطرة العائلات، الإقطاع والفئات العليا في المدينة. ووجدت الفرصة مؤاتية لاتخاذ إجراءات وسن قوانين وأنظمة تصب لصالح الفئات الاجتماعية والطبقية التي تمثلها، حيث يعتبر د. واصف عبوشي أن وضع ثورة 1936 أبرز مدى تنظيم الفلاحين "فقد تم تنظيم الفلاحين بشكل ناجح، وليس من السهل دائماً تنظيم الفلاحين فهم ينزعون إلى المحافظة والجمود السياسي" ¹⁴⁷. وبالتالي استطاعت القيادة الجديدة إدارة دفعة الأمور بشكل جيد.

تجاوزت القيادة الميدانية للثورة القيادة التقليدية الموجودة في الخارج. وشكلت تحدياً لها وتجربتها من صلاحياتها، حيث أن الزعماء السياسيين على اختلافهم كانوا في الحقيقة يحاولون توجيه الثورة بشكل يحقق لهم مكاسب سياسية دون الانخراط في العنف. ولعل هذا ما يفسر مغادرة معظم زعماء فلسطين، عندما بدأت الثورة تنحو باتجاه العنف، وبروز قادة ميدانيون جميعهم تقريباً من أوساط

¹⁴⁶ عبوشي، واصف، نفس المرجع السابق، ص 165. كما تحدث العديد من الرواة عن دور وأهمية الحاج أمين الحسيني في قيادة الثورة منهم محمود صالح محمود، 75 سنة مقابلة لقاء بتاريخ 2003/7/17 وعبد الله سلامة مصطفى، 75 سنة مقابلة تاريخ 2003/8/15 المزرعة القبلية/ رام الله .

¹⁴⁷ عبوشي، د. واصف، نفس المرجع السابق، ص 165 .

فلاحية، ومع ذلك "حاولت الزعامة الفلسطينية خارج البلاد استغلال الثورة استغلالاً وطنياً يؤدي إلى إقامة حكومة وطنية على الرغم من ان التشكيلات التي اتخذتها الثورة، جاءت في بعض وجوهها تحدياً لسلطة الزعامة السياسية الفلسطينية وتجريداً لها من صلاحياتها بل أكثر من ذلك،" كانت أوساط الثورة وقواعدها تحمل على سكان المدن وترى في أفعال تجارهم وزعمائهم سبباً في إضاعة الأرض وإخراج الفلاحين من قراهم ومن ثم استغلال قوة عملهم المدن " .¹⁴⁸ أدت هذه الصورة إلى مواقف سلبية ضد سكان المدن من بعض القيادات الميدانية، مما كان له اثر سلبي على مجريات دعم الثورة. من جهة ثانية، يلاحظ ان التشكيلات الفلاحية، لم تتشكل لديها خبرات سابقة في العمل الجماعي نتيجة فترة الانعزال الطويل التي عاشتها تحت نظام النمط الإقطاعي العثماني". لذا طغى طابع العشائرية على نشاطها، مما غيب الترابط بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي بين بقاء وتعزيز العائلة أو العشيرة، وبين بقاء الوطن وانتصار قضيته"¹⁴⁹ . وبهذا لم تخرج القيادة السياسية الجديدة عن الإطار العام بشكل ثوري، ولم تكن تغيراتها ثورية جذرية، إنما قامت ببعض النشاطات والفعاليات لصالح الفئات التي ولدت منها لرفع الظلم عنها في وجه الطبقات والقيادات التي سيطرت على الساحة السياسية سابقاً.

والتزاماً من القادة وبكونهم من الفلاحين فقد أعلنوا "رد تأجيل دفع الديون وإعلان المديونية لمدة سنة، وإبلاغ هذا القرار للمصارف العربية، الأجنبية، الدانين والمدنين، وإحالة كل من يخالف أو يحاول الحجز أو بيع أراضي المدنين أو أموالهم المنقولة أو غير المنقولة إلى المحكمة العسكرية ليحاكم بجرم عصيان الثورة الوطنية"¹⁵⁰ ، كما أصبحت الكوفية والعقال رمزا للجهاد في فلسطين وذلك "إعلاناً لتضامن سكان البلاد التام في الجهاد رمزا لكون جميع من في البلاد ثائرا ابتداء من 27 أغسطس 1938، وذلك بدلا من الطربوش الذي كان استعماله سائدا في فلسطين"¹⁵¹ . يلاحظ أن سيطرة القيادات الفلاحية على مجريات الأمور امتد إلى المدن أيضا وحمل في طياته الكثير من الأمور، وترك تأثيره حتى على الفئات الراديكالية في المدينة القريبة من الثورة كانت أغلبية الشخصيات البارزة في المعسكر الراديكالي مبعده تاركة الساحة خالية لكوادر الطبقات الدنيا والفلاحين... الأمر الذي حول المسؤولية إلى أيدي قادة فلاحين أقل رقياً سياسياً واجتماعياً، في الواقع كان الفلاحون يسيطرون بالكامل تقريبا على الثورة فيما البرجوازية المدينية الوسيطة والدنيا أصبحتا مستلبتين بالتدريج حتى ان الأشد راديكالية في أوساط الوطنيين المدنين حصروا دعمهم بالنشاط

¹⁴⁸ شبيب، د. سميح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948، ص 97 .

¹⁴⁹ شبيب، د. سميح، نفس المصدر السابق، ص 98 .

¹⁵⁰ حلة، د. محمود كامل، نفس المصدر السابق، ص 710 .

¹⁵¹ حلة، د. محمود كامل، المصدر السابق، ص 710 .

التنظيمي واللفظي ونادرا ما شاركوا في القتال الفعلي " ¹⁵² كانت الثورة تستقطب المزيد من الثوار وقد كان معظمهم ومعظم قادتهم من القرويين إلا ان الثورة في مرحلتها الأولى والثانية استقطبت عددا من المثقفين والجامعيين الذين التحقوا في الجبال وقاموا بمهام مستشارين في الإدارة والقضاء، "مثل بهاء الطباع: سوري يعيش في القدس كان مسؤولا عن تأمين السلاح والتمويل، وقد كان يعمل مدرسا وأحد قادة الحركة الكشفية العربية كما عمل منير الريس رئيسا لمحكمة الثورة في مراحلها الأولى" ¹⁵³ "بالإضافة لجنة الجهاد المركزية مثل حسن أبي السعود، منيف الحسيني، اسحق درويش، عزت دروزة، معين ماضي، د. أمين رويحة" ¹⁵⁴ ومنهم أيضا "واصف كمال، ممدوح السخن، فريد يعيش، رشاد الشوا، محمود علاء الدين، سليم الحسيني، أكرم الجاعوني، مصطفى الطاهر" ¹⁵⁵، كما كان هناك مجموعة من الشباب المثقف من مدينة القدس، "القائد عبد القادر الحسيني، بهجت أبو غربية، سامي الأنصاري، فوزي القطب، صبحي أبو غربية، عوني الشهابي، أحمد الجاعوني، والحاج يوسف الشرفا" ¹⁵⁶. تاركين القيادة العليا للعسكريين من الفلاحين. ما كان له اثر كبير في توجيهه وعقلانية والنشاطات التي قام بها الثوار.

وبهذا يمكن القول، أن القرية أصبحت مركز القرار السياسي الميداني الفعال في فترة الثورة، وأصبحت المدينة تابعة وملحقة في أفعالها وقراراتها وخاضعة لسيطرة القرية، وذلك لتواجد وسيطرة الثوار على معظم الريف الفلسطيني عسكريا، وإداريا، واستطاع الثوار السيطرة قضائيا من خلال تشكيل المحاكم الثورية وتعيين القضاة لفض النزاعات في مختلف القضايا، التي تخص أبناء الشعب الفلسطيني الاجتماعية والاقتصادية .

أصبحت القيادة السياسية العليا الموجودة في الخارج، ذات تأثير ضعيف على القيادة في الداخل وذات دور توجيهي ونصحي وإرشادي ولا تملك فرض القرارات وتنفيذها على القادة العسكريين في الميدان ويظهر عجز هذه القيادة في عدم القدرة على تشكيل جهاز عسكري مركزي وقيادة عسكرية موحدة، وكان العديد من القادة الميدانيين يصدر بيانات مطلقا على نفسه صفة القائد العام ولم تحل هذه القضية إلا بعد مؤتمر دير غسانه الذي عقد في أواخر عام 1938، وتم اعتماد عبد الرحيم الحاج محمد كقائد عاما للثورة، مع استمرار عبد الرازق، وغيره في التصرف بشكل فردي وتحدي قرارات القائد العام، مما كان لها تأثير سلبي على مجريات الأحداث وخاصة الاغتيالات السياسية، الاعدامات دون محاكمة وفرض إتاوات على السكان، مما كان له اثر كبير في التأثير على مجريات الثورة فيما بعد.

¹⁵² صيقل، د. مي إبراهيم، نفس المرجع السابق، ص 306 .

¹⁵³ رجب، يوسف، نفس المرجع السابق، ص 49.

¹⁵⁴ رجب، يوسف، نفس المصدر السابق، ص 50.

¹⁵⁵ الحوت، بيان نويهض، نفس المصدر السابق، ص 381.

¹⁵⁶ الحوت، بيان نويهض، نفس المصدر السابق، ص 381 .

في الختام يمكن القول، رغم السيطرة العسكرية والسياسية إلا ان ذلك لم يتبلور في شكل مؤسسات سياسية ذات طابع أو سيطرة فلاحية، حيث بقيت المؤسسات الرئيسية خاصة اللجنة العربية العليا ولجنة الجهاد المركزية المشكلة في الخارج بأيدي أهل المدينة، ولم يكن بها سوى عضو قروي واحد في فترة من الفترات، وهو عبد الرحيم الحاج محمد، حيث كان أعضائها من المدينة مثل دروزه، الحاج أمين الحسيني.

وبهذا كان الدور السياسي للقرية ليس على أصول راسخة وخطوات مدروسة، بل كان عشوائياً وعفويًا، برز في عودة سيطرة المدينة على مجريات الأمور السياسية بعد الثورة، وان جرة قلم أو قرار صادر عن الحاج أمين الحسيني يوقف الثورة وقبول القادة الريفيين بذلك بسهولة، يعكس عدم الوعي السياسي ووضوح الدوافع لدى القيادات الفلاحية بقبول هذا الوضع . وبذلك لم يكن هناك وضوح فكري، رؤية سياسة معينة لدى قيادات الطبقة الدنيا من العمال والفلاحين و سهولة الخضوع مجدداً لقيادة المدينة، ويساهم في ذلك التركيبة العشائرية والارتباطات المصلحية بين الطبقات والقيادات المتنفذة في المجتمع الريفي خاصة ملاك الأرض الإقطاعيين والمخاتير مع أبناء وعائلات المدينة مثل الحسيني، النشاشيبي، المصري الدجاني، حيث المصالح المشتركة بين عائلات القرى وعشائرها الكبيرة وبين عائلات المدن.

شخصية المختار

المتعارف عليه أن التنظيم الإداري في القرية كان يتكون من المختار فالشخصية الإدارية الرسمية والرفيعة بالحكومة والمعينة من طرفهم كحلقة وصل بين سكان القرية والسلطات الرسمية. كان يتمتع بشخصية اعتبارية قوية، وعادة يكون من أكبر العائلات عددياً واقتصادياً واجتماعياً ويتمتع بمركز اجتماعي واقتصادي كبير وقوة النفوذ واتخاذ القرار عن سكان القرية في الكثير من القضايا، وكان يساعده في الفترة الانتدابية مجموعة من الأشخاص أصحاب النفوذ والثراء في القرية يطلق عليهم اسم (مجلس الختارية)، وكان هذا المجلس مع المختار يشكل رأس الهرم الإداري وحتى السياسي والاجتماعي والاقتصادي في القرية والعلاقة مع السلطة الرسمية وقيادات المدينة.

تعرضت هذه المؤسسة الإدارية في القرية الى الضغط والتضييق والصراع بين سلطة الانتداب البريطاني وبين الثوار حيث ضغطت كل جهة على المختار، فالسلطات البريطانية شددت على ضرورة التزام المختار بالوقوف إلى جانب الانتداب. "وعدم مساعدة الثوار وضرورة الإبلاغ عنهم في حال قدومهم إلى القرية فوراً، وبالتالي الوقوف ضد الثورة والثوار"¹⁵⁷. بينما طلبت وضغطت الثورة على المخاتير بالوقوف إلى جانب الثوار وتقديم كل العون لهم حتى وصلت حدود التهديد بالعقاب للمخالفين

لأوامر الثورة، حيث وقع المختار بين المطرقة والسندان طوال الثورة وتذبذبت مواقفهم بين المد والجزر بين الطرفين حسب القوة والضعف لكل طرف، وعندما اشتدت شوكة الثورة في عام 1938م وقف المختار مع الثورة وتراجع التأييد في نهاية عام 1939 للثوار لصالح الانتداب البريطاني. هذا الوضع أدى إلى قيام الثورة بمعاقبة عدد كبير من المختار بأساليب مختلفة وصلت إلى حد الإعدام لهم كما في الجدول التالي¹⁵⁸:

جدول رقم 4/16

الإسم	البلدة	تاريخ التصفية
مختار قرية سحماتا	سحماتا	1937/12/18م
ابراهيم أحمد سلمي	قرية جميل / غزة	أوائل 4 / 1938م
خليل ازמיד	آكرت - عكا	النصف الأول 1938/4م
مختار عين غزال	عين غزال	أوائل 5/1938م
دياب الدنوف	ميثلون	1938/5/25م
مختار قرية عقيل	عقيل	1938/5/27م
مختار قرية سكة	سكة	1938/5/27م
مختار قرية صيدا	صيда	1938/5/29م
محمد حسين العلي	بيت ايبا	1938/7/21م
مختار قرية الرينة	الرينة / عكا	أوائل 9/1938م
مختار بيت عسير	بيت عسير - القدس	1938/9/1م
العبد ابو حسب الله	سكنة ابو كبير / يافا	1938/9/1م
مختار قرية قارة	قارة	1938/2/3م
عبدالحميد عبدالجوده	رام الله / برقا	اوائل 2 / 1939م

ج- الدور العسكري للقرية في الثورة.

1- التوازن العسكري بين القرية والمدينة:

تعتبر العلاقة العسكرية بين الريف والمدينة في الثورة من أكثر العلاقات وضوحاً تلاحماً وبرزوا بين الطرفين مع تبادل للأدوار، من حيث الشدة، السيطرة، والمكان والزمان. رغم أن انطلاقاً الثورة بدأت بعمل عسكري في الريف (حادثة نور شمس) إلا أن ردود الأفعال انطلقت من المدينة، حيث بدأت من خلال اشتباكات مع اليهود والبريطانيين، ومن ثم إعلان الإضراب في يافا وتشكيل اللجان القومية لقيادة العمل الوطني، وخاصة الإضراب الشهير الذي استمر حوالي 6 شهور، ومع تحول الإضراب إلى

¹⁵⁸ شبيب، د. سميح، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، ص 36-37.

عصيان مدني وعدم الالتزام بدفع الضرائب، التعاون مع سلطات الانتداب وتطور في عمليات عسكرية ضد الأهداف البريطانية واليهودية. وبداية تشكيل الفصائل العسكرية ودخول قوات القاقجي وغيره من العرب.

رغم ذلك بقي طابع الثورة في المرحلة الأولى (مرحلة الإضراب) هو طابع مدني سياسي، كانت السيطرة فيه للجان القومية في المدن بشكل رئيسي وللقيادة السياسية التقليدية ممثلة اللجنة العربية العليا المكونة من الطبقة العليا وكانت المدينة مسيطرة على القيادة السياسية والعسكرية. واقتصرت النشاطات على عمليات بسيطة وذات تقنية عادية وغير متطورة لطبيعة المرحلة النضالية الحديثة للفلسطينيين. ولعدم توفر وسائل قتالية متطورة.

كان الدور للجان الأحياء واللجان الشعبية في قيادة العمل الوطني في تلك المرحلة المشكلة من فئات المثقفين والبرجوازية الوسطى والصغيرة، القيادة التقليدية العليا ذات الأصول المدنية، رغم ذلك فقد كانت مشاركة القرية في هذه المرحلة كبيرة وكان لسكان القرى النصيب الأكبر في تأييد الثورة وتغذيتها فقد اشتركوا في معظم الأعمال الثورية وناصروها بكل ما وصلت إليه أيديهم.

يلاحظ أن الثورة أخذت في دور التنظيم مع دخول فوزي القاقجي فلسطين وتشكله القيادة العامة للثورة وانضمام معظم الثوار في شمال فلسطين وقياداتهم تحت لواءه وخاصة عبد الرحيم الحاج محمد، فيصل عبد الرازق، فخري عبد الهادي وتشكيل محكمة الثورة، حيث انضمت في القيادة والمحاكم العناصر المدنية والقروية في الثورة مع قيادة خارجية ممثلة في القاقجي بعض العرب القادمين معه. كانت معظم عناصر الثورة كانت من أبناء القرى. كما أن مسرح العمليات والنشاطات الأخرى كانت في الريف.

أن التركيبة الاجتماعية للقوات والعناصر المشاركة في الثورة مرت في عدة مراحل، ففي بداية الثورة ومرحلة الإضراب، كان معظم النشيطين في مجال التنظيم والتحريض على الثورة من أبناء المدن ومن الزعماء النشيطين سياسياً والذين كانوا بمعظمهم من أبناء الذوات والمثقفين " ¹⁵⁹ ويعود غياب أبناء الفلاحين في بداية الثورة إلى العوامل والأسباب التالية:

- 1 طبيعة النشاطات والأشكال النضالية التي مورست كانت سلمية الطابع مثل المظاهرات والتحريض والدعاية وأعمال تنظيمية ذات طابع حزبي وهذه الأعمال غريبة وغير معروفة لأبناء القرى والفلاحين.
- 2 صادف انطلاق الإضراب والثورة موسم الحصاد في القرية، الذي يحتاج لكافة طاقات الأسرة لإنجازه وخاصة الشباب. ولهذا لم يشاركوا في الأعمال النضالية.

¹⁵⁹كبيها، مصطفى داوود، ثورة 1936 دوافعها وانعكاساتها ص 82.

3 كانت الأعمال النضالية تتركز في المدن والمراكز البلدية، وبالتالي لم تحظى القرية بالدعاية والتحريض المناسب مما أبعدها عن الثورة .

ساهمت مجموعة من الفعاليات في زيادة المشاركة العسكرية لأبناء القرى منها:

(ا) عملية اعتقال القيادات السياسية النشيطة في المدن وخاصة أعضاء اللجان القومية إلى تشكلت مثل أكرم زعيتر، أميل الغوري، حيث بلغ عدد المعتقلين حوالي 430 شخص من مختلف مناطق فلسطين¹⁶⁰.

(ب) اعتقال معظم القيادة السياسية المدينية في فلسطين مما شكل فراغ كبير على مستوى القيادة السياسية والعسكرية في فترة الثورة. وفرض ضرورة ملء الفراغ ولم يكن بارز في تلك الفترة سوى قادة الفصائل العسكرية من أبناء القرى والريف، حيث شغرت هذا الموقع.

(ج) وساهمت طبيعة المناطق القروية الوعرة والحياة الخشنة في الجبال ملائمة لأبناء القرى أكثر من المدن وبالتالي ساهم في نقصان أعداد أبناء المدن وزيادة أعداد الفلاحين، حيث استمرت سيطرة الريف على العمل العسكري طوال المراحل اللاحقة في الثورة وحتى نهايتها وقد ذكرت تقديرات عديدة بالنسبة لأرقام وأعداد المقاتلين في الثورة ونسبه، بالنسبة إلى الرقم الدقيق للثوار المتفرغين من الثورة فهناك العديد من الأرقام إلا أن بعض المصادر " تقدر عدد الثوار الذين اشتركوا في ثورة 1936-

1939 بما يتراوح بين تسعة وعشرة آلاف تائر. من هذا العدد ثلاثة آلاف تائر تفرغوا كليا لأعمال العصابات وألف تائر تفرغوا للعمل في المدن وستة آلاف تائر من سكان القرى والبادية لم يتفرغوا للقتال كليا بل كانوا يقدمون بالنجدة للثوار " ¹⁶¹ وبهذا يتضح الترابط والتواصل بين القرية والمدينة ويظهر ذلك من الهيكلية العسكرية التي سادت في الثورة، حيث كانت تتكون من اللجنة المركزية للجهاد الموجودة في دمشق والمشكلة من عدة أشخاص وهم من المدن والقرى "وتشكلت من محمد عزت دروزة، معين الماضي، أكرم زعيتر، وانضم إليهم في بعض الأحيان اسحق درويش، جمال الحسيني و خليل العيسى (أبو إبراهيم الكبير) ¹⁶² يظهر من هذه الأسماء أن معظمها من أبناء المدن ولا يوجد فيها سوى شخص واحد هو خليل العيسى من أصل قروي.. بينما تشكلت قيادة المناطق والتي قسمت إلى ستة مناطق وكانت هذه المناطق تشمل (منطقة حيفا، منطقة القدس، منطقة نابلس، منطقة الخليل، منطقة يافا، منطقة غزة) ¹⁶³ وقسمت كل منطقة إلى عدة مناطق محلية، وكانت

¹⁶⁰ دروزة، محمد عزة، مذكرات محمد عزة دروزة، مجلد 2، ص 72-80.

¹⁶¹ كيبها، مصطفى داوود، نفس المصدر السابق، ص 53.

¹⁶² د. سرحان، نمر و د. مصطفى كيبها، نفس المرجع السابق، ص 23.

¹⁶³ حسونة، إبراهيم خليل، الثورة الشعبية الفلسطينية: ثورة 1936 نموذجاً، ص 80.

القيادة لقادة محليين من القرى "فعلى سبيل المثال قسمت مهمات منطقة حيفا إلى خمس قيادات محلية على النحو التالي جبل الكرمل، قضاء عكا، قضاء صفد، قضاء الناصرة وقضاء طبريا.¹⁶⁴ كانت التشكيلة السائدة للمنطقة تتكون من القائد العام ويعاونه من 3-5 ضباط يتولون قيادة الأفرع مثل شؤون العمليات، شؤون الأفراد، المخابرات، الشؤون المالية والتموين، وكانت التشكيلة السائدة بين الثوار على مستوى الفصيل الذي يضم ثلاث حظائر ويتراوح تعداد الفصيل بين 15-25 مناضلا وكان يربط في كل منطقة من 10-25 فصيل مختلف التنظيم وعدد أفرادها غير ثابت " ¹⁶⁵. ويظهر من خلال الهيكلية السابقة أن معظم قادة المناطق الرئيسية هم من الفلاحين أو من أصول فلاحية والقائد الوحيد هو عبد القادر الحسيني- منطقة القدس. كما أن معظم قادة المناطق المحلية والفصائل هم من القرى أو من أصول فلاحية. يلاحظ أن التركيبة العسكرية للثورة تعود بأصولها إلى الريف أو أصول فلاحية بعد اقتلاعها من الأرض، وتحولها إلى طبقة عاملة في المدن أو الريف. ترك هذا الوضع تأثيره على الثورة بشكل كبير، في جوانب عدة وبتجاهات إيجابية وسلبية، ساهم تواجد القيادة العليا العسكرية والسياسية خارج البلاد في مزيد من الاستقلالية والتفرد والتمرد لدى القادة العسكريين. وزيادة حدة التنافس بينهم والقيام بممارسات أساءت إلى سمعة الثورة وتذمر السكان واتخاذ مواقف سلبية من الثورة. شجع ظهور فصائل السلام المعارضة فيما بعد.

2- الدور العسكري للقرية

يلاحظ ان الدور العسكري هو الذي أعطى القرية الدور الأساسي والمركزي في الثورة، وبين الحجم الحقيقي لها. وساهم في تغيير ميزان القوى والسيطرة في المجالات السياسية والاجتماعية في المجتمع الفلسطيني. تجسد ذلك مع عودة النشاط العسكري بعد صدور تقرير لجنة بيل، حيث أصبحت الأمور في أيدي القيادة الميدانية للثورة المتمثلة بالقادة العسكريين. ونتيجة خروج معظم القادة السياسيين ومن الطبقات الاجتماعية العليا في المجتمع الفلسطيني إلى خارج البلاد، أصبحت القيادة في أيدي القرية والثوار القرويين. برز منذ البداية " في صباح يوم السبت 23 أيار 1936 ألقى الحكومة القبض على سليم بك عبد الرحمن وأرسلته إلى قرية طوباس تمهيدا لاعتقاله. وبلغ أهالي قرية طولكرم أن الحكومة اعتقلت أيضا أعضاء اللجنة القومية، فثاروا وتقلدوا سلاحهم متجهين نحو طولكرم، وصدف أن كان الجيش الذي استحضرتة الحكومة من مصر متجها نحو نابلس. فاصطدم بالثوار في عطفة بلعا وجرح في هذا الاصطدام أربعة منهم امرأة كانت تنقل الماء للثوار. واستمر تبادل إطلاق النار بين الجيش والثوار إلى المساء " ¹⁶⁶ بهذا يتضح منذ البداية تواجد القرية وأبناءها في النشاط

¹⁶⁴ حسونة، إبراهيم خليل، نفس المصدر السابق، ص 80.

¹⁶⁵ حسونة، إبراهيم خليل، نفس المصدر السابق، ص 81.

¹⁶⁶ السفري، عيسى، نفس المرجع السابق، ص 70.

الثوري في ثورة عام 1936-1939، استمر وتطور في المراحل التالية. وكان هذا الاستمرار بوتيرة متطورة وعالية حتى وصلت في مراحل متأخرة إلى سيطرة تامة على مختلف المستويات. تحملت القرية عبء الثورة العسكري، الاقتصادي، الاجتماعي، الميداني وغيرها من الجوانب النضالية الأخرى. وكان لسكان القرى النصيب الأكبر في تأييد الثورة وناصروها بكل شيء فإذا نشبت المعركة ترك عمله وحمل بندقيته واندفع إلى الاشتراك في المعركة.

كما اعترف المكتب العربي الذي كان يرأسه موسى العلمي، بأن ثورة 1936-1939 لم يقم بها المتعلمون في المدن بل عصابات من القرويين في الجبال وفي القرى التي كانت تقدم لها المعونه والزاد والمأوى "ويقول اميل الغوري" والحقيقة الثابتة أن الفلاحين في فلسطين بصورة خاصة والى جانبهم العمال بصورة عامة هم الذين دفعوا ضريبة الدم وضريبة المال لفلسطين وحققها في الحياة ... هم الذين تحملوا العبء الأكبر في الدفاع عن فلسطين خلال الثلاثين عاما التي قضتها في مناهضة الاستعمار" ¹⁶⁷ ويذكر عزة دروزة كان أكثر المجاهدين من القرويين، ومع ذلك حمل السلاح كثير من أهل المدن، ويؤكد جورج انطونيوس أن الثورة هي ثورة الفلاحين وسببها المباشر هو مشروع التقسيم المقترح وعلى وجه الخصوص ذلك المظهر منه الذي يرمي إلى إجلاء عدد كبير من الفلاحين العرب لكي يفسحوا المجال لمهاجرين سيصبحون مواطنين في الدولة اليهودية المقترحة. فالقوى المحركة للثورة ليست هي الزعماء الوطنيين، وأكثرهم اليوم 1938 في المنفى، وإنما العمال والمزارعين، حيث يخاطرون بحياتهم فيما يعتقدون انه الطريق الوحيد لتسلم لهم بيوتهم وقراهم.

وبهذا يظهر من خلال الأرقام السابقة أن النسبة العظمى هي من الفلاحين والقرى وتصل إلى 90% من عدد المشاركين في الثورة سواء متفرغين أو غير متفرغين على شكل فزعات أو رديف للثوار. وبهذا يمكن الحديث عن الهيكلية العسكرية للثورة حيث كانت تشكيلات الثورة العسكرية تنقسم إلى أربعة فئات:

الأولى: مجاهدين متفرغين معتصمين بالجبال، يشكلون عمود الثورة الفقري في المعارك.
الثانية: فدائيي المدن، يمارسون حياتهم المدنية وينجزون مهاماً عسكرية محددة بناء على طلب قيادتهم، خاصة تصفية العرب المتعاونين وضباط الجيش.
الثالثة: الأنصار أو تشكيلات الرديف، كانت أكثريتهم الساحقة تتألف من الفلاحين العاديين الذين يهبون إلى حمل السلاح ونجدة المجاهدين عندما تنشب معركة في منطقتهم. وكان على أفرادها في بعض الأحيان القيام " بهجوم على المستعمرات اليهودية والدوريات الإنجليزية وعلى مخافر البوليس بقصد تخفيف الضغط على القيادة أثناء المعارك الكبيرة، وتوزيع قوى الإنجليز على جبهات عديدة حتى

تتمكن القيادة من القيام بهجوم أو عملية حربية ناجحة على إحدى الدوريات أو القوافل العسكرية التابعة للجيش البريطاني" ¹⁶⁸

الرابعة: لجان محلية، كانت تتلقى الأوامر من قيادة المنطقة، وكان عليها القيام "بالإصلاح بين الناس وإعادة الحقوق إلى أصحابها، وجمع التبرعات لأسر الشهداء ومنع الأفراد من التعاون مع الحكومة، وتوزيع المجاهدين على بيوت الميسورين للنوم والطعام عند حلولهم في القرية كما كان عليها أن تجمع الأموال من سكان القرية لشراء عدد من البنادق لتزويد الثورة بها" ¹⁶⁹ يلاحظ أن معظم سلاح وتسليح الثورة كان من سكان القرى والمدن، حيث كانت تتحمل كل قرية شراء مجموعة من البنادق تسلم إلى الأشخاص عند الاشتراك في المعركة وإعادتها إلى اللجنة ليستعملها أشخاص آخرون من القرية في معركة أخرى. وبهذا كان تسليح الثورة ذاتيا وعلى نفقة أفراد الشعب. هذه التشكيلة التي سادت في الثورة. كانت ترأسها في الخارج هيئة أطلق عليها "لجنة الجهاد المركزية" لتوجيه الثورة، إمدادها، إسعاف منكوبيها وجهزت بعض المجاهدين منهم عبد الرحيم الحاج محمد، أبو إبراهيم الكبير، والشيخ عطية لتولي قيادة الثورة في الداخل، مع ضرورة الملاحظة أن العلاقة والاتصال والتنسيق بين القيادة السياسية في الخارج والقيادة الميدانية في الداخل ضعيفة. مما أعطى قيادة الداخل المزيد من حرية الحركة والاستقلالية في التنفيذ واتخاذ القرارات. مما كان له اثر كبير على مجريات الأمور في الثورة. ان محاولات قيادة الخارج السيطرة من فوق، إلا أنها لم تستطع السيطرة بشكل تام على مجريات الأمور كان هناك بعض الإيجابيات لهذه الاستقلالية، أعطت قيادة الداخل المزيد من الخبرة والتجربة النضالية واتخاذ قرارات لصالح الفلاحون والعمال والطبقات الدنيا في المجتمع الفلسطيني. وإعطاء بعد اجتماعي، اقتصادي وثقافي بالإضافة إلى بعدها السياسي والعسكري للثورة. وتأكيدا على البعد الاجتماعي للثورة ثم تشكيل محاكم الثورة وذلك لحل مشاكل السكان وكرد على ضرب وتهميش مؤسسات الحكومة الانتدابية حيث "أن محاكم الثورة المشكلة من قيادات المناطق استعانت بعدد من القضاة الفلاحين الذين كانوا اقرب إلى فهم عقلية الفلاحين ومعرفة بعاداتهم وتقاليدهم".

*الهيكلية:

يمكن القول أن الهيكلية التي تواجدت في الثورة بشكل عام وفي المناطق الريفية كالتالي:

1. لجنة الجهاد المركزية في الخارج.
2. مكتب القائد العام مع ضباط أركان لكل قسم.
3. قادة المناطق، قسمت فلسطين إلى خمسة مناطق تحتوي مجموعة من الفصائل.
4. الفصيل: وهي تتكون من مجموعة من الثوار من قرية أو اكثر.

¹⁶⁸ خلة، د. محمود كامل، نفس المرجع السابق، ص 704.

¹⁶⁹ خلة، د. محمود كامل، المرجع السابق، ص 704.

5. محاكم الثورة حيث في كل منطقة كانت تتواجد محكمة ثورية أو أكثر.

6. اللجان المحلية في كل قرية لمساعدة الثوار.

*التكتيك:

يلاحظ أن الثوار في القرى استعملوا أساليب حرب العصابات من خلال عمليات الكر والفر، ونصب الكمائن لقوات الاحتلال في مناطق استراتيجية بين الجبال والاشترار في معارك بمساندة قوات الأنصار أو الفرقة من القرى المجاورة، لتشتت قوات الانتداب أو عرقلة الإمدادات والتعزيزات لتلك القوات. مما أعطى الثوار ميزات قتالية وسرعة حركة وسيطرة على المناطق الريفية. جعلت القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين هايننج يقول " أن قواته تواجه شعباً ثائراً فحتى حين يكون عدد الثوار قليلاً نجد من الصعب علينا أن نسيطر على المناطق الريفية، لأن القرويين ينتهزون كل فرصة للقيام بأعمال القناصة وأعمال التخريب الصغيرة. ووضع الألغام في الطرقات العامة ... وهذا الشكل من المقاومة يصعب معالجته لأن من الصعب جداً أن نعرث على هدف نصره، وبالإضافة إلى ذلك فإن عواطف السكان هي مع العصابات لا مع الحكومة البريطانية " ¹⁷⁰ تؤكد هذه الحقيقة على أن معظم سكان القرى كان مشتركاً بالثورة بشكل أو بآخر، بينما راحت سلطات الاحتلال تفقد نفوذها وسيطرتها تدريجياً خصوصاً في الأماكن القروية والجبلية البعيدة عن مراكز السلطة، كذلك تغير أسلوب ممارسة الثوار لنشاطهم، "فبعد أن كانوا يقومون بنشاطهم هناك على طريقة (اضرب واهرب) عامة راحوا مع تجدد نشاطهم وبعد أن أعيد تنظيمهم وزادت قوتهم، يواجهون القوات البريطانية عنوة عندما تدعوا الحاجة لذلك " ¹⁷¹ وهذا كان في المرحلة الثانية وخاصة مناطق شمال فلسطين، حيث ساهمت بدور فعال، وخاصة مدينة حيفا ومنطقتها، خلال سنة 1936 وسنوات الثورة اللاحقة (1937-1939).

"ظهر خلال الثورة شبكة معقدة من التعاون بين قرى الشمال ومدنه، على درجة عالية من السرية " ¹⁷² كانت نشاطات الثوار كثيفة في الجليل، بسبب خطة التقسيم والتجربة السابقة للمقاتلين الفلسطينيين هناك " وقد سهل ذلك القرب من الحدود الشمالية مع سوريا ولبنان والتي أصبحت ممراً لعبور المون والسلاح والأشخاص إلى فلسطين " ¹⁷³ شهدت المناطق القروية معارك عظيمة وكبيرة مثل بلعا الأولى والثانية، اليامون، بني نعيم، دوما وغيرها من المعارك "تثبت معركة رهيبية كانت اعظم معركة تشمل عدة قرى في منطقة نابلس، حيث استنفرت الحكومة قوات كبيرة من الجند من نابلس وطولكرم وقررت الحكومة تطويقها على سفوح الجبال الشرقية المواجهة لنهر الأردن " وبينما كانت

¹⁷⁰ شبيب، د. سميح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين من 1918-1948، ص 97.

¹⁷¹ خوري، جريس، نفس المرجع السابق، ص 325.

¹⁷² صيقل، د. مي، مرجع ذكر سابقاً، ص 300.

¹⁷³ صيقل، د.مي، المرجع السابق، ص 307.

القيادة العليا " تقوم بتوزيع القوات على هذه المنطقة للبدء بأعمال التطويق فوجئت بالمجاهدين يخرجون من كمين في قرية دوما ومن مكانهم في قرى بوريين، حوارة، زعترة وعقربا، وهاجموا الجيش البريطاني بعنف ومنعت الحكومة المواصلات على الطرق العامة وحاصرت أهل كل قرية في قريتهم واستخدمت أنواعا كثيرة من المدافع . كما سلط الإنجليز طائراتهم تلقي قنابلها على المجاهدين في معركة شملت 15 كيلومترا واستطاعوا تحطيم طائرة ... واستمرت المعركة طوال أربع عشرة ساعة" ¹⁷⁴. تظهر هذه المعركة وغيرها القوة العسكرية للثوار. وبهذا يظهر لنا أسلوب الثوار في العمل العسكري، حيث ان التكتيك " كان عبارة عن تجمع مجموعات من الثوار ويكمنون في أحد سفوح الوديان أو رؤوس الجبال المنيعة وينتظرون مرور قافلة من السيارات أمامهم. فإذا مرت أطلقوا عليها النار ثم قفلوا مسرعين كل إلى قريته، فينزعون عنهم الأسلحة والعتاد حيث يخفونها في مكان آمن ثم يختلطون بسكان القرى وكأن شيئا لم يحدث" ¹⁷⁵.

هذا هو أسلوب القتال المتبع. رغم ذلك يلاحظ أن ثورة 1936-1939، كانت ثورة باهظة الثمن فمن خلال رصد معارك الثورة يتبين لنا بأن جزءا كبيرا من المعارك كان يجري على شكل تحرش بالإنجليز يؤدي إلى احتكاك وصدام غير متكافئ بين الثوار والقوات البريطانية يتلوه سفك دماء واسع " ¹⁷⁶ وتشهد على ذلك معارك اليامون الذي سقط بها ثمانون شهيدا، سهل الفرن في كفرنا ثلاثة عشر شهيدا" ¹⁷⁷

كانت معظم الخسائر تقع على عاتق القرية وسكانها والتي تدور بجوارها المعارك، وخاصة الإجراءات البريطانية من تطويق وحصار وقتل وهدم منازل وغيره ومع ذلك بقيت القرية الفلسطينية صامدة ومساندة للثورة في كافة المجالات والأشكال وخاصة في المرحلة الثانية والثالثة " كانت تتحمل الخسائر، " نيجي على البلد بطعمونا يغدونا ويعشونا وينيمونا ونيجي مش واحد واثنين 150، 160 والقرى تتحمل بس والله ما نحيش نخسرهم ... تبقى البلد مبتهجة لما بيحوا الثوار " ¹⁷⁸. يظهر دور القرية العسكري في الثورة من خلال أعداد الثوار المشاركة، عدد الشهداء، الجرحى، المعتقلين، عدد السجناء بالإضافة إلى الحصار ومنع التجول وهدم المنازل وتخريب الممتلكات في القرى الفلسطينية حيث أدت إلى خسائر فادحة.

* قيادة الثورة:

¹⁷⁴ بويصير، نفس المرجع السابق، ص 262.

¹⁷⁵ د. سرحان نمر ومصطفى كبها، نفس المرجع السابق، 124.

¹⁷⁶ د. سرحان نمر ومصطفى كبها نفس المرجع السابق، ص 124.

¹⁷⁷ المرجع السابق، ص 125.

¹⁷⁸ علقم، نبيل، نفس المرجع السابق، ص 157.

من جهة ثانية، يلاحظ ان الثورة كانت فلاحية في الكثير من الجوانب، وهناك سيطرة عسكرية وثقافية، وهذا الوضع تواجد من خلال السيطرة القيادية على مجريات الأمور من طرف الفلاحين، خاصة القيادة الميدانية، حيث ان القائد العام للثورة كان عبد الرحيم الحاج محمد بالإضافة إلى ان قادة المناطق الخمس في فلسطين، حيث كان أربعة منهم من الريف والقائد الوحيد من المدينة كان عبد القادر الحسيني، قائد منطقة الوسط (القدس)، كما ان معظم قادة الفصائل في القرى من الفلاحين، كما أظهرت دراسة تناولت " 282 قائدا ممن تولوا مختلف المناصب، ان معظم القادة العسكريين للثورة انتموا إلى طبقة العمال ذات الأصول الفلاحية "فقد كان 183 أي " 65% منهم فلاحين، و 8% من البدو والباقي من الدول العربية المجاورة " ¹⁷⁹، مع تواجد بعض سكان المدن. ولعل الجدول التالي يكشف المدى الذي كانت عليه الثورة العربية الكبرى 1936-1939 ثورة فلاحية الطابع والقيادة.

قائمة بأسماء ابرز القادة في الثورة¹⁸⁰
(مهامهم، أصولهم الاجتماعية والاقتصادية)

جدول رقم 4/17

الرقم	الإسم واللقب	المهمة	البلدة	المهنة الأساسية
1	خليل محمد عيسى (أبو إبراهيم الكبير)	قائد فصائل شمال فلسطين	المزرعة الشرقية/القدس	فلاح
2	محمد صالح الحمد (أبو خالد)	قائد الثورة شرق نابلس	سيلة الظهر	فلاح
3	الشيخ عطية احمد عوض	قائد جبل الكرمل	الشيخ/ حيفا	فلاح
4	يوسف سعيد أبو درة	قائد جنين	سيلة الحارثية	فلاح
5	الشيخ فرحان السعدي	مجموعات عين جالوت	نورس	فلاح
6	توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير)	قائد مجموعات	اندور/ الناصرة	فلاح
7	سليمان عبد الجبار (أبو علي)	قائد مجموعات	مسمية/ غزة	فلاح
8	محمود خضر	قائد فصيل	زرعين العفولة	فلاح
9	محمد محمود الصفوري (أبو محمود)	قائد مجموعات في الشمال	صفورية/ عكا	فلاح
10	علي محمود زعرورة	قائد مجموعات في الشمال	الرينة/ الناصرة	فلاح
11	العبد القاسم	قائد مجموعات في الشمال	الرينة/ الناصرة	فلاح
12	احمد الغلاييني	خبير متفجرات	حيفا	فلاح
13	مسعود نصار	قائد مجموعة	اجزم/ حيفا	فلاح
14	نايف المصلح	قائد مجموعات لواء الجليل	صفورية	فلاح
15	عبد الغني درويش	قائد مجموعات فدائيين	عصيرة	فلاح
16	احمد التوية	قائد مجموعات استطلاع	صفورية	فلاح
17	صالح النصر	قائد مجموعات الجليل	صفورية	فلاح
18	اسعد الصبيحي	قائد مجموعات إمداد	عرب الصبيح/ اندور	بدوي
19	ناجي أبو زيد	قائد فصيل الناصرة	زرعين	فلاح
20	الشيخ ذيب	قائد مجموعات	طيرة/ حيفا	فلاح
21	رشيد الطيراوي	قائد فصيل الكرمل	طيرة/ حيفا	فلاح
22	الشيخ حسن الباير	قائد مجموعات	برقين/ جنين	فلاح
23	الشيخ نايف الزعبي	قائد مجموعات	سولم/ العفولة	فلاح

¹⁸⁰ هذه المعلومات جمعت من مصادر مختلفة كتابية مثل سميح شبيب، اكرم زعتير، عز دروزة و صبحي ياسين في كتاب الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، صفحات مختلفة. ومصادر شفهية من رواة مثل عبد الله سلامه، المزرعة القبلية، صالح محمود صالح، المزرعة القبلية، محمد شحادة شلش شقبا، سعيد شقير بيتونيا، ابراهيم جرار من سكان بيرزيت.

الرقم	الإسم واللقب	المهمة	البلدة	المهنة الأساسية
24	الشيخ محمود سالم (أبو احمد القسام)	قائد مجموعات الشمال	زرعين/ جنين	فلاح
25	الشيخ أبو عمر	قائد في المنطقة المتوسطة	سيلة الظهر	فلاح
26	احمد محمد الحسن (أبو بكر)	قائد في المنطقة المتوسطة	برقة	فلاح
27	أبو غازي (احمد التوبة)	قائد في منطقة الشمال	سوريا	فلاح
28	احمد جميل	مستشار القائد العام عبد الرحيم الحاج محمد (الوسط)		فلاح
29	حمد زواتا	قائد منطقة نابلس	زواتا	فلاح
30	حسن سلامة (أبو علي)	قائد في منطقة الجنوبية الرملة	قوله	
31	خالد الحصي	قائد في منطقة الشمال	سوريا	
32	داوود الحوراني	مساعد للقائد يوسف أبو درة	جنين	
33	سليمان عبد القادر	قائد في المنطقة الأولى	سمسم/ غزة	فلاح
34	الشهيد الشيخ طه	قائد في منطقة نابلس	صرفند الخراب/ حيفا	فلاح
35	الشيخ عبد الفتاح العبد	قائد في المنطقة الثانية/ حيفا	حيفا	
36	الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال)	قائد في المنطقة الثانية/ نابلس	ذنابة	فلاح
37	عارف عبد الرازق (أبو فيصل)	قائد في المنطقة الثانية/ نابلس	الطبية	فلاح
38	الشهيد عيسى البطاط	قائد في المنطقة الرابعة/ الخليل	الخليل	
39	عبد الحليم الجيلاني (أبو منصور)	قائد في المنطقة الرابعة/ الخليل	الخليل	
40	عبد القادر الحسيني	قائد المنطقة الخامسة/ القدس	القدس	
41	عبد الله الاصبح	قائد منطقة متجول	الجاعونه	
42	عبد الله الشاعر	قائد منطقة صفد/ والناصره	صفد	
43	الشيخ عارف حمدان	قائد منطقة متجول		
44	عارف غنيم	مساعد قائد		
45	علي إبراهيم زعرورة	مساعد قائد	صفورية	فلاح

46	علي الفارس	قائد في منطقة نابلس	ام الفحم	فلاح
47	عبد الله البكر	قائد منطقة نابلس		
48	عبد الله الأسعد	قائد منطقة نابلس	عتيل	فلاح

الرقم	الإسم واللقب	المهمة	البلدة	المهنة الأساسية
49	الشيخ عبد القادر يوسف	قائد منطقة وقاقي للثورة		
50	فخري عبد الهادي	قائد منطقة نابلس		
51	الشيخ فارس العزوني	قائد منطقة في نابلس	عراية- جنين	فلاح
52	فوزي جرار	قائد منطقة في نابلس	عزون	فلاح
53	الشيخ محمد صالح العبد	قائد في المنطقة الثانية	صانور	فلاح
54	محمود سالم أبو احمد القسام	قائد في المنطقة شفا عمر	سيلة الظهر	فلاح
55	محمد عيد موسى	مساعد قائد	شفا عمر	فلاح
56	محمود سليم الصالح (أبو عاطف)	مساعد قائد	قضاء صفد	فلاح
57	نواف أبو شحرور	قائد منطقة في نابلس	قضاء حيفا	فلاح
58	يحيى هواش	مساعد قائد	البيرونة	فلاح
59	الشهيد يوسف الحمدان	قائد في منطقة نابلس	ام الفحم	فلاح
60	إبراهيم العموري		ارتاح/ طولكرم	فلاح
61	عبد الحميد المرادوي		مردا/ نابلس	فلاح
62	سعيد بيتاوي		بيت ايبا/ نابلس	فلاح
63	أبو شوكت النوباني	قائد منطقة بني زيد	مزارع النوباني	فلاح
64	محمد أبو قطيش	قائد فصيل في غرب رام الله	المزرعة القبيلية رام الله	فلاح
65	سعيد شقير	قائد فصيل بيتونيا/ رام الله	بيتونيا/ رام الله	فلاح
66	شحاده شلش	قائد فصيل شقبا رام الله	شقبا	فلاح
67	محمود الخضر (أبو الخضر)	قائد منطقة متجول	-	-
68	محمود سليم الصالح (أبو عاطف)	مساعد قائد	عمونة/ صفد	فلاح
69	صالح أحمد طه	مساعد قائد/ قاضي	صفورية	فلاح
70	الشيخ حامد	مساعد قائد/ قاضي	كوكب	فلاح
71	محمود سعد شتات	قائد فصيل	المزرعة/ عكا	فلاح
72	وليد سعيد	قائد فصيل	الكبري / عكا	فلاح
73	عيد سعيد أبو الخير	قائد فصيل	الكبري / عكا	فلاح

الرقم	الإسم واللقب	المهمة	البلدة	المهنة الأساسية
74	أحمد درويش	قائد فصيل	الريب	فلاح
75	توفيق الجمل	قائد فصيل	الهضبة	فلاح
76	كمال حسون	قائد فصيل	الغاليه	فلاح
77	عوض بسيم	قائد فصيل	كويكات	فلاح
78	فوزي الرشيد	قائد فصيل	ترشيحا	فلاح
79	أنيس حميدة	قائد فصيل	ترشيحا	فلاح
80	محمد علي إبراهيم	قائد فصيل	ترشيحا	فلاح
81	علي حمود	قائد فصيل	ترشيحا	فلاح
82	الشيخ يونس الحبش	قائد فصيل	سحمانا	فلاح
83	محمود سعيد	قائد فصيل	الدير	فلاح
84	رشيد العبيد	قائد فصيل	مجدل الكروم	فلاح
85	عيد بشر	قائد فصيل	مجدل الكروم	فلاح
86	محمود الجودي	قائد فصيل	البردة	فلاح
87	صالح عبوشي	قائد فصيل	سخنين	فلاح
88	محمد مهاوش	قائد فصيل	الدامون	فلاح
89	كايد عباس	قائد فصيل	كابول	فلاح
90	صالح منصور	قائد فصيل	عراة البطوف	فلاح
91	جدعون وطفه	قائد فصيل	جديدة	فلاح
92	نمر خليل	قائد فصيل	شعب	فلاح
93	نمر الماظة	قائد فصيل	الهضبة	فلاح
94	مفلح علي حمادة	قائد فصيل	شفا عمرو	فلاح
95	سعيد قادرية	قائد فصيل	شفا عمرو	فلاح
96	محمد المصطفى	قائد فصيل	ظمرة	فلاح
97	سعيد القدر	قائد فصيل	كفر مندا	فلاح
98	صالح النصر	قائد فصيل	صفورية/ الناصرة	فلاح
99	أحمد عبد القادر زعرورة	قائد فصيل	صفورية	فلاح
100	محمد سالم	قائد فصيل	صفورية	فلاح

101	أحمد محمد الشهابي	قائد فصيل	لوييا/ طبريا	فلاح
102	عبيد أبو رحال	قائد فصيل	طبريا	فلاح
103	محمود شتيوي	قائد فصيل	سمخ	فلاح

الرقم	الإسم واللقب	المهمة	البلدة	المهنة الأساسية
104	محمد سويد	قائد فصيل	ياقوت	فلاح
105	الشيخ سليمان داوود	قائد فصيل	طرعان	فلاح
106	أحمد أبو دية	قائد فصيل	فراديه	فلاح
107	محمود كايد (أبو عادل)	قائد فصيل	الصفصاف	فلاح
108	محمود عثمان الكردي	قائد فصيل	كفر برعم	فلاح
109	فؤاد حمد	قائد فصيل	عين الزيتون	فلاح
110	الشيخ أبو درويش	قائد فصيل	بلد الشيخ	فلاح
111	الشيخ يوسف أبو جرير	قائد فصيل	المجيدل	فلاح
112	صالح الدوخي	قائد فصيل	النجف	فلاح
113	الشيخ ذيب ديوان	قائد فصيل	الباجور	فلاح
114	جبر لوياتي	قائد فصيل	المجيدل	فلاح
115	الشهيد محمود سليم الصالح	قائد فصيل	عموطه	فلاح
116	الشيخ يحي	قائد فصيل	دنون	فلاح
117	بولس حنا بولس	قائد فصيل	الرامه	فلاح
118	محمد سعيد الخطيب	قائد فصيل	كابول	فلاح
119	أبو الذيب مجذوب	قائد فصيل	عمقة	فلاح
120	فياض بيتم	قائد فصيل	كويكات	فلاح
121	شكري شوفاني	قائد فصيل	معلبا	فلاح
122	فريد خير	قائد فصيل	البقيعه	فلاح
123	الشيخ عبد الفتاح أبو عبد الله	قائد فصيل	سيلة الظهر	فلاح
124	الشيخ نعيم المصري	قائد فصيل	الطنطورة	فلاح
125	فاز الحاج محمد	قائد فصيل	أم الفحم/ جنين	فلاح
126	أحمد عبد المعطي	قائد فصيل	اجزم	فلاح
127	حسن الشوشاري	قائد فصيل	ام الزينات/ حيفا	فلاح
128	محمد شعيب شعبان	قائد فصيل	جبع/ حيفا	فلاح
129	إبراهيم الخوجا	قائد فصيل	جبارين/ حيفا	فلاح

فلاح	الغبية التحتا/ حيفا	قائد فصيل	الشهيد محمد الجريوع	130
فلاح	سيلة الظهر	قائد فصيل	الشهيد عبد الله الطه	131
فلاح	دير الغصون	قائد فصيل	عبد الرحمن زيدان	132
فلاح	فرعون/ طولكرم	قائد فصيل	كامل الحطاب	133

المهنة الأساسية	البلدة	المهمة	الإسم واللقب	الرقم
فلاح	طيرة بني صعب	قائد فصيل	محمد أبو دية	134
فلاح	قباطية/ جنين	قائد فصيل	الشيخ محمد أبوجعب	135
فلاح	قباطية	قائد فصيل	سعيد أبو الرب	136
فلاح	شفا عمرو	قائد فصيل	نجيب عبد الغني عنبتاوي	137
-	طوباس	قائد فصيل	حافظ أبو إسماعيل	138
-	جديدة	قائد فصيل	أحمد زكزوك	139
-	ذنابة	قائد فصيل	الحاج يوسف سمارة	140
-	بيت نوبا	قائد فصيل	عيسى رشيد	141
-	سلواد	قائد فصيل	محمد عبد العزيز	142
-	بيت عطاب	قائد فصيل	أحمد جابر	143
-	خرية اللوز	قائد فصيل	جابر أبو طبيخ	144
-	المالحة	قائد فصيل	سعود القسيس	145
-	دورا	قائد فصيل	سالم الشيخ	146
-	بيت فجار	قائد فصيل	حميدان	147
-	المزرعة	قائد فصيل	فريد سعيد مزرعاوي	148
-	عين كارم	قائد فصيل	محمد مصطفى	149
-	صوريف	قائد فصيل	إبراهيم أبو دية	150
-	الدوايمه	قائد فصيل	رشيد أبو هنية	151
-	بيت صفافا	قائد فصيل	عبد السلام صبحي	152
-	يينا	قائد فصيل	أسعد الرنتيسي	153
-	المسمية	قائد فصيل	عبد الله مهنا	154
-	غزة	قائد فصيل	شفيق مجتهي	155
-	غزة	قائد فصيل	بطرس الصانع	156
-	غزة	قائد فصيل	علي إسماعيل عطا الله	157

يظهر الجدول السابق (رقم 4/16)، ان قيادة الثورة الميدانية، كانت قيادة فلاحية أفرزتها ظروف العمل العسكري بشكل خاص، ولم يكن هذا التشكيل وليد صدفة، بل انه جاء استجابة موضوعية لما عاناه الفلاح من عسف واضطهاد، وفقدان لقاعدته الاقتصادية "الأرض"، لذا فقد قاتلت الثورة بالفلاح والرجل العادي، مع ان سكان المدن قاموا بتأييد الثورة "بل وطربوا لأفعالها إلا انهم لم يقدموا الكثير لمساعدتها ذلك "ان أبناء الشرائح المدنية تربوا على التركيز على الجانب المعنوي من الوطنية بدلا من العناصر المادية، لذا فقد شاركوا في الحث على القتال دون ان يقاتلوا وقاموا بتنظيم المؤتمرات والمهرجانات دون ان ينخرطوا بالعمل التنظيمي العسكري أو الكفاحي بمعنى المواجهة المباشرة مع الصهيونية والانتداب" ¹⁸¹ كانت اسهل الطرق للهروب خارج فلسطين أو التعاون والمهادنة مع الانتداب وبالتالي التعرض للخطف والقتل. ولم يبق في ارض المعركة سوى أصحاب القضية الأساسية من الفلاحين.

● التقييم للدور العسكري :

اكتسب الفلاحون من ثورة 1936-1939، خبرة ممتازة ظهرت نتائجها في المرحلة الثانية، ويعترف التقرير البريطاني لعام 1938 بتطور أسلوب حرب العصابات العربية من حيث، التنظيم والتنسيق. لقد كان عمل الثوار عملا تلقائيا على مستوى القرية والمنطقة، وبدا في نفس الوقت معدوم الاتصال بالقيادة السياسية التي كانت في ذلك الوقت خارج فلسطين، ففي منتصف أيار 1936، بدا مركز النشاط العسكري ينتقل من المدن إلى المناطق الريفية الجبلية، وأصبحت جبال نابلس والشمال وتلالها الحرجية الشديدة الانحدار اكثر المناطق غليانا وجذبا للثوار بالإضافة إلى ان تواجد المناطق الاستيطانية وبيع الأراضي في مناطق مرج بن عامر والجليل والمثلث، وهذا يفسر اشتداد المواجهة في تلك المنطقة كون سكانها الفلاحين هم الأكثر تضررا من نشاط اليهود والصهيونية والثورة على الأوضاع من اجل استرداد حقوقهم .

وفي الختام يمكن القول، أن قيادة العمل العسكري في الثورة، وخاصة في المرحلة الثانية والثالثة كان لصالح القرية قياسا للمرحلة الأولى، التي كانت على شكل إضراب تجاري وعمالي وشارك فيه

¹⁸¹ شبيب، د. سميح، مرجع سابق، ص 33.

سكان المدن بفاعلية كبيرة. بالإضافة إلى أن القيادة للإضراب وكانت الثورة في تلك المرحلة مدنيّة مع مشاركة فلاحية بشكل ما يمكن القول " ان غالبية الطبقات العليا والمدنيّة لم تكن قادرة على أداء أدوار قيادية في التمرد بطريقة ناجعة، 9% فقط منها شارك به إضافة إلى 5% آخرين ممن أداروا عمليات عسكرية الفعل ومع دخول القيادة المدنيّة في 1937 انتقل التمرد إلى المنطقة القروية الجبلية من البلاد محققا نجاحا مذهلاً " ¹⁸² انعكست في انتصارات وسيطرة واسعة على الريف الفلسطيني بشكل كامل مع السيطرة على بعض المدن مثل يافا، نابلس، رام الله، الخليل. وكان أغلب ما حصل في المدن يقع بفعل دوريات عسكرية غالباً ما جاءت من الريف.

د- الدور الثقافي والإعلامي في الثورة:

عانت فلسطين من الإهمال الشديد من طرف الانتداب البريطاني طوال فترة احتلاله في الجوانب التعليمية والثقافية. ويظهر من اعتراف مدير المعارف في تقريره بعد 13 سنة من الاحتلال أي في العام 1930 حيث يقول " لم تتكفل الحكومة منذ الاحتلال حتى اليوم بنفقات كافية لبناء أية مدرسة في البلاد وفي عام 1935 رفضت الحكومة 41% من طلبات الالتحاق بالمدارس التي قدمها عرب " ¹⁸³.

كانت السياسة البريطانية تركز على إيجاد طاقم إداري يتناسب وسياساته، وإبقاء أكبر نسبة من الأطفال العرب في حالة جهل وتخلف من أجل استمرار السيطرة البريطانية على الأمور لصالحهم. لم تشجع بناء المدارس حيث من أصل 800 قرية فلسطينية " كان هناك 15 مدرسة للبنات فقط و 269 للصبيان ووصلت 15 فتاة قروية إلى الصف السابع الابتدائي فقط، وكان هناك 517 قرية عربية لا مدارس فيها للذكور ولا للإناث. ولا توجد أي مدرسة ثانوية في القرى العربية " ¹⁸⁴ ولم تفعل الحكومة شيء لرفع المستوى الاجتماعي والوعي الثقافي بين الفلاحين، تعكس الأرقام السابقة الواقع التعليمي في الريف الفلسطيني. وكان الدور الثقافي والإعلامي للقرية في الثورة وحركة النضال الوطني الفلسطيني ضعيفة ومحدودة من طرف بعض المتعلمين والشعراء الشعبيين "والقوالون" والكلمة المقاومة من خلال الأمثال الشعبية والتعبير، التي ترفض الاحتلال البريطاني وسياساته من خلال تلك الأقوال والنشاطات والكتابات الصحفية في المجالات والجرائد. ويمكن اعتبار اللجان القروية وفي إطارها التوعوي من خلال إقناع وتوعية الفلاحين بمساندة الثورة جانب من الدور الثقافي والإعلامي. يمكن اعتبار الحركة الكشفية القروية ومنظمات الفتوة وغيرها في جوانبها الإعلامية الثقافية ذات دور فعال لذلك كان "القوالون" في الريف بحكم تنقلهم واحتكاكهم بالفلاحين يطورون نوعاً من الزجل الشعبي السياسي الذي يعبر عن هموم الفلاحين بشكل يتناسب مع احتدام الصراع، الذي كانت أسبابه تزداد

¹⁸² كمرلنغ، ياروخ، ويوتيل مغدال، نفس المرجع السابق، ص 153.

¹⁸³ كنفاني، غسان، نفس المصدر السابق، ص 38، أبو ارميله، هشام، نفس المصدر السابق، ص 159.

¹⁸⁴ كنفاني، غسان، نفس المرجع السابق، ص 39، أبو ارميله، هشام، نفس المرجع السابق، ص 159.

عمقا واتساعا. وفي الريف يشكل الشعر الشعبي وكل ما يتفرع عنه، طقسا من طقوس الحياة وتقليدا من تقاليدهم يزداد رسوخا مع الوقت. حيث يصبح الشعر الشعبي الذي يتبلور شكله النهائي من خلال إسهامات معينه تبرز في أزمات وصدامات اجتماعية متكررة تشبه دور الإعلام المعاصر، حيث "ان ميكانيكية حدوث ذلك كله وطبيعة الصدام المركب والمعقد على صعيد الثقافات بين الدعوة إلى الثورة والدعوة إلى الاستكانة والتي تأخذ أكثر أشكالها تعقيدا وبطءاً في الريف" ¹⁸⁵. تبرز بعض العناصر التي تلعب دوراً هاماً في التأثير على المجتمع الريفي مثل أمام المسجد وهو أكثر الدعاة في الريف نفوذاً". وبالتالي ساد في الريف الفلسطيني في فترة الثورة صراع ثقافي بين الدعاة الثوريين والرجعيين والذي حسم لصالح الثقافة الثورية خاصة "إخوان القسام" مما ساهم كثير في حض الكتاب والشعراء والأدباء الفلسطينيين بشكل عام والريفيين بشكل خاص في خوضهم عمار مناهضة الاستعمار والصهيونية، حيث تصدت مجموعة منهم للدعوة الثورية مثل عبد الرحيم محمود، إبراهيم طوقان، البستاني، أبو سلمى، نوح إبراهيم كشاعر شعبي، مطلق عبد الخالق وغيرهم في النضال على الجبهة الثقافية والإعلامية مما أعطى دفعة وزخم للثورة وللقرية الفلسطينية في الصمود والنضال، المساهمة في رفع روح ومعنويات الفلاحين، للمشاركة في الثورة الشعبية، وزيادة وعيهم السياسي. كانت تلك التجربة مهمة في " بلورة عالما ثقافيا جديدا لدى الفلاح الفلسطيني يختلف عن العالم الثقافي الذي عاشه في القرون السابقة المتميز بالقهر الاجتماعي والقومي في الفترة العثمانية والبريطانية، عبر عنه في الأمثال الشعبية التي كان لها تأثير كبير على مجريات الأمور وعلى السلوك الإنساني" ¹⁸⁶. كان على المثقفين الريفيين والشعراء الشعبيين مهمات عظيمة لزرحة "تلك الثقافة الخاملة السائدة المثبثة وان يكونوا هم تخلصوا جذريا من تأثيراتها، دور في بروز وعي متقدم لدى الإنسان الفلسطيني بشكل عام والريف بشكل خاص، حيث ساهم بعض الشعراء "مثل وديع البستاني في تجذير هذه الثقافة من خلال قصائده" ¹⁸⁷. كما برز مجموعة من الشعراء الشعبيين والقوانين في الهاب النضال المسلح وجعلوه جزءا من التراث الثقافي للجماهير وكرسوا الكثير من القوائد للثورة والنضال مثل نوح إبراهيم. كما ساهمت الانتاجات الأخرى في حركة النضال، مثل الصحف، المجلات، المقالات الأدبية والقصص وطرق الترجمة دوراً طبيعياً، ساهمت في تشكيل المد الثوري الثقافي في الثلاثينات الذي لعب دورا مهما في تنمية الوعي وتفجير الثورة من خلال إبداعات الشعراء والمثقفين الكثيرة. ساهمت الإرهاصات السابقة في الريف إلى تطور وعي جديد من خلال احتكاك عناصره المثقفة بالمدن مع تصاعد التناقضات وانفجار الانتفاضات المسلحة وكانت هذه على شكل توعية ثقافية

¹⁸⁵ كنفاني، نفس المصدر السابق، ص 44.

¹⁸⁶ يمكن الرجوع إلى الكثير من الأمثلة الشعبية التي تحض على السكينة والخضوع " مثل حط رأسك بين الروس وقول يا قطاع الروس"، ومثل عند اختلاف الدول " غطي رأسك وغيرها من الأمثلة التي تحض الخنوع والاستسلام للسلطة".

¹⁸⁷ كنفاني، غسان، نفس المصدر السابق، ص 57.

مقاومة ورافضة للانتداب وممارساته وبرز في قصائد الشعراء والشعبية والأغاني والأهازيج الشعبية والمناسبات والأعراس.

اصبح هذا الإرث الثقافي رديف وداعم للبندقية في التعبير عن موقف القرية والريف من الانتداب البريطاني والصهيونية، ومعبرا عن الثورة والرفض لهم، وشكل من أشكال التحريض الثوري، ورفض للعلاقات الاجتماعية القديمة التي أصبحت متخلفة ولا تعبر عن طموح وآمال فئات كثيرة من الشعب الفلسطيني المسحوق والمظلوم وشكلت تحديا للصيغ التي حاول الاستعمار غرسها في المجتمع الريفي" كان المجال الذي يستطيع فيه الريف الفلسطيني الاحتفاء والتحدى للغزو الإمبريالي والصهيوني هو التعصب الديني والقومي الذي برز في الثورة الفلسطينية الكبرى ولعل ظاهرة القسام والاستقلاليون ابرز هذه المظاهر".¹⁸⁸

انطلاقا من الطرح السابق، قامت القرية والريف بدور ثقافي وإعلامي في الثورة تجسد وبرز في مجموعة من الممارسات والفعاليات التي تركها الفكر الثقافي الريفي والثقافة الريفية على المجتمع الفلسطيني بشكل عام، حيث كان تعميم لبس العقال والكوفية الفلاحية على سكان المدن الفلسطينية في إطار التمويه وإرباك قوات الانتداب البريطاني وعدم معرفة الثائر من الإنسان العادي . وساهمت هذه الخطوة في عدم قدرة التمييز بين الثوار عن غيرهم وعدم القدرة على اعتقالهم. كما كان التجاوب من سكان المدن يدل على عمق الانتماء للقضية الوطنية من مختلف فئات سكان المدن. يمكن القول، ان الالتزام كان طوعيا بنسبة كبيرة مع اضطرار بعض المجموعات في الالتزام بطرق أخرى وسيطرت الثقافة الريفية ذات الطابع الثوري على المجتمع الفلسطيني في فترة الثورة الفلسطينية الكبرى.

كما تجسد الدور الثقافي والإعلامي للمجتمع الريفي والقرية على الواقع الفلسطيني في إطار الوعي الثوري والالتصاق بقضايا الجماهير ومشاكلهم من طرف الثوار ذو الأصول الفلاحية، مثل قضايا الإعلان عن تأجيل سداد الديون لمدة عام على الفلاحين والفقراء إلى الدائنين من أصول مدنية. وكانت هذه الخطوة في إطار التطور الثوري لدى الثورة نحو مواقف اجتماعية واقتصادية ولصالح الطبقات الفقيرة التي تعيش ظروف صعبة. تلت هذه الخطوة في عدم دفع الإجراءات العقارية خاصة السكن في المدن والقرى للظروف الاقتصادية الصعبة.

يمكن القول، ان الشعراء الريفيين والقوالون الشعبيين مثل نوح إبراهيم، عبد الرحيم محمود، لعبوا دورا كبير في العمل كموجهين ثقافيين وإعلاميين للثقافة الريفية، ودورها في دعم البندقية والكفاح المسلح خلال مراحل الثورة الفلسطينية الكبرى وخاصة المراحل الأخيرة، حيث أصبحت السيطرة على الثورة قيادة وأرضا بيد القادة الميدانيين من أصول فلاحية.

قامت القيادة بتوجيه الثورة خاصة في المجال الفكري والثقافي نحو مبادئ المجتمع الريفي وأفكاره ومحاربة الظلم الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشه في فترات سابقة، كانت الثورة فرصة لإعادة ترتيب ثقافة وفكر المجتمع الفلسطيني نحو أصول وتوجهات ريفية ذات مضامين ثورية لصالح الفئات الفقيرة والمضطهدة في المجتمع وبهذا يمكن القول ان دور القرية الثقافي والإعلامي كان مهما ومؤثراً على مجريات الثورة والمجتمع.

د- السياسة البريطانية ضد القرية.

كانت السياسة البريطانية في هذه الفترة تتلخص في انتهاج خطين من السياسة في مواجهة الثورة، وتصعيد عمليات القمع إلى أقصى حد ممكن، ويرافق ذلك انتهاج خطة من ثلاث خطوات ترمي في النهاية إلى ضمان استكمال إخضاع العرب على الصعيدين السياسي والعسكري:

أولها: نزع السلاح من العرب على نحو منظم وهي عملية استمرت إلى ما بعد الثورة 1939.

ثانيهما: تسليح اليهود على نطاق واسع واستخدامهم ليس فقط لأغراض الدفاع وإنما لأغراض هجومية والإسهام في عمليات القمع والقهر أيضاً.

ثالثهما: تحطيم التنظيم السياسي لعرب فلسطين لحرمانهم من القيادة السياسية التي تجمع شملهم

وتوجه مساعيهم في أوقات الملمات. اعتمدت على سياسة العنف من خلال عمليات المداومة والاعتقال الجماعي والإعدام طوال أعوام 1937-1939. واتخاذ المزيد من الإجراءات القمعية كسفن المنازل وفرض العقوبات الجماعية ومنع التجول والاعتقالات وفرض الضرائب المتشددة ومصادرة الأراضي والاستعانة باليهود والميليشيات التابعة لهم في قمع الثورة، وفي سبيل تحقيق ذلك اتبعت الاساليب التالية:

1- سياسة فرق تسد:

استعملت الكثير من الوسائل والأساليب في التمايز بين الفلاح والمدني وبين المؤيدين للثورة والمعارضين لها الترغيب والترهيب في إطار سياسة الفصل بين فئات وطبقات الشعب الفلسطيني، وسياسة فرق تسد في سبيل القضاء على الثورة وتحقيق أهدافهم. حاولت ان تفرق في تعاملها مع سكان المدن من خلال إجراءات عدم اعتقال أصحاب الطرابيش بل أصحاب الكوفية والعقال، وسياسة التفتيش، وعمل بطاقات الهوية من اجل اكتشاف الفلاح من المدني¹⁸⁹، فسعت إلى الفساد بين العرب والإيقاع بين المسيحيين والمسلمين، وتشجيع أنصارها وأعدائها على مقاومة الثورة والأحزاب، وأسندت إلى عدد كبير منهم وظائف حكومية، وقدمت الأموال لعدد من القرويين والعشائر كقروض زراعية، ولقد حاولت الحكومة البريطانية بالفعل فصل الفلاحين عن الثورة "عن طريق تخفيض ضريبة الأملاك في

¹⁸⁹ كنفاني، غسان، نفس المرجع السابق، ص 95.

القرى عن الأثمار الحمضية وإعفاء الفلاح من دفع 50% من ضريبة الأعمار".¹⁹⁰ كما قام موظفي الدولة البريطانية خاصة القائمين بنشاط في القرى وإقناعهم بالعدول عن المشاركة في الثورة، والعودة إلى الهدوء ومحاولات فصلهم عن أهل المدن في الحركة الوطنية مقابل خدمات تقدم للقرى على شكل تبرعات بمبلغ 500 جنيه لكل قرية لتوسيع المدارس، إلا ان موقف سكان القرى كان رافضا لذلك من خلال قولهم في مذكرات مرفوعة "إننا متضامنون مع إخواننا أهل المدن وليس لبريطانيا إلا ان تختار أحد الأمرين فأما العرب وأما اليهود".¹⁹¹ وتجلت سياسة فرق تسد في البيان الذي أصدره المندوب السامي البريطاني وطالب فيه الفلاحين وسكان القرى بالتخلي عن الثورة "وإنهاء الإضراب وخاصة المعتقلين الذين رفضوا ذلك في بيان أصدره مؤكدين على وحدتهم مع أمتهم".¹⁹² تصدى القرويون لهذه المحاولات في الإيقاع بينهم وبين سكان المدن أو الابتعاد عن الثورة ودعمها بمختلف الأشكال والأساليب أما سياسة الترهيب فقد استخدمتها بريطانيا بشكل كثيف وقاس وبأساليب متنوعة بحق الثورة وسكان القرى، حيث كان الرد البريطاني عنيفا على النشاط الثوري المتجدد، وذلك بشن الهجمات على أماكن تجمع الثوار واتبعت سلطات الانتداب إجراءاتها القمعية بخطوات أخرى، ففي الحادي عشر من تشرين الثاني 1937 نشرت أنظمة بشأن تشكيل محاكم عسكرية ومنحت تلك المحاكم صلاحية إصدار أحكام الإعدام على الاشتراك في النشاط الثوري مثل "حيازة الأسلحة دون استعمالها، واعتبرت قرارات هذه المحاكم قابلة للتنفيذ بمجرد مصادقة القائد العسكري عليها بعد ان منع الطعن بها أو استئنافها لدى أي محكمة أخرى".¹⁹³

2-الهجمات العسكرية:

لقد تجسد عنف الإجراءات العسكرية البريطانية من خلال شن الهجمات على مواقع الثوار في الجبال في كل منطقة يعتقد بتواجدهم فيها، أو تحدث فيها نشاطات من طرفهم، أدت إلى زيادة القوات البريطانية حتى وصلت إلى فرقتين حوالي 20 ألف جندي، بالإضافة إلى الميليشيات اليهودية والبوليس الفلسطيني وغيرها من القوات مثل الفيلق العربي وحرس الحدود التابعة لشرق الأردن. حدثت العشرات من المعارك والاشتباكات بين الطرفين مثل بلعا الأولى والثانية، بني نعيم، الطيبة، معارك شرق نابلس والجليل وصفد وغيرها، استعملت فيها كافة أشكال الأسلحة والمعدات خاصة المدافع الجبلية والطائرات لضرب القرى.

3-نسف المنازل:

¹⁹⁰ خلة، د. محمود كامل، نفس المرجع السابق، ص 630.

¹⁹¹ خلة، د. محمود كامل، نفس المرجع السابق، ص 630.

¹⁹² الحوت، بيان نويهض، نفس المرجع السابق، ص 353.

¹⁹³ خوري، جريس، نفس المرجع السابق، ص 352.

اتبعت السلطات البريطانية سياسة نسف المنازل في القرى في إطار إخماد الثورة، حيث مارست سياسة "العقوبات المشتركة" وشرعت تنسف ما تختاره من بيوتها بالديناميت حيث نسفت في "اندور دار كبيرة مؤلفة من ثلاث طوابق وتشمل على 36 محلا و 16 غرفة مؤثثة وكانت الدار مملوءة بحاصلات 50 فدانا من الأرض ويقدر ثمن الدار بما فيها بخمسة عشر ألف جنيه، وثلاثة بيوت في البيرة وداران في ترمسعا... بلعا أربعة بيوت وستة بيوت يوم معركة بلعا وستة بيوت أخرى ... وغيرها من القرى".¹⁹⁴ وبذلك يظهر ان سلطات الانتداب هدمت مئات المنازل في مختلف القرى الفلسطينية من اجل تركيع القرية وابتعادها عن دعم الثورة والثوار إلا ان ذلك لم يحقق هدفهم حيث استمرت القرية والقرويون في دعم الثورة .

من جهة ثانية، تجسدت العقوبات الجماعية على سكان القرى في أشكال مختلفة منها فرض الغرامات العينية والنقدية "هناك قرى يقرب عددها 250 قرية فرضت عليها السلطة غرامات نقدية وعينية مثل قرية عزون فقد فرض عليها تقديم 300 دجاجة و 500 بيضة وخمسة خراف عينية، كما فرض على قرية اندور 200 جنيه"¹⁹⁵ وفي حالة الامتناع عن دفع الغرامة تقوم السلطة بمصادرة ما في القرية من أنواع الحبوب والدجاج والخيول وغيرها من الموجودات ويندرج في نفس الإطار سياسة منع التجول والتفتيش. كانت تقوم بحملات تفتيش في القرى من خلال استعمال قوة كبيرة من الجند والبوليس وبواسطة الدبابات والمدافع وكامل الأسلحة وتقوم بتطويق القرية، والقيام بحملات تفتيش وإرهاب، حيث كانت تنزل بالسكان "أثناء عمليات التفتيش أقصى صنوف الإرهاب والتعذيب، واشد أنواع القهر والتنكيل. فضربت الشيوخ والأطفال واعتدت على النساء وأجهضت الحوامل، ونهبت الأموال وأتلفت المؤن، وأحرقت المزروعات، واقتلعت الأشجار، وصادرت ما وجدته عند السكان من أموال وسلاح وغيره. ففي عام 1938 وحدها قام الإنجليز بتطويق وتفتيش 758 قرية فلسطينية، ويظهر من خلال قول رئيس بلدية نابلس إلى واكهوب المندوب السامي "في غضون عمليات التفتيش التي جرت أخيرا في القرى أتلفت الممتلكات وسرقت الحلي ومزقت نسخ القران الكريم الأمر الذي زاد من هياج الفلاحين".¹⁹⁶ هذه الإجراءات لم تضعف من عزيمة الفلاحين وابتعادهم عن الثورة بل زادت في التلاحم بين القرويين والثوار التعاون بينهم ضد الانتداب البريطاني".¹⁹⁷

¹⁹⁴السفري، عيسى، نفس المرجع السابق، ص 90 - 91.

¹⁹⁵السفري، عيسى، نفس المصدر السابق، ص 91.

¹⁹⁶الكيالي، د. عبد الوهاب، نفس المرجع السابق، ص 70.

¹⁹⁷للمزيد من المعلومات حول ممارسات الانتداب البريطاني في القرى أثناء التفتيش يمكن الرجوع إلى الكتب التالية:

1. عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ص 87.
2. يسن، صبحي، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، صفحات مختلفة.
3. صالح، د. محمد محسن، الشرطة والقوات العسكرية في فلسطين.

4- الضرائب:

من جهة ثانية، مارست سلطة الانتداب البريطاني سياسة ضرائبية قاسية ومجحفة بحق المواطنين الفلسطينيين وخاصة الفلاحين من أجل إفقارهم وتخيلهم عن الأرض من أجل مصادرتها أو بيعها لليهود والصهاينة، ولجأت سلطات الانتداب لفرض الضرائب الباهظة على الأراضي، وصاروا يبيعون أرضهم تخلصا من الديون والضرائب، ولعل أبرز إجراءات سلطات الانتداب في هذا المجال هو تشريعاتها، التي كان من شأنها مضاعفة الضرائب على الأرض والمنتجات الزراعية دون ان تقدم بالمقابل أية خدمات تتناسب مع الضرائب المحصلة من الفلاحين. "فقد قدرت الحكومة 4.44 جنيها فلسطينيا في ميزانية 1937/1936 ضريبة على كل فرد في البلاد، عدا رسوم البلديات، مما أثقل كاهل الفلاح والعامل العربي" ¹⁹⁸ مع الأخذ بعين الاعتبار الدخل السنوي للفلاح الفلسطيني، الذي لم يتجاوز ثلاثين جنيها سنويا حسب الدراسة التي أوردتها شو من تقريره عام 1930م. يظهر ان نسبة كبيرة من دخل الفلاح كانت تذهب للضرائب عدا الديون ومستلزمات الفلاحة وغيرها. مما تظهر مدى الظلم والفقر الذي عاناه الفلاح الفلسطيني، وكان أبرز هذه الضرائب:

1 - ضريبة العشر على المحاصيل .

2 - ضريبة الويركو على الارض .

3 - ضريبة تعداد المواشي .

وتراقت مع تلك الضرائب إجراءات أخرى أبرزها:

- 1 - التسارعة في جمع الضرائب المتراكمة عند الفلاحين، وذلك بعد الحرب العالمية الأولى.
- 2 - كما قامت السلطات البريطانية عمدا بإهمال فتح الطرق إلى القرى وربطها بالمدن من أجل إبقائها في حالة تخلف وضعف، "كان هدف الإدارة البريطانية في تعاملها مع الفلاحين هو تحصيل الضرائب منهم بصورة أكثر فعالية والحفاظ على الأشكال التقليدية في القيادة لهم، وكانت الحكومة معنية بفقر الفلاحين وتزايد أعداد من لا أرض لهم ليس فقط لان من شأن ذلك تخفيض الضرائب بل لأنه كان يهدد نشوب اضطرابات سياسية يكون إخمادها مكلفا" ¹⁹⁹ حيث ان تخفيف الضرائب أو تقديم الخدمات للقرى، يساهم في زيادة الوعي وتحسن الظروف، وبالتالي التمرد والثورة.

5 - إقامة المخافر والاستحكامات:

في إطار السيطرة على مجريات الأمور في المناطق الريفية ، والحد من نشاط الثوار. قامت سلطات الانتداب البريطاني بإجراءات من خلال زيادة تمركزها في المناطق الريفية، وإقامة مخافر بوليس

¹⁹⁸ حلة، د. محمود كامل، مرجع سابق، ص 667.

¹⁹⁹ صايغ، روز ماري، نفس المرجع السابق، ص 52.

وقواعد عسكرية ومراكز، حيث "أقيمت في فلسطين 80 محطة شرطة عقابية فرض على السكان المحليين تحمل التكاليف وإقامتها وإدامتها"²⁰⁰، وكان يقام نقطة عسكرية في كل قرية يتم بها نشاط للثوار مع إلزام سكان هذه القرية بمصاريف وتكاليف إقامة الجنود من التموين والمواد الغذائية الذي يتنقل كاهلهم .

كما حملت الحكومة مخاطر القرى العربية مسئولية ما يقع في قراهم من هجوم على القوات أو البوليس البريطاني، وقالت "في بلاغ وزع عليهم في يومية 1938 انهم وجميع سكان قراهم مسئولون عن وقاية الخفاء ودوريات البوليس والكتائب الموجودة في قراهم من أي هجوم وذلك بان يساعدوا البوليس مساعدة تامة وان يبلغوه عن كامل المعلومات فورا عن خطر وقوع أي هجوم"²⁰¹ وضرورة ان يقوم المخاطر بالتبليغ بكل الوسائل الممكنة وتحملهم مسؤولية أي اعتداء يقع في أراضي القرية . وتحمل الإجراءات العقابية مثل منع التجول والتفتيش وهدم المنازل وغيرها . وبهذا يظهر مدى قساوة وظلم الانتداب في عقاب سكان القرى بمختلف الأشكال جزاء لمساعدتهم أو التستر على النشاطات التي يقوم بها الثوار في مناطقهم .

6 - تشكيل فصائل الثورة المضادة (المعارضة).

كما هو معروف، تميزت المرحلة الأولى من الثورة باتحاد الموقف الوطني الفلسطيني من كافة الأحزاب والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية والدينية في إطار سياسي واحد، هو اللجنة العربية العليا التي قادت النضال الوطني خلال تلك المرحلة، حدث الانقسام السياسي داخل الساحة الفلسطينية مع صدور قرارات لجنة بيل، بموافقة حزب الدفاع على خطة التقسيم وبيعاز من أطراف عربية (الأردن). ورفض الوطنيين لهذه القرارات، مما أدى إلى انقسام الساحة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وأعطى فرصة للاستعمار البريطاني في تعزيز وتوسيع الشرخ، و تواجد أصوات تعارض الاستمرار في الثورة. وبدأت السياسة البريطانية في هذا الاتجاه من خلال دعوة أهل القرى والمخاطر بعدم مساندة الثورة واتخاذ إجراءات تأديبه بحق الذين يقدمون المساعدة لهم، حيث قامت السلطة البريطانية بإجراءات تأديبه، أثرت في رفض وتردد "بعض زعماء القرى على حجب مساعداتهم عن عصابات الثوار التي تم تنظيمها حديثا وبذلك قطعت خطوط الاتصال بين أفراد هذه العصابات والقوى المساندة لهم في قراهم الأصلية، والتي كانت المصدر الأساسي لتموينهم وتزويدهم بالمعلومات وتغطية عملياتهم العسكرية "

²⁰⁰خوري، جريس، نفس المرجع السابق، ص 355.

²⁰¹خلة، د. محمود كامل، مرجع سابق، ص 707.

²⁰²الكياي، د. عبد الوهاب، نفس المرجع السابق، ص 289.

هذا الوضع اثر على الثوار ونشاطاتهم وخاصة مع تزايد أعدادهم بشكل كبير، ساهمت المواقف المتخذة من المخاتير وأهل القرى في التعاون مع الحكومة البريطانية، "وسرعان ما استعادوا زمام المبادرة من خلال بث الذعر في نفوس العناصر المتعاونة".²⁰³

هذا الموقف من قبل المتعاونين كان يسبب الخوف من السلطة في تلك المرحلة من طرف المخاتير وأعاونهم، وطبيعة الظروف لم تسمح للثوار بإتباع أساليب توعية أو ديمقراطية بذلك استعملت أسلوب الضغط والتخويف من اجل إعادة المناخ الثوري إلى القرى كلها في تلك المرحلة من الثورة حيث أخذت بمساعدة الثوار بشكل فعال. وتطورت السياسة البريطانية في تشكيل إطار عسكري لمقاومة الثوار من عناصر تضررت من الثورة، وحيث كان لبعض العناصر المشاركة في فصائل السلام المعارضة مثل فخري عبد الهادي وغيرهم معرفة بالثوار. بدأت هذه الأفكار والنشاطات في اجتماعات ولقاءات عقدت في مناطق مختلفة من فلسطين وخاصة "في 30 نوفمبر 1938 اجتمعت 25 شخصية عربية تمثل 45 قرية في بيت فخري النشاشيبي ثم عقدت مؤتمرا صحفيا أوردته جريدة التايمز في أول ديسمبر 1938، أعلنت ووقوفها إلى جانب فخري النشاشيبي و ضد الحاج أمين الحسيني" ²⁰⁴. كما عقدت اجتماعات في نفس الإطار، حيث تلقت التايمز في ديسمبر 1938 تقريرا من مراسلها في القاهرة يذكر فيه "ان 50 شخصية عربية فلسطينية اجتمعت في منزل الشيخ علي شاهين واحتجت على المذابح التي يقوم بها المفتي وأرسلت برقية تأييد إلى فخري النشاشيبي" ²⁰⁵ هذه الاجتماعات شجعت شخصيات وقيادات أخرى، من مخاتير القرى وبعض المواطنين من أتباع حزب الدفاع ومؤيديه في القرى "وعقد حزب الدفاع في 18 ديسمبر 1938 في قرية يطا (الخليل) حصره نحو ثلاثة آلاف عربي اتهم فيه خليل الشريف مختار القرية، عارف عبد الرازق بقتل ما يزيد عن 200 شخص كما اتهم الحاج أمين الحسيني بجميع الاغتيالات السياسية وقد حضر هذا الاجتماع فخري النشاشيبي" ²⁰⁶ استغلت السلطات البريطانية نشاطات حزب الدفاع والمتعاونين معه بتشكيل ما أطلق عليه فصائل السلام لضرب الثورة في البلاد "وكانت هذه النشاطات بتوجيه من تشارلز تيجارت وإشراف فخري النشاشيبي" ²⁰⁷. كانت السلطات البريطانية تهدف من وراء تشكيل فصل السلام إلى إشعال نار حرب أهلية في داخل البلاد، بحيث تتصادم فصائل السلام مع جماعات الثوار فتضعف بذلك الثورة. وهدفت ثانيا إلى ان يزهق الفلاحون والعمال في الثورة بعد ان تقوم تلك الفصائل بأعمال السلب والنهب، وبما توقعه في أهل البلاد من الأذى والضرب والإهانة والقتل، حيث قامت هذه المجموعات بعمليات قتل في القرى ولاناس

²⁰³ الحوت، بيان نويهض، نفس المرجع السابق، ص 377.

²⁰⁴ شبيب، د. سمح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1918-1948، ص 41.

²⁰⁵ نفس المصدر السابق، ص 42.

²⁰⁶ نفس المصدر السابق، ص 42.

²⁰⁷ نفس المصدر السابق، ص 43.

من الثورة أو مقربون لها وحتى لأشخاص ليس لهم علاقة بالثورة ولحسابات عشائرية وعائلية واجتماعية خلال المراحل الأخيرة".²⁰⁸ استطاع الانتداب البريطاني من خلال هذه السياسة ضرب الثورة والتأثير على مجرياتها وأحداثها وخاصة في المرحلة الأخيرة من الثورة بعد استشهاد أو خروج القادة الرئيسيين للثورة مثل عبد الرحيم الحاج محمد، عارف عبد الرازق، يوسف أبو درة وغيرهم . يمكن القول ان الانتداب البريطاني استعمل مختلف الأساليب والوسائل السلمية والعنيفة ضد الشعب الفلسطيني وثورته في سبيل أضعافها وإنهاءها، حيث تعددت هذه الأشكال وخاصة الأساليب العسكرية والعنيفة منها:

- 1 أحكام الإعدام والسجن المؤبد لأقل التهم التي تثبت ان صاحبها تعامل مع الثوار.
- 2 للسجن لأبسط المخالفات نذكر منها سنتين لحمل سكين، 12 سنة لحيازة قنبلة .
- 3 فرض منع التجول لمدة تتراوح من 12-22 ساعة يوميا ولمدة وصلت 250 يوم على مدينة صفد.
- 4 هدم المنازل في حالة انطلاق رصاص من طرفها.
- 5 فرض العقوبات والغرامات المشتركة على سكان القرى.
- 6 مصادرة السلاح من العرب وتسليح اليهود والإنفاق على قواتهم التي ساعدت الانتداب في قمع الثورة وخاصة المجموعات التي تعاملت مع تجارت والهاجاناه .

هـ) الاستيطان والممارسات الصهيونية ضد القرية

تعددت الأشكال التي مارستها الحركة الصهيونية ضد القرية الفلسطينية، حيث مارست عمليات شراء الأراضي، إقامة المستوطنات، زرع الفساد والفرقة، النشاط العسكري، سياسة العمل العبري، ضرب النشاط الاقتصادي، النشاط الإعلامي والثقافي في سبيل تدميرها.

اولا: عمليات شراء الأراضي:

يلاحظ ان اليهود سواء كأفراد أو مؤسسات ركزوا كثيرا على عملية شراء الأراضي العربية الفلسطينية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وأخذت بالازدياد في فترة الانتداب البريطاني واشتدت في فترة الثلاثينات من القرن العشرين، حيث ظهرت بشكل واضح عمليات شراء الأراضي من قبل رأسماليين، يهود ومؤسسات صهيونية وإقامة مزارع رأسمالية عصرية عليها مما ساهم في تغيير طابع الريف الفلسطيني الذي كان يتصف بطابع الاكتفاء الذاتي والمعتمد على المزرعة الصغيرة المدارة من طرف الأسرة الصغيرة، بينما أخذت تظهر الزراعة الرأسمالية ذات المساحات الكبيرة. مع ازدياد

²⁰⁸ هناك عشرات من الروايات الشفوية حول هذه الممارسات تم الاستماع إليها إلا ان الحساسيات العشائرية في القرى تحول دون ذكر الأسماء للرواة والفاعلين بهذه الأعمال.

عمليات الشراء من طرف الرأسماليين اليهود والجمعيات الصهيونية "وفقا لمعطيات رسمية لعام 39/38 كان ضمن 13.6 مليون دونم في 996 قرية في فلسطين 1.3 مليون دونم 9.4% من المساحة يملكها يهود وتدل هذه المعطيات (لا تشمل قضاء بئر السبع) على انه كان بأيدي المستوطنين اليهود عشية الحرب الثانية اقل من 10% من مساحة الأراضي الزراعية شمال بئر السبع".²⁰⁹ يظهر ان حجم الأراضي وسياسة العمل العبري وتهجير سكان هذه الأراضي ساهم في التأثير الكبير على القرية في تغيير طابع معيشتها والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية في الريف الفلسطيني.

ان جوهر القضية لم يكن كميا أو عدديا بل بشراء الأراضي من قبل يهود وشركات صهيونية مما أدى إلى طرد المزارعين العرب من الأرض التي كانت في حيازتهم، وتلك الأرض التي اشتراها اليهود من ملاكين كبار من المدينة والخارج. عانت الزراعة الفلسطينية من النقص للأرض حتى من قبل بدء الاستيطان الصهيوني، فعلى مدى مئات السنين سيطر الإقطاعيون على أراضي المجمعات القروية والقبائل البدوية، إلا ان الاستيطان الصهيوني زاد من النقص للأرض لدى الفلاحين العرب بصورة أكثر حدة. كان ملاكي القرى العربية الذين استولوا على أراضي الفلاحين، يبقون الفلاحين عليها كمزارعين ولكن الصهيونيين قاموا بطردهم من الأرض وبالتالي "كان نزع الملكية الإقطاعية يؤدي إلى تضيق مزارع الفلاحين أو توسيعها على حساب المزارعة الفلاحية بظروف الجوع. أما نزع الملكية الصهيونية فكان يضيق الحدود المطلقة بقسائم الفلاحين سواء التابعة لهم أو تلك التي يستأجرونها. كم فلاح عربي طرد من الأرض جراء بيع تلك الأرض لمؤسسات صهيونية ومستثمرين يهود"²¹⁰ وساهم دستور الجمعية الصهيونية الذي يشترط "ان تبقى الأرض التي تسجل باسم الصندوق القومي اليهودي (كيرن كايميت) إلى الأبد غير قابلة للانتقال"²¹¹ ساهمت هذه الإجراءات من طرف اليهود في زيادة حدة الخوف والخنق واتخاذ مواقف متشددة من طرف الفلسطينيين اتجاه اليهود والصهيونية وتواجدهم على الأراضي الفلسطينية، وكانت أحداث السنوات 36-39 علامة فارقة في التاريخ الفلسطيني "إذ ان بعض طرق العمل المتبعة أثناء التمرد، وكذلك طابعه الاجتماعي نشأت في أرضية التغييرات الأساسية التي شهدتها المجتمع الفلسطيني نفسه، لكن ذلك أيضا كانت نتيجة التحدي المتزايد الذي وضعه الصهيونيون أمامهم في السنوات الخمس السابقة للتمرد ردا على ذلك بلور الفلسطينيون أيديولوجيا تنفي أي حق سياسي أو أخلاقي لليهود في البلاد معبرين بأفعالهم عن النتيجة المترتبة على ذلك"²¹² وبذلك يظهر مدى التأثير والتخريب الذي تعرضت له القرية على أيدي اليهود والحركة الصهيونية في مصادرة مساحات واسعة من أراضيها وطرد سكانها وضرب الحياة

²⁰⁹ جوجانسكي، تمار، ترجمة حنا إبراهيم، نفس المرجع السابق، ص 159.

²¹⁰ جوجانسكي، تمار، نفس المرجع السابق، ص 163.

²¹¹ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص 78.

²¹² كمرلنج، باروخ ويونيل مغدال، نفس المرجع السابق، ص 143.

الاقتصادية للريف الفلسطيني وتهميشه وهجرته للمدينة حيث وصل مجموع" ما حصلت عليه الصهيونية في عام 1936 حوالي مليون ومئتي ألف دونم فقط"²¹³
ثانيا : إقامة المستوطنات:

ساهم الانتداب البريطاني في دعم حركة الاستيطان والتي زادت ذروتها في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، مع صعود النازية في أوروبا، وهجرة سكان أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي. مما زاد في عدد المستوطنات. وساهمت حركة الثورة في بداية العام 1936 في زيادة حركة الاستيطان على الأرض العربية، وشراء الأراضي الزراعية، وإقامة تلك المستوطنات حيث كانت هناك أهداف أمنية وعسكرية من طرف أصحاب الوطن القومي اليهودي كمقدمة لتأسيس الكيان الصهيوني والتركيز على عملية الاستيطان وفي مناطق معينة مثل السهل الساحل ومناطق الجليل والمثلث ومرج بن عامر كمناطق للدولة اليهودية المقترحة. زادت حدة السيطرة مع اشتداد حركة الثورة الفلسطينية ضد اليهود والانتداب، حيث أنشأ في عام 1936 ست مستوطنات فقط، بينما زاد هذا النشاط في النصف الأول من العام 1937 حيث بنى "تسع مستوطنات وفق طريقة السور والبرج وأقيمت في النصف الثاني تسع مستوطنات وبالتالي بلغ الإجمالي خلال عام 1937 للمستوطنات المبنية 18 مستوطنة. كما استمر النشاط الاستيطاني اليهودي في عام 1938 ومع اشتداد الثورة الفلسطينية، حيث "أقيمت سنة 1938 (15) مستوطنة وارتفع عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين كافة مع أواخر تلك السنة إلى 195 مستوطنة"²¹⁴ وزادت حدة الاستيطان في سنة 1939، حيث كانت حصيلة النشاط الاستيطاني في إقامة 16 مستوطنة منها سبع مستوطنات أقيمت في يوم واحد هو 23 مايو أيار"²¹⁵ بينما يتحدث مصدر آخر ان عدد المستوطنات "تضاعف بفضل تصاعد الهجرة اليهودية فزاد من 110 مستوطنة عام 1927 إلى 203 عام 1936م"²¹⁶ وبهذا يظهر انه خلال سنوات الثورة "أقيم حوالي 55 مستوطنة يهودية جديدة"²¹⁷ ويتضح من خلال الأرقام السابقة انه حتى نهاية عام 1939 أقيم 211 مستوطنة من العام 1882. بينما أقيم خلال سنوات الثورة 55 مستوطنة مما يشكل اكثر من 25 % .
يمكن القول، ان الاستيطان أثر بشكل سلبي كبير على حياة القرية الاقتصادية والاجتماعية خلال الثورة. وتهجير سكانها وتحولهم إلى أيدي عاملة غير ماهرة الرخيصة في المدينة الفلسطينية، ومدى تأثير ذلك على نفسية وحياة الفلاح الفلسطيني الذي وجد في الثورة متنفس له.

ثالثا: النشاط العسكري ضد القرية:

²¹³ طرابيين، احمد ، نفس المرجع السابق، ص 1047.

²¹⁴ خوري، جريس، نفس المرجع السابق، ص380.

²¹⁵ خوري، جريس، نفس المصدر السابق، ص 202.

²¹⁶ طرابيين، احمد، نفس المرجع السابق، ص 1047 .

²¹⁷ كنفاني، غسان، نفس المرجع السابق، ص 119 .

ساهم التجمع اليهودي الصهيوني بدور كبير في التأثير على المجتمع الفلسطيني بشكل عام والقرية بشكل خاص من الناحية العسكرية بنشاطات منفردة أو بمشاركة قوات الانتداب البريطاني في بواسطة الميليشيات التابعة لها والبوليس الإضافي، حيث "حظيت السلطات البريطانية بشكل مباشر أو غير بمساعدة التنظيمات الصهيونية المسلحة كالهaganah، والاتسل من خلال تنسيق مسبق بينهم أو دون ذلك" ²¹⁸ التعاون الأمني والعسكري من خلال تشكيل الوحدات الخاصة الليلية وقوة الخفراء والبوليس الإضافي بعناصره اليهودية.

من جهة ثانية، حين اندلعت الثورة العربية الكبرى 1936 أجمت الهاغاناه عن الدخول في صراع مباشر مع الثوار العرب، ولكنها دعمت تعاونها مع سلطات الانتداب على نحو زاد عدد أفرادها ورفع مستوى تدريبهم، بفضل تجنيد المئات من أفراد بوليس المستوطنات. كما تحقق لمجموعة منها القيام بهجمات خاطفة خارج نطاق المستوطنات. كما كانت الهيئات الصهيونية تسعى لإدخال أكبر عدد من اليهود في خدمة البوليس فزاد عددهم عام 1935-1936 من 365 إلى 2863 وزادت في عام 1938 حيث أصبحت 3000 شرطي خاص ²¹⁹. اهتمت الصهيونية بالدوريات المتحركة ففي عام 1936 كان هناك 62 دورية في كل منها 8-10 أفراد تزودهم السلطة البريطانية باللباس والسلاح والذخيرة. "وفي شباط 1938 وصل عددهم إلى 800 شخص بقيادة الضابط وينغيت التي لعبت دور كبير في ضرب الثورة والقرى الفلسطينية" ²²⁰، حيث كانوا يساعدون القوات البريطانية على إرهاب السكان العرب في الريف. "كان الصهاينة هم الذين بدعوا بالعدوان في إبريل 1936 وما بعدها" ²²¹. يلاحظ التفاوت في حيازة السلاح لصالح اليهود كان عاملا حاسما في عدم تمكن ثوار العام 1936 من لجم الهجمة الصهيونية لاحتلال الأرض وشرائها والدفاع عنها. وكان هناك عامل آخر ساعدهم في ذلك هو وجود قوات الخفارة للدفاع عن المستوطنات، التي كانت تحمل أسلحة غير شرعية بموافقة بريطانية وقد "بلغت نسبة اليهود في ملاك الشرطة خلال ثورة 36 ما مقداره 32% من المجموع العام" ²²².

ويظهر ذلك بوضوح من خلال الجدول التالي: 4/18

قوات الشرطة في فلسطين حسب الأصل القومي والديني ²²³

الأصل	العدد	1936	1937	1938	1939
-------	-------	------	------	------	------

²¹⁸ خوري، جريس، نفس المرجع السابق، ص 353.

²¹⁹ طرابين، أحمد، نفس المرجع السابق، ج2، 1051.

²²⁰ طرابين، أحمد، نفس المصدر السابق، 1051.

²²¹ وذلك حسب البيان السياسي الذي ألقاه السير في إبريل 1936 في البرلمان البريطاني، محسن، ص 73.

²²² سرحان، نمر، نفس المرجع السابق، ص110.

²²³ مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت، ترجمة احمد خلف، نفس المرجع السابق، ص 295.

				1935	
682	741	758	475	365	يهود
1198	1231	1301	1232	1187	مسلمون
287	310	337	284	278	نصاري
11	13	11	8	7	مذاهب أخرى
2178	2295	2407	1999	1837	مجموع
2941	2172	1171	911	746	بريطانيون
5119	4467	3078	2910	2583	مجموع عام

يظهر الجدول (رقم 4/17) نسبة اليهود والمتزايدة سنويا قياسا بالنسبة إلى حجمهم في التركيبة السكانية في فلسطين ويظهر مدى الثقة والتعاون الموجودة بين البريطانيين واليهود، حيث كان التنسيق بشكل فعال بينهم. وأدت هذه الجهود المشتركة في التأثير على الثورة" حيث تحطمت الثورة خارجيا بفعل قوة عسكرية بريطانية ضخمة بلغ عدد أفرادها في خريف 1939 نحو (16000) جندي بمساعدة اليشوف اليهودي الذي اعتبر الفضاة على الثورة الفلسطينية شرطا لبقائه في البلد"²²⁴، فساعد الجيش البريطاني بكل قواه، وطور قوات دفاع كبير خاصة به، وشاركت في ضرب الثوار في مناطق الاستيطان اليهودي والمناطق المجاورة له. كانت معظم نشاطات اليشوف اليهودي وقواته في المناطق الريفية من فلسطين التي تعرضت لأشد الضربات والخسائر الاقتصادية من طرف المستوطنين اليهود.

يمكن القول ان اختيار المواقع الاستراتيجية لبناء مستوطنات. كانت الصهيونية تختار دائما المستوطنات في الريف لمزاياها الحربية. ولكنها في "عام 1936 بدأت بتنفيذ مخطط مدروس، فأقامت ابتداءً من عام 36 وحتى 1939 55 مستوطنة، اشتركت جميعها بمظهرين عسكريين هما الحائط الذي يطوقها وبرج المراقبة القائم في وسطها من اجل تحويلها إلى معسكر حربي له مظهر اقتصادي يجعل منه نواه صناعية متكاملة في

المستقبل"²²⁵ في إطار بناء المجتمع اليهودي في اليشوف اليهودي الذي كان يخطط لإنشائه الصهاينة على حساب القرية الفلسطينية بشكل رئيس التي عانت الكثير من السياسة الصهيونية، حيث ظهر في العدد الكبير من القتل والجرحى وعمليات التخريب الاقتصادي والمباني التي قامت بها القوات اليهودية ضد سكان القرى العربية.

رابعا : سياسة العمل العبري

²²⁴ مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت، ترجمة احمد خلف، نفس المصدر السابق، ص 153.

²²⁵ محسن، د. محمد، نفس المرجع السابق، ص 73.

تزامن مع نشاط الحركة الصهيونية في شراء الأراضي وإقامة المستوطنات على الأراضي، وسياسة التهجير للقاطنين عليها، سياسة العمل العبري، الذي طبقتة على المؤسسات، الشركات، المشاريع اليهودية. وهي سياسة استخدام العمال اليهود فقط، وعلى المستأجر ان يتعهد بذلك في العقد الموقع مع الصندوق القومي اليهودي، المشرف على جميع الأراضي الخاصة باليهود، وإذا خالف الأمر واستخدام غير اليهودي، فللصندوق ان يسترد الملك المؤجر من دون ان يدفع إلى المستأجر تعويضاً ما، "وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكيرن هايسود الذي يحرم استخدام غير اليهود في المؤسسات والمشاريع".²²⁶ أدت هذه السياسة إلى الأضرار باليد العاملة العربية في فلسطين وحرمانها من العمل في الأراضي التي كانت تملكها أو تعمل بها أو تؤجرها من ماليتها العرب قبل البيع.

خامساً: - تخريب النشاطات الاقتصادية للريف

تركزت سياسة الحركة الصهيونية واليهود على بناء اقتصاد يهودي مستقل عن الاقتصاد الفلسطيني سواء من ناحية الإنتاج، تشغيل الأيدي العاملة، وحتى التصدير أو الاستهلاك. كان التركيز على المنتجات اليهودية سواء كانت الزراعية أو الصناعية وخاصة زراعة الحمضيات، حيث "بلغت مساحة الأراضي المزروعة بالحمضيات حوالي 100 ألف دونم"²²⁷. وبذلك عني اليهود بتنوع منتجاتهم الزراعية للاستغناء عن المنتجات الزراعية العربية. وذلك بالاعتماد على اليد العاملة اليهودية وزيادة سكان المستوطنات في الريف، "حيث ارتفع سكان المستوطنات الزراعية من 30 ألف نسمة عام 1927 إلى 98 ألف نسمة في بداية الثورة"²²⁸. كانت حصيلة النشاط الصهيوني في الاستحواذ على الأراضي في فترة الثورة ضئيلة بسبب الثورة إلا ان ذلك ترك تأثيرات كبيرة على النشاط الاقتصادي في الريف الفلسطيني. كم انتهزت البرجوازية اليهودية انتشار الثورة العربية لتنتج الكثير من المشاريع التي لم يكن بوسعها ان تنفذها في ظروف مغايرة. وإذا تحررت هذه البرجوازية فجأة من منافسة المنتجات الزراعية العربية التي كانت رخيصة الثمن فقد راحت تنصرف إلى تنمية وجودها الاقتصادي. نجح الصهاينة وسلطات الانتداب في فترة الثورة في بناء شبكة من الطرق بين المستعمرات الرئيسية والمدن. وشكلت فيما بعد جزءاً أساسياً من الهيكل التحتي للاقتصاد الصهيوني. وتم تعبيد الطريق الرئيسي بين حيفا وتل أبيب وجرى توسيع ميناء حيفا وتعميقه وبناء ميناء تل أبيب الذي قضى فيما بعد على حيوية ميناء يافا. وانفرد اليهود بتعهد تزويد البريطانيين بالمواد المختلفة. كانت على حساب القطاعات الاقتصادية الفلسطينية وتخريب وتدمير بنيتها التحتية وإنتاجها، وضرب الواقع الاقتصادي في الريف الذي كان يعاني من ظروف صعبة وتخلف اقتصادي في شتى المجالات.

²²⁶ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص 78.

²²⁷ طرابيين، أحمد، نفس المرجع السابق، ص 1047.

²²⁸ طرابيين أحمد، نفس المصدر السابق، ص 1047.

سادسا: - زرع الفساد والفرقة:

وفي نفس الإطار، قامت الحركة الصهيونية واليهود بشن حرب إعلامية وثقافية ضد القرية من اجل الابتعاد عن الثورة ورجالها، من خلال عدم التعاون وتقديم المساعدة للثوار، قام اليهود بمحاولة زرع الفساد والتفرقة بين ابن الريف وابن المدينة " فقالوا ان الإضراب عبارة عن حركة قام بها الافندية، ولم يعلموا ان القروي شارك مثل الافندي في الإضراب، حيث اندمج الفلاح مع المدني في خندق واحد" ²²⁹ لم تنجح سياستهم في هذا المجال وحاولت بريطانيا والصحف اليهودية في فلسطين بث إشاعات كاذبة لتعكير سير الإضراب، حيث كانوا يصدرن بيانات مزورة وإشاعات كاذبة بقصد تضليل العرب وكسر الإضراب ومن هذه الإشاعات والبيانات المزورة ذكر مراسل جريدة الدفاع " لم يترك اليهود وسيلة من الوسائل لتشويه حركة الإضراب إلا اتخذوها، ولكنهم أخفقوا في مساعدتهم، ومؤخرا لجأوا إلى نشر بيانات مزورة بتوقيع هيئات عربية لا وجود لها، ومن هذا القبيل نشروا بيانين: "الأول: موجه إلى أصحاب السيارات يطلبون فيه إنهاء الإضراب ومباشرة العمل. والثاني: موقع بإمضاء اللجنة الوطنية لباعة الخضار فيه نفس الطلب " ²³⁰ لقد سارت المخططات الصهيونية الرئيسية على خطين متوازيين من جهة التحالف إلى أقصى حد مع البريطانيين، حتى ان المؤتمر العشرين للحركة الصهيونية الذي عقد في 1937 أبدى استعداده لقبول التقسيم من خلال المهادنة مع بريطانيا والإصرار على تجنب الصدام" ²³¹.

²²⁹ جبارة، د. تيسير، نفس المرجع السابق، ص 55.

²³⁰ كنفاني، غسان، نفس المرجع السابق، ص 119.

²³¹ كنفاني، غسان، نفس المصدر السابق، ص 119.

الخاتمة

يلاحظ، أن الثورة كانت التجربة العظيمة والشكل الأنضج في نضال الشعب الفلسطيني، وكان الكفاح المسلح بعد فشل كافة الطرق والوسائل النضالية السلمية، في إقناع الانتداب البريطاني والصهيونية بضرورة الاستجابة لمطالبه الشرعية في الحرية ، الاستقلال وإقامة دولته على أرضه. لهذا كانت الثورة المسلحة الرد على ممارسات الانتداب وتجاهله لحقوق العرب والود على سياسة "الصهيونية" وممارساتها على الأرض، سواء بالهجرة اليهودية والاستيطان، كأسس لهندسة "الوطن القومي اليهودي" على أرض فلسطين ، الذي تبلور في شكل الدولة العبرية منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر بمساعدة أوروبية ومساندة بريطانية مباشرة وتساهل وتخاذل عربي .

وبرز عدم وضوح الرؤية لدى الأطراف العربية لطبيعة الصهيونية، حتى أن هذه الضبابية انسحبت على الطبقات العليا وأصحاب الأراضي من المالكين غير الفلسطينيين. وساهموا في تسهيل إقامة "الوطن القومي" من خلال بيع الأرض وتشريد زارعها الفلاحين. ولهذا كان العنصر الأساسي في الثورة من الفلاحين المتضررين بشكل مباشر من السيطرة الصهيونية، حيث كانت الثورة فلاحية في مراحلها الأخيرة من مختلف الجوانب سواء من حيث قيادتها ، عناصرها ، خسائرها المتنوعة ونتائجها ، امتدادها التاريخي ، تأثيرها على الواقع الفلسطيني، وبعض مضامينها الاجتماعية والاقتصادية .

أدت الثورة إلى الكثير من النتائج الإيجابية على الساحة الفلسطينية والعربية والدولية فقد شكلت رافعة وحالة نهوض ثوري في المنطقة. وكانت تجربة متقدمة ونبراسا للوضع العربي لم تضاهيه في التاريخ العربي المعاصر سوى الثورة الجزائرية. وساهمت في إيقاف سري الهجرة وبيع الأراضي في تلك الفترة وأجبرت الانتداب البريطاني على طرح حلول ومشاريع سياسية وضرورة التفاوض مع الشعب الفلسطيني وقيادته في مؤتمر لندن، واستطاعت إفشال مشروع التقسيم واضطرار بريطانيا لإصدار الكتاب الأبيض في 1939. بالإضافة إلى بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية بشكل كبير.

هناك نتائج سلبية تركتها الثورة تمثلت في إخفاق القيادة السياسية على قيادة النضال الوطني بشكل فعال ورائد، بالإضافة إلى الممارسات السلبية على الأرض لبعض الثوار من خلال فرض الإنلوات والقرارات غير المنهجية- المدروسة، والاعتقالات السياسية سيطرة العشائرية والفئوية على العمل الوطني في الثورة. وأدت بعض الممارسات وخاصة الإضراب في بلورة استقلالية الكيان اليهودي بشكل كبير وخاصة في الجانب الاقتصادي من خلال انشاء ميناء تل أبيب ، استبدال العمال العرب في ميناء حيفا والشركات الصناعية الحكومية وسياسة العمل العبري، حيث تضرر منه بشكل مباشر العمال والفلاحين. وانعكس في علاقات معينة بين القرية والمدينة الفلسطينية بفعل الهجرة إلى المدن. وما ترك ذلك من تأثير

بينهما إلا أن الثورة استطاعت أن تطور جوانب إيجابية وتحالف واندماج بين الطرفين وخاصة في المراحل الأخيرة، حيث سيطرت القرية على مجريات الأمور في الثورة.

من جهة ثانية سادت ثقافة ونمط تفكير جديد يستمد أسسه من تراث القرية والطبقات الدنيا في المدينة باستثناء بعض الشرائح التي وجدت نفسها مضطرة للهجرة والخروج من فلسطين. وبهذا تميزت العلاقة بين القرية والمدينة بروح من التعاون والتضامن، وتوحيد الجهد العسكري السياسي والفكري بين العناصر الشابّة والصف الثاني من القيادة الفلسطينية التي سيطرت على الأوضاع في داخل فلسطين بعد خروج قيادة الصف الأول إلى المنفى الإجمالي والاختياري مع استمرار الترابط بينهما من خلال لجنة الجهاد المركزيّة التي تشكلت في دمشق والتي مارست دور المنسق الموجه والممول لنشاطات الثورة .

تعتبر المشاركة الفعالة للقرية علامة مميزة للثورة الفلسطينية الكبرى. وكانت الأحداث والسيطرة بالإضافة إلى الدعم والمساندة الرئيسيّة للريف والقرى. ويضاف إلى ذلك إجراءات وممارسات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية في ضرب القرية الفلسطينية من خلال القوة العسكرية، التخريب الاقتصادي والتفرقة العنصرية، كنشاطات مشتركة بينهم ضد القرية الفلسطينية.

يمكن القول أن دور القرية كان فعالاً وأساسياً في الثورة الفلسطينية الكبرى على مختلف الأصعدة السياسية، من خلال المشاركة في القيادة السياسية ولو بشكل قليل. كما كان الدور العسكري هو المهم والأساسي لها من خلال عدد المشاركين من أبناءها في العمل العسكري على مستوى القيادة الميدانية، التي كانت بالكامل فلاحية العناصر بنسبة تصل تسعة من عشرة. و تحملت نسبة كبيرة من الشهداء، المعتقلين، الجرحى، المحكوميين بالإعدام، الخسائر الاقتصادية، بالإضافة إلى الإجراءات البريطانية التعسفية والاعتداءات الصهيونية ضدها.

ولا يمكن إغفال الدور الاجتماعي والثقافي الذي مارسته القرية على الواقع الثوري، من خلال إبراز وتجذر تراث وثقافة معينة على الواقع الفلسطيني. وساهمت في نبذ وإضعاف سياسة الفرقة بين أبناء وفئات الشعب الفلسطيني وصهرهم في بوتقة وطنية واحدة من مختلف الفئات، الطبقات الاجتماعية، السياسية والدينية في المجتمع الفلسطيني، حيث برزت الوحدة بين المسلمين والمسيحيين، والريف والمدينة، والطبقات الفقيرة والغنية في النضال والثورة.

تجسدت القيادة السياسية من خلال تشكيل اللجنة العربية العليا من مختلف الأحزاب السياسية والشخصيات الوطنية والدينية. وبرز التوحد الاجتماعي والثقافي أثناء الثورة من خلال إبراز مفاهيم وممارسات تعكس طابع الوحدة الوطنية مثل لبس العقال والكوفية وتأجل تسديد الديون ودفع الإجراءات في المدن وغيرها، التي عكست روح التعاون في بوتقة العمل الوطني والثورة خلال القرن العشرين التي ما زالت تستمد زخمها من تجربة الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939.

في الختام، ان المراقب لكافة الانتفاضات الفلسطينية بعد تلك الثورة، شكلت مدرسة سياسية ونضالية، حتى ان الانتفاضات الفلسطينية اللاحقة قد قلدها في الكثير من الوسائل والاساليب والتنظيم العسكري والفعاليات الاقتصادية والاجتماعية. مما يعني انها كانت الثورة الأم وهي التجربة النضالية الأغنى في التاريخ الفلسطيني الحديث

المراجع

الوثائق

1. الحوت، بيان نويهيض (إعداد)، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939: من أوراق أكرم زعيتر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت 1979.
2. الخولي، د. حسن صريحي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، وثائق ونصوص تاريخية، دار المعارف، القاهرة، 1970.
3. الكيالي، عبد الوهاب (جمع وتصنيف)، وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية 1918-1939، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، بيروت 1988.
4. جبارة، تيسير، وثائق فلسطينية في دور الأرشيف اليهودية، الطبعة الأولى، 1985.
5. جبارة، تيسير، وثائق فلسطينية في دور الأرشيف البريطانية، مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، 1986.
6. خريسات، د. محمد عبد القادر و د. زهير غنايم عبد اللطيف (جمع وإعداد)، تقارير بريطانية عن فلسطين وشرق الأردن 1920-1940، مكتبة الشباب، الطبعة الأولى، عمان الأردن، 2002.

مذكرات

1. أبو غربية، بهجت، في خضم النضال العربي الفلسطيني: مذكرات المناضل بهجت أبو غربية 1916-1949، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، 1993.
2. البديري، د. خليل، ستة وستون عاما مع الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها، منشورات صلاح الدين، القدس، 1982.
3. الجرباوي، د. علي، وحسام نعيم الشخشير، محمد عزة دروزة: خمسة وتسعون عاما في الحياة: مذكرات وتسجيلات، الجزء الأول، الملتقى الفكري العربي، القدس، الطبعة الأولى، بيروت، 1993.
4. الدجاني، أحمد زكي، مدينتنا يافا وثورة 1936، الطبعة الأولى، 1989.
5. دروزة، محمد عزة، مذكرات محمد عزة دروزة: سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1887-1984، المجلدان الأول والثاني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1993.
6. شقير، سعيد، حياة تائر: حياة المؤلف خلال ثمانين عاما طريق طويل كله أشواك، الطبعة الثانية، ساو باولو، البرازيل، 1993.
7. زعيتر، أكرم، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، منشورات اليسار م.ض، باقة الغربية، الطبعة الثانية، 1988.
8. منير، اسبير، اللد في عهدي الانتداب والاحتلال، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت 1997.

المقابلات

1. أبو ياقي، محمد يوسف، مقابلة، المزرعة القبليّة، 1997.
2. أبو قرع، شحادة، مقابلة، المزرعة القبليّة، 1995.
3. سلامة، مصطفى سلامة، مقابلة، المزرعة القبليّة، 1995.
4. شريتح، صالح محمود، مقابلات، المزرعة القبليّة، 2003.
5. شريتح، صالح محمود، مقابلات، المزرعة القبليّة، 2003.
6. شلش، محمد، مقابلة، شقبا، 2003.
7. شريتح، صالح محمود، مقابلات، المزرعة القبليّة، 2003.
8. عبد الغني، أحمد خليل، مقابلة، المزرعة القبليّة، 1997.
9. عبد الغني، يوسف محمد خليل، مقابلة، المزرعة القبليّة، 2003.
10. قطيش، حمادة محمد (زوجة القائد محمد ابو قطيش)، مقابلة، المزرعة القبليّة، 1996.
11. لدادوه، إبراهيم فرح، مقابلات، المزرعة القبليّة، 1998.
12. لدادوه، عبد الله سلامة، مقابلات، المزرعة القبليّة، 2003.
13. لدادوه، محمد سليمان، مقابلات، المزرعة القبليّة، 2003.
14. مصطفى، نعمة سلامة، مقابلات، المزرعة القبليّة، 1995.

الكتب

- 1 — أبو شقرا، إبراهيم، مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وثورة 1936-1939، الطبعة الأولى، دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999.
- 2 — أبو صبيح، عمران، الهجرة اليهودية حقائق وأرقام، دار الجليل، عمان، 1990.
- 3 — أبو عفيفه، طلال، الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية 1897-1997، الطبعة الأولى، رام الله، 1998.
- 4 — أبو فارس، محمد عبد القادر، شهداء فلسطين، الطبعة الأولى، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1990.
- 5 — أبو ارميله، د. هشام - (تدقيق ومراجعة)، مجموعة شهادات عرب فلسطين أمام اللجنة الملكية البريطانية، الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، نابلس، 2000.
- 6 — أحمد، فتحي، تاريخ الريف الفلسطيني في العهد العثماني: منطقة بني زيد نموذجا، المطبعة العربية الحديثة، الطبعة الأولى، رام الله، 1992.
- 7 — أفندي، اريه.ل.، ترجمة بشير شريف البرغوثي، دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب في الفترة 1878-1948، دار الجليل للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1986.
- 8 — أوين، روجر، " التطور الاقتصادي لفلسطين عهد الأنتداب 1918-1948، الأقتصاد الفلسطيني: تحديات التنمية في ظل احتلال مديد، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة التعاون الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، آذار 1989.
- 9 — الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ديوان أبي سلمى، دار العودة، بيروت، 1989.
- 10 — -الازعر، د. محمد خالد، جيش الجهاد المقدس في فلسطين 1930-1949، المركز القومي للدراسات والتوثيق، الطبعة الأولى، غزة، 2000.
- 11 — البديري، هند أمين، أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، جامعة الدول العربية، القاهرة السنة ؟
- 12 — الحزماوي، د.محمد ، ملكية الأراضي الفلسطينية 1918-1948، الطبعة الأولى، مؤسسة الأسوار، عكا، 1998.
- 13 — الحوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت، 1986.
- 14 — الخليلي، غازي، المرأة الفلسطينية والثورة: دراسة اجتماعية ميدانية تحليلية، الطبعة الثانية، دار الأسوار، عكا، 1981.
- 15 — السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، وزارة الثقافة الفلسطينية، الطبعة الثالثة، رام الله، 2001.
- 16 — السيد، عبد العزيز، الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936-1939 والانتفاضة الفلسطينية عام 1987: مقارنة أولية، القضية الفلسطينية في أربعين عاما: بين ضرورة الواقع وطموحات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، أيلول 1989.

- 17 - العسلي، بسام، ثورة الشيخ عز الدين القسام، الديوان للطباعة والنشر، الكويت، 1982.
- 18 - العمر، عبد الكريم، مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، الأهالي، دمشق، 1999.
- 19 - العوري، هالة، فلسطين كشف المستور فيما آلت إليه الأمور، مكتبة مديولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1997.
- 20 - العويسي، د. عبد الفتاح محمد، إضراب فلسطين عام 1936: دراسة في الأسباب، دار الحسن للطباعة والنشر، الخليل، 1992.
- 21 - العيلة، رياض علي، تطور القضية الفلسطينية: التاريخ، الاجتماعي والسياسي، جامعة الأزهر، الطبعة الثانية، غزة 1998.
- 22 - الكرمي، عبد الكريم، كفاح عرب فلسطين، منشورات دار الأسوار، عكا، الطبعة الثانية، 1984.
- 23 - الكيالي، د. عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة التاسعة، بيروت 1985.
- 24 - المناصرة، عز الدين (جمع وتحقيق)، الأعمال الكاملة الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود، دار الكرمل، الطبعة الأولى، عمان، 1993.
- 25 - الناشف، د. تيسير، الزعامتان السياستان العربية واليهودية في فلسطين: دراسة مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2002.
- 26 - النتشة، رفيق شاكر، تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- 27 - النحال، د. محمد سلامه، سياسة الانتداب البريطاني حول أرض فلسطين العربية، منشورات فلسطين المحتلة، الطبعة الثانية، بيروت 1981.
- 28 - بشير، سليمان، جذور الوصاية الأردنية على فلسطين: دراسة في أرشيف الحركة الصهيونية،
- 29 - منشورات صلاح الدين، الطبعة الأولى القدس، 1984.
- 30 - بويصير، صالح مسعود، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، وزارة الثقافة الفلسطينية، الطبعة الثانية، رام الله، 2001.
- 31 - بيلج، تسفي آل، أحداث آل 1936-1939 شغب أم ثورة، مركز الدراسات العربية، جبعات حبيبه، 1978.
- 32 - بيلج، تسفي آل، تعريب، خليل عثمانه، الثورة العربية الفلسطينية 1936-1939، مطبعة الشرق التعاونية، القدس، 1987.
- 33 - توما، د. أميل، فلسطين في العهد العثماني، دار الفجر الجديد للطباعة، القدس، الطبعة الأولى، تشرين ثاني، 1983.
- 34 - توما، د. أميل، ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية، منشورات الببادر، الطبعة الأولى، القدس، آذار 1978.
- 35 - توما، أميل، الحركة القومية العربية والقضية الفلسطينية، الطبعة الثانية، دار الأسوار، عكا، 1985.
- 36 - تويني، أرنولد، تعريب عمر الديراوي، فلسطين جريمة... ودفاع، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1961.

- 37 - جبارة، د. تيسير، اضراب عام 1936 في فلسطين: دراسة سياسية ، مركز الدراسات والتطبيقات التربوية، رام الله، 2002.
- 38 - جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، عمان، دار الشروق، 1998.
- 39 - جرار، ناجح، ترجمة سمير محمود، الهجرة القسرية الفلسطينية ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1995.
- 40 - جريس، صبري، تاريخ الصهيونية 1862-1948: "الوطن القومي اليهودي 1918-1939"، الجزء الثاني، مركز الأبحاث. م. ت. ف. قبرص، 1986.
- 41 - حساسيان، مناويل، الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية 1919-1939، منشورات البيار، القدس، 1987.
- 42 - حسونة، خليل إبراهيم، الثورة الشعبية الفلسطينية: ثورة 1936 نموذجا، المركز القومي للدراسات والتوثيق، الطبعة الأولى، غزة، 2001.
- 43 - حلاق، حسان علي، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، الطبعة الثانية، دار الهدى، بيروت، 1990.
- 44 - حمودة، سميح، الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1882-1935، جمعية الدراسات العربية، القدس، الطبعة الأولى، 1985.
- 45 - حوراني، فيصل، جذور الرفض الفلسطيني 1918-1948، مواطن "المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية"، رام الله، 2003.
- 46 - خلة، د. محمود كامل، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، 1982.
- 47 - دروزة، محمد عزة، حول الحركة العربية الحديثة، الجزء الثالث، المكتبة العصرية، صيدا، 1951.
- 48 - رافق، د. عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516-1916، المسروحي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، عكا، 1978.
- 49 - رجب، يوسف، ثورة 1936-1939 في فلسطين: دراسة عسكرية، منشورات دار الأسوار، عكا، الطبعة الثانية، 1986.
- 50 - زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، دار الجليل، عمان، 1986.
- 51 - سرحان، د. نمر محمد ومصطفى داود كبتها، بشير إبراهيم القاضي والثائر في ثورة 1936-1939، الطبعة الأولى، رام الله، 2000.
- 52 - سرحان، د. نمر ود. مصطفى كبتها، عبد الرحيم الحاج محمد: القائد العام لثورة 1936-1939، الطبعة الأولى، رام الله، 2000.
- 53 - سعد، أحمد، التطور الاقتصادي في فلسطين، الطبعة الأولى، أيار 1985.
- 54 - سليم، د. محمد عبد الرؤوف، نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922-1948، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1982.
- 55 - سميث، بامبلا آن، ترجمة الهام بشارة الخوري، فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، دار الحصاد للنشر وللتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1991.

- 56 - شبيب، سميح، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، قراءة في الأصول الاقتصادية والاجتماعية، هيئة التوجيه السياسي والوطني، رام الله ، 1997 .
- 57 - شبيب ، د. سميح، الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948، م- مؤسسة الأسوار بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينية ، الطبعة الأولى ، رام الله ، 1999 .
- 58 - صالح، د. محسن محمد، القوات العسكرية والشرطة في فلسطين ودورها في تنفيذ السياسة البريطانية 1917-1939، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1996.
- 59 - صايغ، روز ماري، ترجمة خالد عمار، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة ، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1983.
- 60 - صحفي، أجنبي معروف، مغامراتي في جبال فلسطين بين دوي القنابل وأزيز الرصاص، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، الطبعة الثانية، 2001.
- 61 - صقر، أسعد، الحركة العمالية في فلسطين: منذ عهد الانتداب البريطاني وحتى عام 1980، منشورات دار الجرمق للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1981.
- 62 - صرغلي، د. مي إبراهيم، حيفا العربية 1918-1939: التطور الاجتماعي والاقتصادي ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، ديسمبر 1997.
- 63 - طربين، أحمد، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار و الانتداب البريطاني في خلفية الدولة اليهودية 1922-1939، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1971.
- 64 - طهبوب ، فائق حمدي ، الحركة العمالية والنقابية في فلسطين 1920 - 1948 ،شركة كاظم للنشر ،الكويت ،1982.
- 65 - عبد الخالق، مطلق، الرحيل- شعر، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2001.
- 66 - عبد الرازق، فيصل عارف، أمجاد ثورية فلسطينية وحياة بطل من أبطالها: ثورة فلسطين الكبرى 1936-1939، الطبعة الأولى، 1995.
- 67 - عبد الغني، عبد الرحمن، ألمانيا النازية وفلسطين 1933-1945، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، نيسان 1995.
- 68 - عبوشي، د. واصف، فلسطين قبل الضياع: قراءة جديدة في المصادر البريطانية ، ترجمة علي الجرباوي، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، 1985 .
- 69 - عثمان، حسن صالح، فلسطين في سيرة البطل عبد الحليم الجيلاني ، جمعية العنقاء الثقافية ، الخليل، فلسطين، الطبعة الثانية، 2002.
- 70 - عطية، علي سعود، الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني 1934-1937، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1985 .
- 71 - علقم، نبيل، عهد الانتداب البريطاني في الذاكرة الشعبية الفلسطينية، مؤسسة الأسوار، عكا، 2002.
- 72 - علوش، ناجي، المقاومة العربية في فلسطين 1917 - 1948 . دار الطليعة ، الطبعة الثانية ،بيروت ، 1979 .
- 73 - عوض، خالد، نوح إبراهيم الشاعر الشعبي لثورة 1936-1939، وزارة الثقافة الفلسطينية، الطبعة الثانية، رام الله، 2001.

- 74 - عوض، عبد العزيز محمد، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831-1914، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.
- 75 - غنيم، عادل حسن، الحركة الوطنية الفلسطينية 1917-1936، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
- 76 - غوجانسكي، تمار، ترجمة حنا إبراهيم، تطور الرأسمالية في فلسطين، دائرة الثقافة م. ت. ف، الطبعة الثانية، 1987.
- 77 - فرسون، د. سميح، ترجمة عطا عبد الوهاب، فلسطين والفلسطينيون، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، نيسان 2003.
- 78 - فريزر، ج.م.ن، ترجمة أحمد خليل الحاج، فلسطين اليكم الحقيقة، الجزء الرابع، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2000.
- 79 - قدورة، محمد جمال، الأحزاب السياسية الفلسطينية 1929-1936، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1998.
- 80 - كبتها، مصطفى داود، ثورة 1936 الكبرى دوافعها وانعكاساتها، مكتبة القبس، الطبعة الأولى، نيسان 1988.
- 81 - كمرلنغ، ياروخ ويونيل شموئيل مغدال، ترجمة محمد حمزة غنيم، الفلسطينيون صيرورة شعب، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، الطبعة الأولى، رام الله، حزيران، 2001.
- 82 - كنفاني، غسان، ثورة 36-39 في فلسطين: خلفيات، تفاصيل وتحليل، وكالة أبو عرفة للصحافة، القدس.
- 83 - لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1985.
- 84 - محافظة، د. علي، الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918-1948، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 2002.
- 85 - محسن، عيسى خليل، فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر، الطبعة الأولى، عمان، 1986. - مركز الدراسات الاشتراكية، القضية الفلسطينية: رؤية ثورية، مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، 2001.
- 86 - مناع، د. عادل، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700-1918، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، حزيران 1999.
- 87 - مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت، ترجمة خليفة، أحمد، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939: الرواية الإسرائيلية الرسمية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت، الطبعة الأولى، بيروت، 1989.
- 88 - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، 1983.
- 89 - نخبة من الكتاب والباحثين، القضية الفلسطينية في نصف قرن، منشورات فلسطين المسلمة، الطبعة الأولى، لندن، 1999.
- 90 - هلسه، تهاني سلامة، أوراق في القضية الفلسطينية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1967.

- 91 - ولسن، ماري، عبد الله وشرق الأردن بين بريطانيا والحركة الصهيونية، ترجمة فضل الجراح، الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، لبنان 2000.
- 92 - ياسين، عبد القادر، كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام 1948، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 1981.
- 93 - ياسين، صبحي، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، لا مكان، دار الهنا للطباعة، 1959.

المجلات والجرائد

- 1 - أحمد، فتحي، القائد محمد عمر النوياني (أبو شوكت)، جبال بني زيد لا تزال تنطق باسمه، اخبار البلد، صفحة 20-21، 1994/12/29.
- 2 - بدران، نبيل، الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الأولى، شؤون فلسطينية، عدد7، آذار 1972.
- 3 - دادة، سلامة، صفحات مضيئة في حياة الرجال : أبو قطيش قائد في ثورة 36 جمع بين البطولة والنزاهة ، مساء البلد، صفحة 12 /20 كانون أول/ 1995 .
- 4 - مناع، عادل، الانتفاضة والثورة في تاريخ فلسطين الحديث، قضايا، العدد الثاني، شباط 1990.
- 5 - موسى، صابر، نظام الملكية في فلسطين في أواخر العهد العثماني، شؤون فلسطينية، عدد 95، الثورة 1979، ص 75-92.
- 6 - موسى، صابر، نظام ملكية الأراضي في فلسطين 1917 - 1937، شؤون فلسطينية عدد (101)، نيسان 1980، ص 45-74.

الموسوعات

- 1- الدباع، مصطفى مراد، " التعليم في عهد الانتداب البريطاني " ، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، التربية والتعليم في فلسطين، الطبعة الأولى، بيروت، 1990.
- 2 - طريين، أحمد، " فلسطين في عهد الانتداب البريطاني "، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني، الدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990.

المراجع باللغة الانجليزية

- 1- Burke,Edmund and Iram, Lapidus, Islam, politics and social Movements, university of California press, London England, 1988.
- 2- Charles D. smith, Palestine and Arab- Israeli conflict, university of Arizona, Fourth Edition, 2001.
- 3- John, Robert and sami Hodawi, The Palestine diary v.1, 1914-1945, New world press, New York, 1970.
- 4- -Khalaf, Issa, politics in Palestine: Arab Factionalism an social Disintegration, 1939-1948, state university of new York press, New York, 1991.
- 5- -Lesch, Ann Mosely, Arab politics in Palestine, 1917-1939: The Frustration of Nationalist Movement, cornell university press London, 1979.
- 6- -Lockman, Zachory, Comrades and Enemies: Arab and Jewish labor, press,London, 1996.
- 7- -Morlowe, Jone, The seat of pilate: An Account of the Palestine mandate, First Edition, the crescent press, London 1959.
- 8- -Miller, Ylanon, Government and society in Rural Palestine 1920-1948, university of Texas press, Austin, 1985.
- 9- -Miller, Y, Administrative policy in Rural Palestine: the Impact of British norms on Arab community life 1920-1948 in Palestine society and politics, New York, Princeton, 1980.
- 10- ESCO Foundation for Palestine, inc., Palestine A study of Jewish, Arab and British policies v.2, second Edition, Kraus reprint co.New York 1970.

11- -Porath, Y, The Palestinian Arab National Movement: from Riots to Rebellion 1929-1939, volume two, chapel piver press Andover Hant, First Edition 1977.

12- -Porth, Y. Arab National Movement in Palestine 1929-1939, London, 1977.

13- -swedenburg. Ted, memories of Revolt: an account of Palestinian in the 1936-1939 Arab Revolt, Minneapolis university of Minnesota press, 1995.

المجلات باللغة الانجليزية

- 1- Cohen, J: a- sir Arthur Wauchope, the Army and the Rebellion in Palestine 1936. Middle Eastern Studies, vol.: IX 1973.
- 2- Cohen,J: British Strategy and the Question of Palestine 1936-1939, Journal of contemporary History. Vol. VII, 1972.

Abstract

The title of the dissertation

The Role of the Village in the Palestinian Revolution from 1936 -1939

By

Salameh Abdulla Salameh Ladadweh

This dissertation is part of the requirements for

M.A in Contemporary Arab Studies

Al-Quds University, 2004/2005

This Dissertation tries to shed light on the role of the Palestinian village, the degree of its participation in the revolution, the burdens and sacrifices made by the villagers, the nature of the relationship between the village and the city, the role of the British Mandate and the Zionist movement. Driving a wedge between the people of the village and those of the city, as well as the other sections and classes of the Palestinian society. In addition, this dissertation has focused on the impact of the British Mandate, on the different aspect of the Palestinian life in general and the Palestinian village in particular. The previously mentioned questions and topics will be discussed in four chapters.

Chapter One starts with a historical introduction to the Palestinian situation marked by western, mainly British and Zionist political interest in Palestinian, which took two basic forms. The first form is file Jewish immigration and their used by the Jews and the relevance between the countries where the Jews immigrated from, the political and economics roots of those immigrants and their immigration to Palestine as well as the other reasons behind the increase in the Dumber of immigrants such as the role of the British Mandate measures, the Mandate document and Belford Declaration. The second form deals with settlement activities and of land through different and unlawful methods and tricks. It also addresses the role of Palestinians m combating this policy and defending Palestinian land and nation. In this chapter, it appears that the Palestinian land has become the center of the Palestinian life as it is the essential source of livelihood and its loss signifies an attempt to uproot the

Palestinians. Therefore, the Palestinians proved their readiness to die in defense of their country. This disproves the allegation that the Palestinian peasants had sold their land to the Zionist movement. In fact, big Arab and Palestinian land owners are those who really sold their lands. The sale of these large areas of land, unfortunately, helped in extending the area of land controlled by the Jews and accelerating the establishment of the Jewish entity. This chapter also reviews the circumstances, including the British and Jewish malpractices, which forced the Palestinians to carry arms and rebel against the Mandate Authorities.

Chapter two: this chapter addresses the concept of the revolution and the historical legacy in the Palestinian life from the 17th century up to 1936 through presenting and discussing a group of revolutions such as 'Nuqaba Revolution' the 'Revolution against Ibrahim Basha' in 1925 and 1920 against the British Mandate, 'Al- Buraq Revolution' '1929 and 1933 Revolution' and 'Al Qassam Revolution' in 1935. The previous mild and mini revolutions have led the Palestinians to believe in the futility of the peaceful technique, something which led to the development of armed struggle mentality among the Palestinians as an effective means to realize their goals and objectives. In this chapter, it appears that the revolution was deeply rooted and therefore renewable, tenable, viable and not a passing event. This chapter also presents the various stages that the revolution had passed through. It concludes with both the positive and negative results created by the revolution.

Chapter three deals with the relationship between the village and the city from different perspectives: political, economic, social and the role of the British Mandate and the Zionist movement in driving a wedge between them.. In addition, this chapter shows the failure of the British and the Zionist Movement in their divisive policy which aimed at splitting people in line with the slogan: divide and rule. It also appears, in this chapter, that the village had the upper hand in running and controlling the revolution.

Chapter four. This chapter details the effective role of the villagers in the revolution by proving that statistically, in terms of their involvement, sacrifices and losses ..This chapter also reviews the consequences of the British Mandate policy on the village.

The conclusion: the researcher concludes that the village played an essential and effective role in the revolution. In fact, the revolution had been mainly peasants- based, peasants- run and peasants - recruited. it instill the spirit of sacrifice and co-operation among the various sections of the Palestinian society.

End of Abstract